
بسم الله الرحمن الرحيم

طُبِعَ برعاية
العتبة الحسينية المقدسة



الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول - الجزء السادس.

الناشر: شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية - قسم الشؤون الفكرية والثقافية - العتبة الحسينية المقدسة.

المطبعة: نسخة للنشر الإلكتروني.

سنة النشر: ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م.

التصميم والإخراج الفني: عبد الصاحب رضا صادق.





قراءات معرفية في رحاب الغدير

وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول

الذي أقامته

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

في ٢٠ ـ ٢١/١١/٢٠٢٠ م

الجزء السادس



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠٢١ - ٢٣٣٩

مؤتمر الغدير العلمي العالمي (ال ١ : ٢٠٢٠ : كربلاء، العراق).

موسوعة وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول. – الطبعة الأولى. -- كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث، ٢٠٢١ = ١٤٤٢ للهجرة.

١٠ مجلد ؛ ٢٤ سم. --.

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

١. علي بن أبي طالب (عليه السلام) الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – مؤتمرات. ٢. القرآن. سورة المائدة، آية ٣ (آية الغدير) – تفسير. ٣. حديث الغدير – مؤتمرات. ٤. الإمامة – مؤتمرات. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية. ب. العنوان.

ISBN: **978-9922-655-09-3**

BP193.1 . M83 2021

تمت الفهرسة في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

٧- محور الدراسات اللغوية والأدبية

- قراءات دلالية ولسانية في خطبة الغدير.
- خطبة الغدير في ضوء المناهج اللغوية والنقدية الحديثة.
- الغدير والغديريات في الأدب العربي.
- الغدير في الأدب العالمي.

واقعة الغدير... مواقف وتبعات قراءة سوسيولسانية في مدوّنة المعصوم

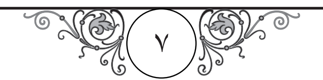
أ. د. نعمة دهش فرحان خلاوي الطائي

الملخص:

تتلخص أهمية البحث في توظيف السوسيولسانيات منهجًا علميًا وأداةً فاحصةً للحفر والتنقيب في واقعة (غدير خم) مضمونًا ومنهجًا، واستظهار مواقف القوم منها، فقد جعلوا إشكالية التجريب سببًا في غياب حكومة الله المرتقبة، وغفلوا عن فهم مضامين تلك الواقعة العظيمة، التي تمثلت بكلمة (اليومَ) في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[1] والتي جاءت محلاةً بالألف واللام؛ لتشير إلى أهمية ذلك اليوم وعظمته.

وتتمثل مشكلة البحث في الكشف عن مضامين تلك الواقعة التي توافقت عليها الأُمَّة في بادئ الأمر، ومن ثمَّ انقلبت على أعقابها، فأيُّ قضيةٍ قيلت لأفراد الأُمَّة في ذلك اليوم؟ فلم يفهموها! فجرت عليهم سنة الله التي عبر عنها الإمام الحسين (عليه السَّلام): «إنَّما عَقَرَ ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضا، فقال: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾»؛ فالسبب الرئيس والأكثر تأثيرًا فيما صبوا إليه وتأملوه هو حبُّ الدنيا والزعامة، فاختلط عليهم الأمر، فتحولت تلك الأمراض

(١) المائدة: ٣.



النفسية إلى أمراض اجتماعية معقدة، ما زالت الأُمَّة تعاني منها، وتدفع ثمن آثارها، وأشدُّ ما فيها من آثارٍ انحطاطُها منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا، وتبعًا لذلك الخلط والتخبط اختلفت الرؤى والنظرات، وتنوعت المواقف والأحداث، وتعددت الفرق والمذاهب، ولو أطاعت الأُمَّة ربّها وما أنزله على رسوله الكريم صلَّى الله عليه وآله وسلّم في ما بلَّغ في (يوم الغدير) لما احتيج إلى تضحيات (يوم فدك) حيثُ القيامُ الفاطميُّ الذي دفعت فيه الزهراء عليها السَّلام حياتها ثمنًا له، وهي في عمر الزهور، في قيامها المبارك الذي أرادت فيه إعادة الحقِّ إلى نصابه، ودفعه إلى أهله، لكنَّ الأُمَّة تمادت في غيها؛ فحصل الانحراف والانحدار بها، حتى تطلَّب تقويمُ المسار تضحياتٍ جساماً، تمثلت بسفك دمِّ سبط رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة وأهل بيته وأصحابه في (يوم الطف) وسبي عقائل النبوة من بلدٍ إلى بلدٍ، يتصفح وجوههن الأعداء.

ومن هنا اقتضت الضرورة تسليط الضوء على مضامين أيام الله الثلاثة (الغدير، وفدك، والطف)؛ لنستكشف مواقف الناس منها، ومثاقفته الأحداث من مجتمع إلى مجتمع آخر، ومن جيل إلى جيل آخر، عبر تشابه المواقف والأزمنة والأمكنة، ومن ثمَّ جريان سنن الله فيهم، فجاء البحث في ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأَوَّل، حادثة غدير خم وأبعادها الاجتماعية.

المبحث الثاني، المثاقفة الاجتماعية وأثرها في سير الانحراف.

المبحث الثالث، حركة التاريخ وسنن الله الكونية.

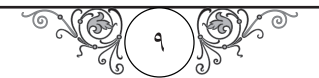
المبحث الأول، حادثة غدير خم وأبعادها الاجتماعية

إنَّ مركز الجذب الذي احتلته كلمة الرسول الأكرم صلَّى الله عليه وآله التبليغية في واقعة غدير خم يتجلى في (عنصر الخطيب) بالدرجة الأُولى، فهو عمادها، بوصفه منظومة (تبليغية) أُنموذجيّة شاملة للجانبين: اللغويّ، والأخلاقيّ، قابلة للتأثير في المناحي النفسية والاجتماعية للمتلقين؛ ذلك أنَّ الفن الخطابيّ يعتمد أساسًا على قوة الخطيب البيانيّة والحجاجيّة من جهة، وعلى سيرته الأخلاقيّة التي يسعى إلى تلبسها اجتماعيًا، بوصفه مُمثلًا لقيم مثالية، من المفترض احتذاؤها، والسير على هَدْيها من جهة أُخرى، فالرسول الأكرم صلَّى الله عليه وآله رمز للفضيلة، ومثال لصنعة الخطابة وتبليغ الأحكام الإلهية، فتفرقت بُنيات خطابه الغديري في مسالك ومفارق متنوعة، ولبست حللًا شتى، تراوحت بين العقلانيّة والبرهنة، والجماليّة والتبليغية، تركزت تلك البُنيات في عدّة مضامين، كان من أبرزها الولاء والطاعة لله تبارك وتعالى ولرسوله صلَّى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين عليه السَّلام.

تمثل حادثة (غدير خم) نهاية البداية في التبليغ الإلهي بخلافة الإمام عليٍّ عليه السَّلام والنصّ بولايته، إذ مثلت المرحلة الأخيرة من مراحل تعيين الخليفة الشرعي لقيادة الأُمَّة على لسان رسول الله بوحي من الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[1]،

---

(١) المائدة: ٦٧.



ويمكننا إجمال تلك المرحلة المخصوصة بنمطين تبليغيين، هما:

النمط الأوّل، مرحلة التلميح بالولاية

وهي مرحلة زمنية امتدت منذ أنْ آمن بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وصدّق برسالته، حتى مبيته عليه السَّلام بفراش النبيِّ بأمرٍ من الله تبارك وتعالى حين تآمرت على قتله قريش إلى ما قبل حادثة الغدير، وهي محطات تلميحية نبويّة تشير بوضوح إلى ولاية الإمام عليٍّ عليه السَّلام على أُمور المسلمين حتى مع وجود النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله، ومن أكثر تلك المحطات أهمية وبروزًا ما يأتي:

أوّل من آمن بالنبيِّ الأكرم حال نزول الوحي عليه

فقد روي عن الحكم بن عتيبة قائلاً: «خديجة أول من صدّق، وعليٌّ أوّل من صلَّى إلى القبلة»(١)، فقد حمل الإسلام بين جنبيه فكراً وسلوكاً منذ أنْ كان الإمام عليه السَّلام فطيمًا، ولاسيما مرافقته للرسول الكريم صلَّى الله عليه وآله وسلّم، إذ تضمنت تنشئته عليه السَّلام المباركة التدريبات الأساسية لضبط السلوك وأساليب الإشباع، وكذلك اكتساب المعايير الاجتماعية السليمة التي تحكم سلوكه وتوجهه، وهي سيرة طويلة كان الإمام عليه السَّلام فيها دائم الصلة بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلّم منذ طفولته التي يصفها بقوله: «وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ

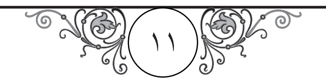
---

(١) حياة محمد، ص٦٢-٦٣.

وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ، وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً، وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ... وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ»(١).

إنَّ الاندماج التدريجيّ للطفل في محيطه، لا يتم بمحاكاة خالصة أو بمجرد ترويض، بل يتم أساساً باللغة، أي داخل هذا المكان الذي توجد فيه الجماعة الأُسرية، واللغة الأُمّ في آن واحد، وهي مرحلة (تكوين الذات)، إذ يكتسب الطفل فيها سماته الخاصة التي تميّزه عن باقي الأطفال، أو تكوّن له (ذاتًا) مختلفة عن ذوات الآخرين، تبدأ هذه المرحلة عندما يدرك الطفل أنَّ اسمه يختلف عن أسماء الآخرين، ثمَّ يتعلم تدريجيّاً كيف يستجيب للمؤثرات ويستكشف العالم ونظمه، ثمَّ تأتي مرحلة

(١) نهج البلاغة، من الخطبة: ١٩٢، ص٣٠٠ – ٣٠٢.



استعماله اللغة وهي مرحلة مهمّة، إذ يشعر بأنَّهُ يستطيع أنْ يتفاعل مع الآخرين وينقل لهم أفكاره وحاجاته.

مبيته في فراش النبيِّ بأمر الله عزَّ وجلَّ:

قال النبيُّ محمّد صلَّى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام: «يا عليُّ إنَّ الروح الأمين هبط عليَّ يخبرني أنَّ قريشاً اجتمعت على المكر بي وقتلي، وأنَّه أوصى إليّ عن ربِّي عزَّ وجلَّ أنْ أهجر دار قومي، وأنْ أنطلق إلى غار ثور تحت ليلتي، وأنَّه أمرني أنْ آمركَ بالمبيت على مضجعي لتخفي بمبيتك عليه أثري، فما أنت قائل وصانع؟»، فقال عليٌّ عليه السَّلام: «أو تسلمنّ بمبيتي هناك يا نبي الله؟»، قال: «نعم»، فتبسّم عليٌّ عليه السَّلام ضاحكًا، وأهوى إلى الأرض ساجدًا، فلمّا رفع رأسه قال له: «امض لما أمرت، فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومرني بما شيئت أكن فيه كمسرتك واقع منه بحيث مرادك، وإنْ توفيقي إلّا بالله»[1].

موقفه في معركة الخندق:

في تلك المعركة كان عمرو بن عبد ود العامري يرتجز ويدعو إلى البراز، فقام له الإمام عليٌّ عليه السَّلام فمنعه الرسول صلَّى الله عليه وآله لعلَّ شخصًا آخر يقوم، ولكنْ دون جدوى، حيث كان الجميع يخشى عمرو ومن معه من شجعان العرب، وبقي عمرو يدعو إلى البراز ولم يجبه أحد حتى صاح بغرور بأنَّ صوته قد بُحَّ، فأذن الرسول صلى الله عليه آله

(١) بحار الأنوار، ج١٩/ ٦٠.

للإمام عليٍّ عليه السَّلام ليقابل عمرو، وأخذ بعمامته ووضعها على رأس عليٍّ عليه السَّلام وأعطاه سيفه وأمره بالقتال، فتوجه الإمام عليٌّ عليه السَّلام لعمرو ودعاه لقبول الإسلام، أو ينسحب من الساحة، فرفض عمرو الاقتراحين، وبدأ قتال عنيف بينهما، وتمكن الإمام عليٌّ عليه السَّلام من قتل عمرو، وهرب من كان معه، فكبّر المسلمون[1]، وكان لقتل عمرو على يد الإمام عليٍّ عليه السَّلام أثر بالغ في نصرة الإسلام وهزيمة معسكر الكفر[2]؛ لذا قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «لضربة عليٍّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين».

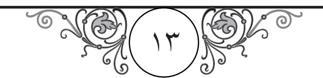
وهذه الأحاديث المباركة تؤكد ولاية الإمام عليٍّ عليه السَّلام لأُمور العباد.

تزويجه من فاطمة الزهراء عليها السلام:

روي عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله قال: «فبينا صلّيت يوم الجمعة صلاة الفجر، إذ سمعت حفيف الملائكة، وإذا بحبيبي جبرئيل ومعه سبعون صفّاً من الملائكة مُتوّجين مُقرّطين مُدَملجين، فقلت: ما هذه القعقعة من السماء يا أخي جبرئيل؟! فقال: يا محمد! إنَّ الله عزَّ وجلَّ أطّلع على الأرض اطّلاعةً فاختار منها من الرجال علياً، ومن النساء فاطمة، فزوّج فاطمة من عليٍّ، فرفعت فاطمة رأسها وتبسّمت... وقالت: رضيت بما

(١) المغازي النبوية، ج٢، ٤٧٠- ٤٧١.

(٢) السيرة الحلبية، ج٢، ٤٢٨.



رضي الله ورسوله»[1]، فزواج عليٍّ عليه السَّلام من فاطمة عليها السَّلام كان بأمر من الله تبارك وتعالى إشارة لمكانة عليٍ عليه السَّلام وولايته.

مؤاخاته للنبيِّ مرتين دون الصحابة:

مبدأ المؤاخاة بين الصحابة، وهو عهد وميثاق للأُخوّة عقده رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلّم لصحابته مرتين، الأُولى: في مكة بين المهاجرين على النصرة والمواساة، والثانية: بين المهاجرين والأنصار على النصرة والمواساة، والتوارث فيما بين الأخوَين بعهد المؤاخاة.

وقد اختار النبيُّ صلَّى الله عليه وآله في كلتا المؤاختين في مكة والمدينة أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب عليه السَّلام أخاً له، وقد تواترت الروايات عند المسلمين على ذلك، ولم تكن المؤاخاة جزافية من دون معيار، بل كانت على أساس المماثلة والمشاكلة بين الشخصين المتآخيين، فقد آخى صلَّى الله عليه وآله بين كلِّ فرد ومشابهه، وادخر علياً عليه السَّلام لنفسه، واختصه بأُخوّته، وناهيك بها من فضيلة وشرف ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

ذكر ابن هشام أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال: «تآخوا في الله أخوين أخوين»، ثمَّ أخذ بيد عليِّ بن أبي طالب، فقال: «هذا أخي»[2]. وذكر بعض العلماء كالمحدث النوري في المستدرك والفيض الكاشاني أنَّ من أعمال عيد الغدير المؤاخاة

---

(١) الروضة في المعجزات والفضائل، ص، ١٢٨.

(٢) السيرة النبويّة، ج ١، ص ٥٠٤ – ٥٠٥.

بين المؤمنين، وتعرف بعقد الأُخوّة، وهذه المؤاخاة هي تجسيد للمؤاخاة التي حصلت بين النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليٍّ عليه السَّلام، لَّما آخى بين المهاجرين أنفسهم ثمَّ بين المهاجرين والأنصار، تجسيداً لروح الأُخوّة الإسلامية فيما بينهم، بحيث يعامل أحد المتآخيين الآخر معاملة نفسه، بل يؤثره على نفسه في كلِّ ما يملك(١).

إنّ تثبيت الأُخوَّة وتعميقها في عيد الغدير هو تأكيد على وحدة العقيدة الحقّة عند الالتقاء، حيث ورد في الخبر عن الصادق عليه السلام: «وليكن من قولكم إذا التقيتم أنْ تقولوا: الحمد لله الذي أكرمنا بهذا اليوم، وجعلنا من المؤمنين بعهده إلينا وميثاقنا الذي واثقنا به من ولاية ولاة أمره والقوّام بقسطه، ولم يجعلنا من الجاحدين والمكذبين بيوم الدين»(٢).

فلو نظرنا إلى إشارات النبيِّ الأكرم وتلميحاته المتكررة لاستخلاف أمير المؤمنين من بعده، منذ اليوم الأوَّل لبعثته وحتى خطبة الغدير، نستنتج أنَّ ولايته عليه السَّلام كانت نافذة في حياة النبيِّ على المسلمين جميعًا لقوله صلَّى الله عليه وآله: «أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي»(٣).

النمط الآخر، مرحلة التصريح بالولاية:

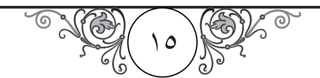
يوم الغدير من أشهر الأيام في حياة رسول الإسلام صلَّى الله عليه وآله

---

(١) خلاصة الأذكار واطمئنان القلوب، ص٣١٥-٣١٦.

(٢) الحر العاملي، ج٥، باب٣

(٣) صحيح الترمذي: ٥، ٦٤٠ - ٦٤١، حديث: ٣٧٣٠ و ٣٧٣١.



ولقد وثّقته كلُّ الكتب التاريخية على اختلاف مذاهبها وذكرت العديد من تفاصيل هذا اليوم العظيم، حيث أمر صلَّى الله عليه وآله مناديه فنادى في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمعوا إليه وإنَّ الرجل منهم ليضع بعض ردائه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدّة الحرّ، فلمّا اجتمعوا صعد صلَّى الله عليه وآله على تلك الرحال حتى صار في ذروتها، ودعا علياً عليه السَّلام فرقى معه حتى قام عن يمينه ثمَّ خطب صلَّى الله عليه وآله الناس قائلًا:

«معاشر الناس، إنَّ الله أوحى إليّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1]، وأنا مبيّن لكم سبب نزول هذه الآية: إنّ جبرئيل هبط عليَّ مراراً ثلاثاً يأمرني عن ربّي جلّ جلاله أنْ أقوم في هذا المشهد، فأُعلم كلَّ أبيض وأسود، أنّ عليَّ بن أبي طالب أخي ووصيّي وخليفتي على أُمَّتي، والإمام من بعدي، وقد ضمن لي تبارك وتعالى العصمة من الناس وهو الله الكافي الكريم.

فاعلموا معاشر الناس، أنَّ الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً مفترضاً طاعته على المهاجرين والأنصار، وعلى التابعين لهم بإحسان، وعلى البادئ والحاضر وعلى الأعجمي والعربي، والحر والمملوك، وعلى كلِّ موحّد، معاشر الناس إنَّه آخر مقام أقومه في هذا المشهد، فاسمعوا وأطيعوا، وانقادوا لأمر ربّكم، فإنّ الله هو مولاكم وإلهكم، ثمَّ من بعده رسوله

---

(١) المائدة: ٦٧.

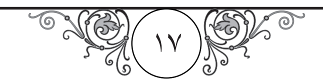
محمّد وليّكم القائم المخاطب لكم، ثمَّ من بعدي عليٌّ وليّكم وإمامكم بأمر ربّكم، ثمَّ الإمامة في ذرّيتي من ولده إلى يوم تلقون الله ورسوله، لا حلال إلَّا ما أحلّه الله، ولا حرام إلَّا ما حرّمه الله، عرّفني الله الحلال والحرام وأنا أفضيت لما علّمني ربّي من كتابه وحلاله وحرامه إليه إلى أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب عليه السَّلام.

وظل رسول الله صلَّى الله عليه وآله يقول معاشر الناس، حتى وصل إلى قوله: معاشر الناس، فما تقولون؟ قولوا الّذي قلت، وسلّموا على عليٍّ بإمرة المؤمنين، وقولوا: سمعنا وأطعنا، وقولوا: الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله.. معاشر الناس، إنّ فضائل عليٍّ عند الله عزَّ وجلَّ الذي قد أنزلها في القرآن أكثر من أنْ أُحصيها في مكان واحد، فمن أنبأكم بها فصدِّقوه، معاشر الناس، من يطع الله ورسوله وعلياً أمير المؤمنين والأئمّة من ولده فقد فاز فوزاً عظيماً، فناداه القوم: سمعنا وأطعنا أمر الله وأمر رسوله بقلوبنا وألسنتنا وأيدينا».

ثمَّ إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله نادى بأعلى صوته ويده في يد عليٍّ عليه السَّلام، وقال: «يا أيّها الناس، ألست أَولى بكم من أنفسكم؟».

قالوا بأجمعهم: بلى يا رسول الله.

فرفع رسول الله صلَّى الله عليه وآله بضبع عليٍّ عليه السَّلام، حتى رأى الناس بياض إبطيهما، وقال على النسق من غير فصل: «فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، والعن من خالفه، وأدر الحقّ معه حيثما دار، ألا



فليبلغ ذلك منكم الشاهد الغائب، والوالد الولد».

ثمَّ نزل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وكان وقت الظهيرة فصلّى ركعتين ثمّ زالت الشمس، فأذّن مؤذّنه لصلاة الظهر، فلمّا صلّى بهم جلس في خيمته وأمر عليّاً عليه السَّلام أن يجلس في خيمة له بإزائه، ثمَّ أمر صلَّى الله عليه وآله المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً فيهنّؤوه عليه السَّلام بالولاية، ويسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، ويبايعوه على ذلك.

ففعل الناس ذلك كلّهم يقولون له: بخٍ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، ثمَّ أمر رسول الله صلَّى الله عليه وآله أزواجه وسائر نساء المؤمنين معه أنْ يدخلن على عليٍّ عليه السَّلام ويسلّمن عليه بإمرة المؤمنين، ويبايعنه على ذلك، ففعلن وسلّمن عليه عليه السَّلام، وبايعنه بإدخال أيديهنّ في طست فيه ماء كان قد أدخل عليٌّ عليه السَّلام يده فيه قبل ذلك.

وعن ابن عباس، وحذيفة، وأبي ذر وغيرهم، أنَّهم قالوا: والله ما برحنا من مكاننا ذلك حتى نزل جبرئيل بهذه الآية عن الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[1]، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الربّ سبحانه وتعالى برسالتي إليكم، والولاية لعليٍّ بن أبي طالب بعدي»، فأنشد حسان بن ثابت قائلًا:

يناديهمُ يوم الغدير نبيّهم ... بخمٍّ وأسمع بالرسول منادياً

(١) المائدة: ٣.

فقال: فمن مولاكمُ ونبّيكم؟ فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبيّنا ولم تلق منّا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا عليٌّ فإنّني رضيتك من بعدي إماماً وهادياً
فمن كنتُ مولاه فهذا وليّه فكونوا له أتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهمّ والِ وليّه وكن للذي عادى علياً معاديا

فقال له رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «لا تزال يا حسّان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك»[١].

اللّافت للنظر أنَّ ما يميز عيد الغدير عن بقية أيام الله المباركة تضمينه عقد الأُخوّة، وتجديده مبدأ المؤاخاة الذي يعني إسقاط الحقوق كافة بين الأَخوين، وفي ذلك إشارة دلالية إلى امتداد ولاية أمير المؤمنين عليه السَّلام منذ عقد أُخوّته مع رسول الله في مكة ثمَّ في المدينة حتى أمر النبيُّ بإعلان ثمرة هذه الأُخوة وهي الولاية الحقة لأُمور المسلمين، وقد عبرت الزهراء عليها السَّلام عن ذلك بقولها: «﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ فإنْ تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم وأخا ابن عمّي دون رجالكم»[٢].

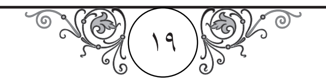
المبحث الثاني، المثاقفة الاجتماعية وأثرها في سير الانحراف

يصعب تحديد معنى الثقافة بدقة؛ لأنَّ علماء الاجتماع وعلماء الانثروبولوجيا استعملوها بمعانٍ متنوعة، وقد أُحصيت بـ(مئة وستين)

---

(١) ينظر: بحار الأنوار: ج٢١، ص٣٨٨، ب٣٦، ح١٠.

(٢) شرح خطبة الزهراء، ص/ ٤٣.



تعريفًا[1]، وإذا تتبعنا مراحل تطور هذه الكلمة وجدناها عبّرت في الأصل عن وضع اجتماعيٍّ أصاب نوعًا من التقدم، وأصبحت عند ذلك المجتمع مكتسبات يرثها جيل عن جيل.

ويُعدُّ تعريف (تايلور) للثقافة: (الاكتساب والتوارث) أكثر شمولًا، فهي في نظره ذاك الكلّ المُعقد الذي يضمُّ معاً العلوم والمعتقدات والفنون والأخلاق والقوانين والأعراف وجميع الاستعدادات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه فرداً في المجتمع[2]، وأبرز ما يميز الثقافة أنَّها ترتبط بالحياة (من اعتقادٍ ودينٍ وأدبٍ وأعرافٍ... وسواها)[3] قُبالة الحضارة التي تختصُّ بالتقنيات والتنظيمات الاجتماعيّة.

ولَّما كانت الأخلاق هي الدعامة الأُولى في المجتمع الإسلاميّ، فإنَّ ترتيبها البنائيّ في الصدارة؛ لأنَّ كلَّ الأنماط البنائيَّة الأُخرى إنَّما تصدر عنها، فكلُّ ما هو صالح للفرد بالضرورة صالح للجماعة؛ لأنَّ تلك الأخلاق تحقق الأمن على مستوى الفرد ومستوى الجماعة، من طريق دعامات بنائيَّة، تتمثل داخل المجتمع الإسلاميّ على نحو روابط وعلاقات اجتماعيَّة، أو على نحو قيم ومبادئ، كالصدق والأمانة والإيثار والتعاون... وسواها، وتُعدُّ التقوى الوظيفة الأُولى والأساسيَّة (Function Basis) التي ينبغي للفرد أو المجتمع أنْ يلتزم بها سلوكيًّا، ويعتمد عليها التعامل مع

---

(١)- ينظر: علم اجتماع الأدب / ١٩٧.

(٢)- ينظر: La sociologies Duct Maraa bout Tom p: ٧١.

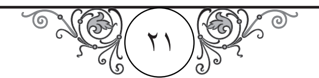
(٣)-: See you p: ٥٠

الآخرين على وفق سياقات هادفة في دعم البناءات القيميَّة للمجتمع.

ولكنَّ القوم أرادوا أنْ تكون القيمة العليا للحياة السّلطة والمال، القائمين على السيطرة على الموارد، واكتناز الأموال، وتراكم العقارات، وحينئذ تتحدد المراتب الاجتماعيَّة على هذا الأساس، فيرتفع إلى القمّة أولئك الأغنياء الكبار المتغطرسون، ملوك السّلطة والمال والأعمال، ويقبع في الحضيض أولئك الذين لا يملكون شيئًا من ذلك، أو يملكون شيئًا قليلًا منه، لذلك أخذ التفاوت الطبقيّ صفة الصراع؛ لأنَّ ما سببّ الانقسام الطبقيّ السّلطة والمال، وهما مصدر القيمة العليا في المجتمع الإسلاميّ بعد رحيل المصطفى محمّد صلَّى الله عليه وآله، ومن هنا نشأ عند الطبقات السفلى شعور بالاستغلال، واكب هذا الشعور شعور آخر، ولَّد في أنفسهم مشاعر الحقد والبغضاء، ودفع بهم أحيانًا إلى التمرد والثورة[1]؛ إذ تدلُّ القيمة العليا للكلمة على ارتفاع منزلتها، وترفع صاحبها، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[2]. أَمَّا القيمة الدنيا للكلمة، فتدلُّ على انحطاط منزلتها، وتخفض صاحبها، وقد يفرز عنف الكلمة آثارًا اجتماعية مؤلمة، «إنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضا، فقال: فعقروها

(١) ينظر: الطبقات الاجتماعية / ٣٦ـ٤٤.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٠.



فأصبحوا نادمين»(١)، وما زالت الأُمَّة تدفع ثمنها، وأشدُّ ما فيها من آثار انحطاطها منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا.

وقد تنبأت الزهراء عليها السَّلام بما سيؤول إليه الأمر من عصيانهم أمر الله ورسوله باتخاذ عليٍّ عليه السَّلام خليفة لهم بعد وفاة رسول الله، بعد أن صوّرت لهم نعم الله عليهم لو أنَّهم التزموا بولاية أمير المؤمنين عليه السَّلام، وأكد ذلك حين قالت لنساء المهاجرين والأنصار اللاتي أتين لزيارتها عند مرضها: «والله لو تكافّوا عن زمامٍ نبذه رسول الله إليه لاعتلقه، ولسار بهم سيرًا سجحًا، لا يكلم خشاشُهُ، ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلًا نميرًا، صافيًا رويًا، فضفاضًا تطفح ضفتاهُ، ولا يترنق جانباهُ، ولأصدرهم بِطانًا، ونصح لهم سرًا وإعلانًا، ولم يكن يحلى من الغنى بطائلٍ، ولا يحظى من الدنيا بنائلٍ، غير ري الناهل، وشبعة الكافل، ولبان لهم الزهد من الراغب، والصادق من الكاذب، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٢)»(٣).

ظهر الصراع بين مبدأين وخطين:

الأول: مبدأ وخط رسمه الله تبارك وتعالى خالق السماوات والأرض العالم بخفيات الأُمور وبواطن النفوس وبما كان وسيكون، واختاره للأُمَّة

(١) موسوعة مقتل الإمام الحسين عليه السَّلام، ص/ ٦٥.

(٢) سورة الأعراف:٩٦.

(٣) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص/ ٢٥٦-٢٥٧.

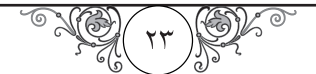
لتصل إلى كمالها المنشود وبلّغه رسوله الكريم صلَّى الله عليه وآله في يوم الغدير، يقف في أَوّل الخط عليٌّ بن أبي طالب عليه السَّلام.

والآخر: مبدأ وخط يصنعه البشر بأهوائهم وأساليبهم الشيطانية من قهر وإذلال أو إغراء بالمال أو ظلم وتعسف أو تضليل وتمويه وادعاءات باطلة، وقد خاطبت الزهراء عليها السَّلام القوم مشافهةً محذرةً إياهم سوء اتباعهم الخطّ الدنيويّ، تبعًا لأهوائهم قائلةً: «ليت شعري إلى أيِّ سنادٍ استندوا؟ وعلى أيِّ عمادٍ اعتمدوا؟ وبأية عروة تمسّكوا؟ وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا؟ لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلًا، استبدلوا - والله - الذنابا بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغمًا لمعاطس قومٍ يحسبون أنَّهم يحسنون صنعًا، ألا إنَّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ويحهم!! ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1]، أما لعمري! لقد لقحتْ، فنظرةٌ ريثما تُنتجُ، ثمَّ احتلبوا ملء القعب دمًا عبيطًا، وذعافًا مبيدًا، هناك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبَّ ما أَسسه الأولون، ثمَّ طيبوا عن دنياكم أنفسًا، واطمئنوا للفتنة جأشًا، وأبشروا بسيفٍ صارمٍ، وسطوة معتدٍ غاشمٍ، وهرجٍ شاملٍ، واستبدادٍ من الظالمين، يدع فيئكم زهيدًا، وجمعكم حصيدًا، فيا حسرةً لكم، وأنّى بكم؟ وقد عميت عليكم، أَنُلزمكموها وأنتم لها كارهون؟؟»[2].

---

(١) سورة يونس: ٣٥.

(٢) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص/ ٢٥٦-٢٥٧.





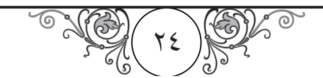
إنَّ أسلوب القسم (والله) يدلُّ دلالة قاطعة على عظم المسألة، بحيث تستحق تلك المسألة أنْ تقسَم من أجلها الزهراء عليها السَّلام، وقولها: (نبذه رسول الله إليه) يؤكد أنَّ القيادة الإسلامية إنَّما صارت لعليٍّ عليه السَّلام بأمرٍ من الرسول الكريم صلَّى الله عليه وآله حين رفع صوته بالمسلمين قائلًا: «مَنْ كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه»، وعبارة: (لو تكافّوا) تعني أنَّهم لو كفّوا أيديهم، أي: منع بعضهم بعضًا، بحيث لو أراد أحدهم تناوله منعه الآخرون؛ (لاعتلقه) أي اعتلق عليٌّ عليه السَّلام الزمامَ، أي: قامَ بالواجب كما ينبغي، وقاد المسيرة على أحسن ما يتصور، وأفضل ما يرام[1].

وقولها عليها السَّلام: «استبدلوا - والله - الذنابا بالقوادم، والعَجُز بالكاهل» يعني الذناب: ذنب الطائر، والقوادم: ريشات في مقدم الجناح، والعَجُز: المؤخر من كلِّ شيءٍ، والكاهل، ما بين الكتفين، وقد أثبت علم الاجتماع أنَّ من أبرز الوسائل التي كان لها تأثيرٌ في توعية المجتمع نحو الخير والصلاح؛ جهازا (الدولة والدين)، وقد قال عنهما رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «طائفتان من أُمَّتي إذا صَلُحَا صَلُحَ الناس، وإذا فسدتا فسد الناس: العلماء والأمراء»[2]، وفي ذلك الزمان كان الخليفة يمثل هاتين الطائفتين، وقد نبهت الزهراء عليها السَّلام على حقيقة مهمة من حقائق علم الاجتماع، وهي أنَّ الشعوب المتحضرة إنَّما وصلت إلى القمّة،

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص/ ٢٦٦.

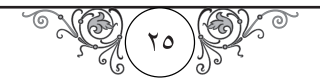
(٢) إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، ج١/ ١٠.



وحازت التقدم في المجالات كافة؛ بسبب الأُسرة الحاكمة التي مهدت لها السبل، وهيأت لها الوسائل، وزودتها بالتعليمات، وشجعتها على العمل، في حين نجد الشعوب المتأخرة والمتفسخة التي استولى عليها الجهل والفقر والمرض والذل والهوان والخلاعة والمجون، هم ضحايا إهمال الحكام وأصحاب القيادة، وقد قيل: (الناسُ على دينِ ملوكهم)، وهنا يأتي تشبيه الزهراء عليها السَّلام للأُمَّة الإسلامية بالطائر، والقيادة بجناحي الطائر؛ لأنَّ الطائر لا يستطيع أنْ يطير إلّا بجناحيه، والجناح مركب من عشر ريشات كبار، يقال لها: (القوادم) وتحت تلك الريشات عشر ريشات صغار، يقال لها: (الخوافي) وعلى موضع ذنب الطائر ريشات، يقال لها: (الذنابا)، والقوادم هي قوام الطيران، ولا يمكن الطيران بغيرها، فهي بمنزلة المحركات القوية في جناح الطائرة، التي بإمكانها أنْ تقلع الطائرة، وترتفع بها عن الأرض، وتسير في الفضاء... وكذلك الحال بالكاهل الذي يُعتمد عليه في حمل الأثقال (المسؤولية)، خلافًا للعَجُز الذي لا يليق ولا يستطع حمل الأثقال (المسؤولية).

والمقصود من التشبيهين السالفين أنَّ الأُمَّة سلَّمت أُمورها كافة لمن لا يليق بها، ولا يستطيع القيام بأُمورها؛ لعدم توافر الإمكانات اللازمة فيه، ولعجزه عمّا يتطلبه الأمر من العلم والعقل والتدبير، وذلك بعد أنْ سلبوا تلك الإمكانات من أصحابها الأكفاء، ذوي اللياقة والخبرة والدراية والبصيرة[1].

(١) ينظر: فاطمة من المهد إلى اللحد، ص/ ٢٦٦- ٢٧٥.



وقد حثَّ الخطاب الفاطميّ في غير موضع على الحيطة والحذر من مخالفة آل الرسول الأطهار، ومنها قولها عليها السَّلام: «وَنحن بَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَها عَلَيْكُمْ، ومعنا كِتابُ الله النَّاطِقُ، وَالقُرآنُ الصَّادِقُ، وَالضياءُ اللاَّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مَتَجَلِيَّةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قَائِدٌ إلى الرِضْوانِ أَتْباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَجاةِ اسْتِماعُهُ»(١)، فهذان الاتباع والاستماع الفرقان بين الحقِّ والباطل، وقد عبَّر عن ذلك أمير المؤمنين عليٌّ عليه السَّلام بقوله: «قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ»(٢)، إذ تُعرف قيمةُ الإنسان بما يقدّمه للأجيال التي تعاصره أو تعقبه من عطاء حضاري يُدلها على السّبيل الذي يجب أن تلتزمه في حياتها، وتتفاعل معه، ويرفعها إلى مستواها اللائق تحت الشّمس، وهو ما يسمى بالعطاء الحضاريّ؛ لأنَّ النّوع الإنسانيّ مجبولٌ على التّفاعل مع الكون ما فيه من قوىً وطاقاتٍ بدافع حبّ الاستطلاع والتملُّك، ومع أبناء جنسه بدافع غريزة التجمع الفطرية المركوزة في كيان الإنسان.

للنساء لغة تختلف عن لغة الرجال نطقًا نسبيًا، بحسب النظم الدينية والتقاليد الاجتماعية، فنجد هنالك ألوانًا وأساليبَ تتخلل أو تكسو التوظيف اللغويّ عند النساء عنه عند الرجال، إذ نجد أنَّ سلوك المرأة اللغويّ أكثر التزامًا وتمسكًا بالعرف اللغويّ العام، فلا نجدها تتورط فيما نبا وشذَّ عن الكلام، أو جاوز حدود اللياقة، وفي الغالب نجدها

(١) شرح خطبة الزهراء، ص/ ٤١.

(٢) نهج البلاغة، حكمة/ ٨١، ٤٨٢.

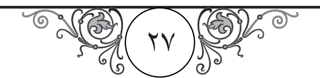
تحـوم عــن المعنــى، ولاسـيما في المواقـف الحرجـة، فتحـاول جاهـدةً البيـانَ بأسـاليبِ حُسـنِ التعبـير عـن حاجاتهـا وأغراضهـا، وتكتفـي غالبًـا بالإشـارة أو التلميح إلى المقصـود، ومصـداق ذلـك مـا رواه عبـد الله بـن الحسـن بإسـناده عـن آبائـه عليهـم السَّـلام، أنّـه لّمـا أجمـع أبـو بكـر وعمـر عـلى منـع فاطمـة عليهـا السَّـلام فـدكًا وبلغهـا ذلـك: لاثـت خمارهـا عـلى رأسـها، واشـتملت بجلبابهـا، وأقبلـت في لّمـة مـن حفدتهـا ونسـاء قومهـا، تطـأ ذيولهـا، مـا تخـرم مشـيتها مشـية رسـول الله صـلّى الله عليـه وآلـه وسـلّم حتّـى دخلـت عـلى أبي بكـر، وهـو في حشـد مـن المهاجريـن والأنصـار وغيرهـم، فنيطـت دونهـا مـلاءة فجلسـت[1].

تـبرز الوظيفـة التواصليـة في الرَّسـائل الَّتـي تجعـل اللُّغـة تتمحـور حـول الرِّسـالة نفسـها، فتمثِّـل عنصـرًا قائـمًا بذاتـه، أي تمثِّـل العلاقـة القائمـة بـين الرِّسـالة وذاتهـا، فهـي الوظيفـة الجماليَّـة بامتيـاز، إذ إنَّ المرجـع في الفنون، هـو الرِّسـالة الَّتـي تكـفُّ عـن أنْ تكـون أداة الاتِّصـال لتصـير هدفـه[2]، وهـذه الوظيفـة لا يمكـن اختزالهـا فقـط في دراسـة الشِّـعر، بـل هـي حـاضرة في جميـع الأجنـاس الأدبيَّـة، ومـن هنـا نجـد الزهـراء عليهـا السَّـلام قـد اسـتعملت فـن الخطبـة في تأديـة رسـالتها عـبر سـياقات لفظيـة وغـير لفظيـة، فبعدمـا أُنيـط دونهـا مُـلاءةٌ، جلسـت، ثـمَّ أنَّـتْ أنَّـةً أجهـشَ القـومُ لهـا بالبـكاء. فارتـجَّ المجلـسُ. ثـمَّ أمهلـتْ هَنِيَّـةً حتَّـى إذا سـكن نشـيج القـوم، وهـدأت فورتهـم،

---

(١) شرح خطبة الزهراء، ص٤٠.

(٢) ينظر: السِّيمياء، ص١٢.



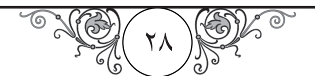


افتتحت الكلام بحمد الله والثناءِ عليه والصلاة على رسول الله، فعاد القوم في بكائهم، فلمَّا أمسكوا عادت في كلامها، فقالت عليها السَّلام: «الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغ آلاءٍ أسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها، وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِزادَتِها بالشُّكْرِ لِاتِّصالِها، وَاسْتَحْمَدَ إلَى الْخَلايِقِ بِإجْزالِها، وَثَنّى بِالنَّدْبِ إلى أمْثالِها».

فلـمّا رأت الزهراء عليها السَّلام بكاء القوم ثانيةً افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله، فعاد القوم في بكائهم، فلـمّا أمسكوا عادت في كلامها، فقالت عليها السَّلام: «الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغ آلاءٍ أسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها»(١) قطع البكاء بمفتاح جديد، تمثل بلغة اجتماعية جديدة، هي لغة التهليل بالدعاءِ والثناءِ، على ما يبدو من ظاهر الرواية، إذ إنَّ الزهراء عليها السَّلام حمدت الله أولًا وأثنت عليه، وصلَّت على رسوله بنحو الإجمال، فشرع القوم حينها بالبكاء مرةً ثانية، بعد أن بكوا أولًا عندما جلست وأنَّتْ، وحينئذٍ سكتت عليها السَّلام لبكاء القوم، وعدم سماعهم كلامها، فأمهلتهم ريثما سكنوا عن بكائهم،

---

(١) شرح خطبة الزهراء، ص/ ٤٠.



وسكتوا، فعادت عليها السَّلام حينئذٍ في كلامها[1].

ومن الألفاظ النفسية والاجتماعية الملازمة للبكاء لفظتا: (أجهشَ) و(نشيج)، ففي قول الراوي: (أجهش القومُ بالبكاء) يقال منه: أجهش نفسي، إذا نهضت إليه وهمَّ بالبكاء، قال الطرماح: أجهش نفسي وقلت ألا لا تعبدوا.

والجهش عند العلامة المجلسي معناه: أنْ يفزع الإنسان إلى غيره، وهو مع ذلك يريد البكاء، كالصبي يفزع إلى أُمِّه، وقد تهيأ للبكاء[2].

أمَّا لفظة: (نشيج) في عبارة: (حتّى سكن نشيج القوم) فقيل: هو ينشج إذا غصَّ البكاء في حلقه ولمَّا ينتحب، ومن ذلك (نشيج الحمار)؛ لأنَّه صوتٌ في حلقه، ويقال: نشجت القدر: إذا غلت، وذهب المجلسي إلى القول بأنَّ النشيج: صوتٌ معه توجع وبكاء، كما يردد الصبي بكاءه في صدره[3].

ولا يخفى على اللبيب أنَّ أُسلوب الحجاج الدال على البرهان والاستدلال من جهة، وعلى اللجوء إلى الهوية من جهة أُخرى قد تجلى بأبعاده النفسية والروحية والاجتماعية في قول الصديقة الطاهرة عليها السَّلام: «أيها الناس اعلموا أنِّي فاطمة وأبي محمّد صلَّى الله عليه وآله أقول عوداً وبدواً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً، ﴿لَقَدْ

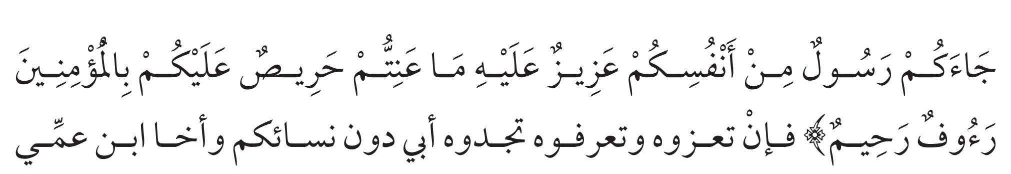
---

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص/ ٤٢-٤٣.

(٢) ينظر: شرح خطبة الزهراء، ص/ ٣٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص/ ٣٧.




جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فإنْ تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم وأخا ابن عمّي دون رجالكم»[1].

نجد الأُسلوب الأُمميّ الشامل قد اقتضب في عبارة: (أيّها الناس) إذ لم تقل: (أيّها المؤمنون) أو (أيّها المسلمون) أو (أيتها العصابة)... وسواها؛ وهذا يدلُّ على أنَّ القوم الذين وجهت كلامها إليهم لم يكونوا من دينٍ واحدٍ أو أُمَّةٍ واحدةٍ، وفي ذلك إشارتان دلاليتان، هما:

الإشارة الأُولى: إنَّ القوم الذين تحدثت معهم كانوا من أُمَم شتى، منهم اليهوديّ والنصرانيّ والمشرك والملحد والمنافق والمتربص... وغيرهم، وهو حالهم حينها فعلًا، ويؤكد ذلك ذيل آية التبليغ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[2]؛ إذ ليس من المعقول أنَّ أعداء الإسلام قد تركوا لهذا الدين أنْ ينتشر ويستقم من دون تتبع عثراته، وربما هذه المرحلة تشكل عندهم أهم المراحل وأخطرها على الإطلاق، ولاسيما بعد وفاة النبيِّ محمَّد صلَّى الله عليه وآله، ونفوس القوم ما زالت لم تتشرب روح الشريعة السمحة.

الإشارة الأُخرى: إنَّ الخطاب قد يكون موجهاً للبشرية كافة عبر الأزمنة والأمكنة كافة، فيكون المعنى الحجاجيّ أبلغ؛ لأنَّ الرسالة

---

(١) المصدر نفسه، ص/ ٤٣.

(٢) سورة المائدة: ٦٧.

الفاطميـة التـي بعثتهـا للمتلقـي لا تُحدهـا حـدودٌ، ولا أزمنـةٌ عـلى وفـق هـذا المعنـى، فهـي بذلـك رسـالة عالميـة مسـتمرة، تكـون بمنزلـة الفرقـان بـين الحـقِّ والباطـل في كلِّ صراعٍ، تكشـف عـن حـال المتلقـي، بأُسـلوب الوعـظ والتذكـير وإلقـاء الحجـج البالغـة.

بهـذا المعنـى يُعـدُّ الحجـاجُ الفاطمـيّ سـمةً مـن سـمات البيـان والتفريـق، وضربـاً واسـع المجـال، لانعقـاد الأمـر فيـه عـلى دراسـة مجمـل التقنيـات البيانيـة الباعثـة عـلى إذعـان السـامع أو القـارئ[١]، فأُسـلوب النـداء الأُمّـيّ، والتعريـف بالمعـرف عـلى رؤوس الأشـهاد بأنَّهـا (فاطمـة بنـت محمّـد)، كلّهـا تقنيـات إقناعيـة، اسـتعملتها الزهـراء عليهـا السَّـلام للتأثـير في المتلقـي، فضـلًا عـن ذلـك فـإنَّ السـمة الاجتماعيـة واضحـة في سـياق النـصّ، فالنـداء بـابٌ ومـا حـواهُ مـن أَحـكام وقوانـين يمثـل ضربًـا مـن الخطـاب الكلامـيّ الـذي لا يكـون لـه الأثـر في التواصـل إلَّا بوصفـه عنصرًا مـن عنـاصرِ مسرحٍ اجتماعـيٍّ يضـم مرسـلًا ومسـتقبلًا، أو مخاطبًـا ومتلقيًـا، عـلى أنَّ بـين طـرفي النـداء علاقـة مـن نـوع مـا، استلزمت مقامًـا توظيـف هـذا الأُسـلوب خاصـة، وقـد أشـار النحـاة إلى هـذا الربـط بـين الأُسـلوب الندائـيّ والأُسـلوب المقامـيّ، وتنـوع الأحـكام تبعًـا لتنـوع ظـروف المقـام، وقـد أشـارت عليهـا السَّـلام إلى هـذا المعنـى بقولهـا: «... فـإنْ تعـزوه وتعرفـوه تجـدوه أبي دون نسـائكم، وأخـا ابـن عمّـي دون رجالكـم»، ذلـك المقـام الـذي فرضـه الله سـبحانه وتعـالى عـلى الأُمَّـة الإسـلامية مـن طاعـة أئمـة الزمـان «فاطمـة بضعـة منّـي يؤذينـي مـا

(١) ينظر: أُصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، ج٢، ١٦٠.



أذاها»، فالأُسلوبان (الندائيّ والمقاميّ) جسدا رابط المبنى بالمعنى، أي أنّهما أقاما علاقة ترابطية بين مكونات النصِّ ومقامه، فحذفُ حرف النداء (يا) يدلُّ على أنَّ الخطاب موجه بنحوٍ مقصود إلى مخاطبٍ قريبٍ؛ لأنَّ النحاة العرب وجدوا عند تقعيد الأحكام أنَّ أداة النداء لا يجوز حذفها مع المنادى البعيد؛ لاحتياجه لمدِّ الصوت المنافي للحذف، وكذلك الحال مع النكرة المقصودة، وهذا يؤكد قرب المتلقي مقاميًا وبُعدهُ زمانيًا.

أمَّا استعمال الزهراء ثنائية (اللغة والهوية) لتُؤكِّد أنَّ اللغة تعدُّ أقدم تجليات الهُويَّة، وأبرز معانيها، فهي التي صاغتْ أوَّل هُويَّة لجماعة في تاريخ الإنسان، فمن الباحثين مَن يرى أنَّ الهُوية التي يتكلمها شخصٌ ما وهُويته أمران لا ينفصلان؛ لأنَّ الهُوية جزءٌ من المعرفة، قديمة قدم اللغة الإنسانية، وأنَّ أفعالها هي نفسها أفعال الهوية[1]، لذلك عدّتْ اللغة هوية ناطقة[2]، إذ إنَّ اللسان الواحد هو الذي جعل من كلِّ فئة من الناس جماعة واحدة، ذات هُويَّة مستقلة، يوم أحست تلك الجماعة منذ بداية تكوينها أنَّ هناك شيئًا مشتركًا يجمعهم من ناحية، ويميزهم من جماعات أُخرى من ناحية أُخرى، وهذا الشيء هو (الهُويّة) المعبّر عنها باللسان، حتى أصبح الصوت اللغويّ مميّزًا شعوريًا دالًا على الجماعة، وهذه حقيقة أكدها الإمام عليٌّ عليه السَّلام بقوله: «تكلموا تعرفوا فإنَّ

(١) ينظر: دليل سوسيولسانيات، ص/ ٦٧٩.

(٢) ينظر: اللغة هُوية ناطقة، ص/ ٣٠.

المرءَ مخبوءٌ تحت طي لسانه»[١]، بمجرد أنْ يتكلم الفرد يمكن للمتلقي تحديد شخصيته وهُويته، فاللسان تتجاذب نحوه آلام الجماعة، وآمالها، ووجودها، يُظْهِرُ في أروع تجلياته هُويّة العقل الجمعيّ[٢].

وتُعدُّ الزهراء عليها السَّلام أَوَّل مَن ظُلِمَتْ من نساء المسلمين، وقد عبَّرت عن ذلك الظلم بتعابير موجعة، منها: «يا بن أبي قحافة أ ترثُ أباك ولا أرثُ أبي؟» وقولها: «أ فَتَجْمَعُونَ إلى الغَدْرِ اعْتِلالاً عَلَيْهِ بِالزورِ؟، وَهَذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِيهٌ بِما بُغِيَ لَهُ مِنَ الغَوائِلِ فِي حَياتِه»، وقولها: «إلى أيِّ سنادٍ استندوا؟ وعلى أيِّ عمادٍ اعتمدوا؟ وبأية عروة تمسّكوا؟ وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا؟ لبئس المولى ولبئس العشير»[٣]... وغير ذلك!!!

استعملت الزهراء عليها السَّلام العلامة السيميائية بقولها عليها السَّلام: «كَلاَّ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلى ما تَصِفُونَ»، إذ حملت لفظة (أمرًا) معلومة سيميائية، وأشارت لها الصديقة عليها السَّلام ووضحتها بنحوٍ رمزيّ، وعادةً تكون هذه المعلومة مرتبطةً دائمًا بتجربة المتلقي وأخلاقياته المتوقعة منه، التي ينبغي له أنْ يكون قادرًا على الكشف عنها، وإعطائها دلالتها الحقيقية[٤].

واللّافت للنظر قولها عليها السَّلام: «وَطَاعَتَنا نِظامَاً لِلْمِلَّةِ، وَإمامَتَنا

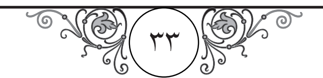
---

(١) نهج البلاغة، ص/ ٤٨٩.

(٢) ينظر: اللغة والهوية إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات، ص/ ٦.

(٣) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص/ ٢٥٦-٢٥٧.

(٤) ينظر: التواصل نظريات ومقاربات، ص/ ١٩٣.



أمانَـاً مِـنَ الفُرْقَـةِ» الـذي يشـير إشـارة قطعيـة إلى سرِّ نجـاح عمليـة إدارة الدولـة، وتنظيـم شـؤونها، وجعـل الإمامـة في أهـل البيـت عليهـم السَّـلام وطاعتهـم مرتكـزاً لحلقـة مُحوريَّـة هـي القـوة (Power) التـي تبنـى عـلى أساسـين مهمـين، همـا: (الانتظـام، والأمـان)، إذ تـدور عمليـة التنظيـم في فلكهـا، وكلَّما كانـت تلـك العمليـة قريبـة منهـا، كانـت أكثـر أمانًـا لهـا[1].

وهكـذا ضيعـت الأُمَّـة فرصـة أُخـرى لتصحيـح مسـارها، حينـما أغضبـت فاطمـة عليهـا السَّـلام واغتصبـت حقَّهـا، فدفعـت الزهـراء عليهـا السَّـلام حياتهـا ثمنًـا لذلـك، وهـي في عمـر الزهـور، في قيامهـا المبـارك الـذي أرادت فيه إعـادة الحقِّ إلى نصابـه، ودفعـه إلى أهلـه، لكـنَّ الأُمَّـة تمـادت في غيهـا؛ فحصـل الانحـراف والانحـدار بهـا، حتـى تطلَّـب تقويـمُ المسـار تضحيـاتٍ جسـاماً، تمثلـت بسـفك دم سـبط رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه وسـيد شـباب أهـل الجنـة وأهـل بيتـه وأصحابـه في (يـوم الطـف) وسـبي عقائـل النبـوّة مـن بلـدٍ إلى بلـدٍ[2].

المبحث الثالث: حركة التاريخ وسنن الله الكونية

تعـددت التفسـيرات البشريـة لحركـة التاريـخ الإنسـانيّ، فـ(ماركـس) يراهـا بأنَّهـا صراع بـين الطبقـات، و(همنغتـون) يراهـا بأنَّهـا صراع بـين الحضـارات،

---

(١) ينظر: التنظيم الاجتماعيّ ثقافة التنظيم وتطبيقاته البيروقراطية ص/ ١٢.

(٢) ينظر: خطبة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في الجموع المحتشدة لتشييع الزهراء عليها السلام في النجف الأشرف بتاريخ ٣/ ج٢/ ١٤٣٣هـ الموافق ٢٥/ ٤/ ٢٠١٢م.

و(دارون) يفسرها بأنَّها صراع من أجل البقاء، في حين أنَّ التفسير القرآنيّ يقرر أنَّ حركة التاريخ إنَّما يحكمها صراع الحقِّ والباطل.

وتعرف السّنة الكونية قرآنيًا بأنَّها النواميس والقوانين المطّردة التي تحكم نظام الكون بما فيه الإنسان، وفق إرادة الله في خلقه، وهي بتعبير آخر مشيئة الله ونفاذها في هذا العالم على وفق قواعد حكيمة، وطرائق قويمة، متجددة بتجدد أسبابها، ملازمة للأفعال التي توجب وقوعها، ثابتة لا تتغير، بتقدير قدرة الله وشرطه على خلقه، إنَّها وعد الله وعادته في الخلق، ذكرها الله سبحانه في كتابه الخاتم في إطار القياس التمثيليّ بشواهد التاريخ، وأحوال الأُمم، وصيرورة المجتمعات[1]، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[2].

وسنة عدم التوفيق لازمت الأُمَّة حين ضَيّعت حقَّ الله ورسوله وأمير المؤمنين، وولَّت أمرها لمن لا يستحق، فهان عليها قتل ريحانة رسول الله الإمام الحسين، وقد تنبأ بذلك عليه السَّلام مخاطبًا العصابة التي جحدت حقه وقاتلته: «الحمد لله الذي خلق الدنيا، فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالًا بعد حالٍ، فالمغرور منْ غرته، والشقي منْ فتنته، فلا تغرنكم هذهِ الدنيا، فإنّها تقطع رجاء مَنْ ركن إليها، وتخيب طمع مَنْ طمعَ فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمرٍ قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلَّ بكم نقمته، وجنبكم

(١) السنن الاجتماعية في القرآن الكريم، ص/ ٤٩

(٢) سورة الفتح: ٢٣.

رحمته، فنعم الربّ ربنا، وبأس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمّد صلى الله عليه وآله، ثم إنَّكم زحفتم على ذريته وعترته، تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم ولما تريدون، إنَّا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قومٌ كفروا بعد إيمانهم، فبعدًا للقوم الظالمين»[١].

تعدُّ ثنائية (الرضا والسخط) مقياس الوحدة في المصير، ولاسيما في مجتمع الطف، الذي تنطبق عليه معايير هذا المقياس، فإذا رضي الناس بعملٍ- وإن أتى به واحد منهم- فهم مشتركون في حكمه، وكذلك الحال عند اجتماعهم على السخط فيما يخصُّ عملاً آخر، «إنَّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضا، فقال: فعقروها فأصبحوا نادمين»[٢]، وهذه سنةٌ كونيةٌ، إذ ينسب العمل الصادر من فردٍ إلى مجتمعه، وكذلك ينسب العمل الصادر من جيل إلى جيلٍ آخر، وذلك فيما إذا كان لهم جميعًا فكرٌ اجتماعيٌّ واحدٌ، وإرادة اجتماعية واحدة، فيوصفون حينها بأنَّهم ذوو روح اجتماعية واحدة؛ لذا نجد الإمام الحسين عليه السَّلام قد ضمن خطبه وكلماته بالقبول والإنكار المناظرين للرضا والسخط، ففي وصيته لأخيه محمّد ابن الحنفية يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن عليٍّ أخاه محمد ابن الحنفية، إنّ الحسين يشهد أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمدًا عبده

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص/ ٢٥٧.

(٢) موسوعة مقتل الإمام الحسين عليه السَّلام، ص/ ٦٥.

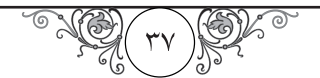
ورسوله، جاء بالحق من عنده، وأنَّ الجنة حقٌّ والنار حقٌّ، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور، وإنِّي لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا، وإنَّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أُمَّة جدّي صلَّى الله عليه وآله أُريد أنْ آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي عليِّ بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أَولى بالحقِّ، ومَنْ ردَّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين، هذه وصيتي إليك يا أخي وما توفيقي إلَّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب»[1]، كلمات تدلُّ على مغزى السبط المقدس من هذهِ الوصية، فإنهُ أراد الهتاف بغايته العظيمة من نهضته المقدسة، وتعريف الملأ نفسه ونفسيته، ومبدأ أمره ومنتهاه، ولم يبرح يواصل هذا بأمثاله إلى حين شهادته، دحضًا لما كان الأُمويون وحلفاؤهم يموهون على الناس بأنَّ الحسين خارج على إمام زمانه، يريد شقَّ العصا وتفريق الكلمة، وتدلُّ هذه الوصية على أنَّها المرحلة الأخيرة من حياته الشريفة التي تسمى بـ(مرحلة الاعتبار)[2] والتي اتّسمت بالزهد والوعظ والإرشاد والوصية، لأنَّ التقدم في السّنِّ هو مركز التجربة البشريَّة، هو إنجاز القدرات والمهارات الفيزيائيَّة والاجتماعيَّة، وهو النمو المستمر لإسهام الأفراد في العالم، وتكوين التاريخ الشخصيّ، والتنقل عبر تاريخ المجتمع[3].

---

(١) مقتل الحسين عليه السَّلام، ج ١، ٨٨، فصل/ ٩.

(٢) ينظر: سوسيولسانيات نهج البلاغة، ص/ ٨١.

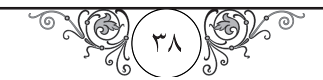
(٣) ينظر: دليل السوسيولسانيات / ٣١٧.





لقد استعمل الإمام الحسين عليه السَّلام مفهومين اجتماعيين، هما: القبول والإنكار، وكلاهما من أفعال الكلام الدّالة على الإنجاز، وما أفعال الكلام إلّا وحدات أساسية للتواصل اللغويّ عندها يمكن أنْ نصف وقائع التواصل المعقدّة حسب ما يثيره كلُّ فعلٍ ناتجٍ عن قولٍ معينٍ، وعلى هذا الأساس فإنَّ الفعل الكلاميّ يعني (التصرف أو العمل) الاجتماعيّ أو المؤسساتيّ الذي ينجزه الإنسان بالكلام ومن ثمَّ فـ(الفعل الكلاميّ) يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، وهو بهذا المعنى يُعدُّ النواة المركزية لمفهوم التداول في صورته اللغوية، إذ تتركز فيه كلُّ الأنماط الأُخرى من الأفعال القولية، التي تطمح إلى تحقيق أغراض إنجازية، كالطلب والأمر والوعد والوعيد... وسواها، وهكذا فإنَّ هذا الفعل يلتمس التأثير في المخاطب بغرض تحقيق شيءٍ ما، فذهبت جماعة إلى تصديق الإمام الحسين عليه السَّلام وقبول دعوته، وذهبت جماعة إلى تكذيبه وإنكار دعوته، ولم يبقَ فرد واحد سمع واعية الحسين عليه السَّلام وصرخته: «ألا مَنْ ناصرٍ ينصرني» إلّا وانحاز إلى إحدى الجماعتين.

ومن ألفاظ السلوك الاجتماعي لتلك الأُمَّة اتهامها الإمام الحسين عليه السَّلام بالأشر والبطر والإفساد، وأنّها ترى في نفسها الإصلاح، وهم مصداق لقوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا



نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[١].

والأَشِرُ لغةً: من أشِر أشَرًا فهو أشِرٌ من باب (تَعِبَ وبَطِرَ وكَفِرَ) النعمة فلم يشكرها، وأشَر الخشبة أشَراً من باب قتَل شقّها لغة في النون، والمئشار بالهمز من هذه، والجمع مآشير، فهو آشِرٌ والخشبة مأشورة قال الشاعر: أناشِيرَ لا زالت يمينُك آشِرَهُ، فجُمِعَ بين لغتي الهمزة والنون، قال ابن السكيت في كتابه (التوسعة): وقد نقل لفظ المفعول إلى لفظ الفاعل فمنه: يد آشرة والمعنى مأشورة، وفيه لغة ثالثة بالواو، فيقال: وشرت الخشبة بالميشار، وأصله الواو مثل: الميقات والميعاد، وأشرت المرأة أسنانها رققت أطرافها، وقد نُهي عنه في الحديث، لعُنت الآشِرة والمأشورة[٢].

أمَّا (بَطِرَ) بَطَرًا؛ فهو بَطِرٌ من باب تَعِبَ بمعنى أشر أشَرًا، والبَطْرُ الشَّقُّ وزنًا ومعنىً، وسمي البيطار من ذلك وفعله بَيْطَرَ بَيْطَرةً[٣]، والراجح أنَّ اشتراكًا معنويًّا بين اللفظتين، إذ يشتركان في مستويات متعددة من الدلالة الهامشية؛ لذا نجد أغلب أصحاب المعجمات يفسرون معنى اللفظة الأُولى بالأُخرى وبالعكس[٤].

وفي عبارة: «هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعدًا للقوم الظالمين» يتبادر إلى الذهن عدة أسئلة منها:

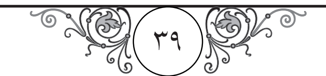
---

(١) سورة البقرة: ٩-١٢.

(٢) ينظر: المصباح المنير، ص/ ١٥

(٣) المصدر نفسه، ص/ ٣٦

(٤) ينظر: معجم المصباح المنير، مادة (ب ط ر)، والمفردات، والقاموس المحيط، ومختار الصحاح... وغيرها.



- هل القوم المخاطبون من الكفار على الحقيقة أو على سبيل المجاز؟
- هل المقصود بالظالمين الكافرون أنفسهم؟
- ما العلاقة السببية بين الظلم والكفر؟ وسواها من التساؤلات التي تحتاج إلى إجابة عنها، وينبغي لنا أنْ نعرف المعنى اللغويّ والاصطلاحيّ للفظة (الكفر) فالكفر من أكثر الكلمات تواتراً في القرآن الكريم، وهي كلمة مشتقة من الجذر الثلاثيّ(ك. ف. ر) وأكثر ما ترد اشتقاقات هذه الكلمة من هذا الجذر مثل: (الكافرون) و(الكفار) و(الذين كفروا)، وأصل الكفر من قولك: كفرت الشيء إذا غطيته، يقال ليل كافر؛ لأنَّهُ يستر بظلمته كلَّ شيءٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾[1] يريد بالكفار الزراع، وسمّاهم كفارًا؛ لأنَّهم إذا ألقوا البذر في الأرض كفروه، أي غطوهُ وسترهُ، فكأنَّ الكافر ساترٌ للحقِّ، وساترٌ لنعم الله[2].

وللكفر عدة معانٍ، أشملها وأشهرها جحود النعمة، وهذا المعنى الأكثر تداولًا في القرآن الكريم، وغالبًا ما ترد لفظة الكفر ومشتقاتها على وجه الإطلاق من دون ذكر متعلقاتها، فلا يحدد فاعلو الكفر ولا موضوع الكفر[3]، وهذهِ الصفات بحسب سياقاتها اللغوية وبحسب أسباب النزول صفات إمَّا للمشركين من عرب مكة، وإمَّا للنصارى

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

(٢) تفسير غريب القرآن، ص، ٢٨.

(٣) ينظر: المفردات، ص/ ٤٤٨.

واليهـود وإمَّـا لغيرهـم أو لهـم جميعًـا كـما في قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِيـنَ كَفَـرُواْ بِآيَـاتِ اللهِ لَهُـمْ عَـذَابٌ شَـدِيدٌ وَاللهُ عَزِيـزٌ ذُو انتِقَـامٍ﴾[1]، فصفـة (الذيـن كفـروا) تكمـن طاقاتهـا الحجاجيـة فيـما تؤديـه ضمنًـا مـن معنـى، هـو معقـد الخـلاف ومناطـه بـين القـرآن وخصومـه مـن المشركـين، وأنَّ النعمـة التـي نحـن بصددها هـي رسـالة النبـيِّ محمَّـد صـلى الله عليـه وآلـه ودعوتـه إلى التوحيـد والإيـمان بالبعـث والثـواب والعقـاب وغـير ذلـك، فعـلى هـذا جـاء وصـف المخاطبـين في خطبـة الإمـام الحسـين عليـه السَّـلام بالذيـن كفـروا، مقتفيًـا حقيقـة الرسـالة المحمديـة، عـلى أنَّ الدلالـة العامّـة لهـذه العبـارة مـن الناحيـة الإخباريـة تقـوم عـلى قسـمين:

الأَوّل: منطوقٌ، وهو معنى الكلمة، أي: (جاحدو النعمة).

والآخـر: مقتـضى أي أنَّـه (أنعـم عليهـم) وفي قـول الإمـام الحسـين عليـه السَّـلام أنعـم عليهـم بالرسـالة المحمّديـة، والقسـم الأخـير يقـدم - شـأن أيِّ مقتـضى- عـلى أنَّـهُ تحصيـل الحاصـل، فهـو مـن الحقائـق الثابتـة التـي ذهـب إليهـا كارتونّـان Kartunnen في تعريفـه للمقتـضى، إذ إنَّـك تقتـضي شـيئًا مـا بصفتـك المتكلـم، تعـدُّ حقيقيـة ذلـك الـشيء عـلى أنَّهـا ممّـا لا مِـراء فيـه، و تقـدر تلـك الحقيقيـة هـي في نظـر المتلقـي أيضًـا ممّـا لا جـدال فيـه[2].

تتمثـل عبـارة (الذيـن كفـروا) أو (الكافريـن) بوصفهـا مسرحًـا لظهـور المنطـوق والمقتـضى معًـا، فهـما لا ينفصـلان، إذ منطوقهـما لا يـؤدي في الوقـت

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤.

(٢)- Enounces perfomatifs pre'suppsition op. cit. p٤٤.



نفسه تهمة من جهة المنطوق، وحقيقية من جهة المقتضى، إنَّها اتهام في ضوء الحقيقية ونفي التهمة أي (المنطوق) لا يمكن إلَّا أنْ يمرَّ عبر نفي الحقيقية (المقتضى) ولا يتأتى ذلك إلَّا بمهاجمة القائل نفسه ومناصبته العداء، إذ يقول ديكر: (إنَّ نفي المقتضى يسهم في تحويل الحوار إلى خصومة...، فمهاجمة مقتضيات الخصم لا تكون إلَّا بمهاجمة الخصم نفسه)[1]، وهذا ما رأينا من خصوم الإمام الحسين عليه السَّلام، إذ لم يكتفوا بنقض الإيمان بالرسالة المحمّدية، بل عمدوا إلى قتل حامليها، وهم عترته الطاهرة، لاسيما الإمام الحسين عليه السَّلام بصفته إمام زمانه، والحامل الشرعيّ لتلك الرسالة كما ورد عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله قوله بحقِّ الحسن والحسين عليهما السَّلام: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».

أمَّا الظلم فهو (وضع الشيء غير موضعه، ومنه قول النابغة: والنَّوْيُ كالحَوْضِ بالمَظْلُومَةِ الجَلَدِ، والمظلومة الأرض التي حُفِر فيها ولم تكن موضع حفر، سميت بذلك؛ لأنَّ الحفر وضع غير موضعه، فكأنَّ الظالم هو الذي أزال الحقَّ عن جهته وأخذ ما ليس له)[2]، ويرى الراغب الأصفهانيّ أنَّ الظلم في القرآن على ثلاثة أنواع: ظلم بين الإنسان وبين الله، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، وظلم بينه وبين الناس، وظلم بينه وبين نفسه[3]، ويرى ابن عاشور أنَّ النوع الأوّل الأكثر شيوعًا في القرآن

---

(١) نفسه، ص٤٥.

(٢) تفسير غريب القرآن، ص٢٨.

(٣) المفردات، ص ٣١٨.

الكريم، إذ إنَّ كثيرًا ما تأتي صفة (الظالمين) و(الذين ظلموا) في القرآن الكريم مقصود بها المشركون[1].

لذا يمكننا أنْ نفهم قول الإمام الحسين عليه السَّلام: «بعدًا للقوم الظالمين»، أنَّ صفة الظالمين هنا تقتضي وجود دائرة وقع الخروج عنها، هي نقطة الحقّ، فهذهِ صفة الكافرين، خصوم القرآن، تضعهم موضع الاتهام في ضوء حقيقة ضمنية، هي حقيقة وجود الحقّ، الذي ضيعهُ الظالمون؛ لهذا عرف ابن عاشور الظلم بقوله: (الظلم الاعتداء على حقِّ صاحب الحقِّ)[2]، وهو ما يقتضي وجود حقٍّ وصاحب حقٍّ ملازمين لصفة الظالمين[3].

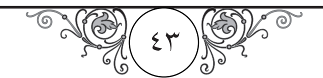
ومن هنا نستنتج أنَّ القوم الذين قاتلوا الإمام الحسين عليه السَّلام، الذين مثّلوا المتلقي في مسرح خطبته هم معتدون وظالمون؛ لأنَّهم اعتدوا على الحقِّ (الرسالة المحمّدية) وعلى صاحب الحقِّ وهو (حامل الرسالة)؛ لذلك جاءت التراكيب بأُسلوب الزجر من قبيل عبارات: (تبًا لكم) و(ويحكم) و(بعدًا للقوم الظالمين)، تراكيب استُمدت من الواقع الماضي، وما يختزله ذلك الواقع من تجارب إنسانية وأحداث تاريخية أو شخصية على نحو عبارات سياقية وحكِم وأمثال وحكايات وكنايات... وسواها، وهي بمجملها مستمدة من الواقع أو مقتبسة من النصوص المعروفة ذات

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ج٩/ ١٠٣.

(٢) التحرير والتنوير، ج٧، ٣٣٢.

(٣) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، ص، ١١٥- ١٢٢.



القيـم الاجتماعيـة.

فعبـارة (تبـًا لكـم) و(بُعـدًا للقـوم الظالمـين) عبـارات مثليـة، اسـتُعملت في القـرآن الكريـم والأدب العـربيّ بكثـرة، لذلـك حظيـت باهتـمام الأفـراد والجماعـات؛ لأنَّهـا عبـارات تسـتعمل داخـل القـول الحجاجـيّ بـما تقدمـه مـن تصـورات للأشـياء والأحـداث، ومـا تتضمنـه مـن مشـابهة يسـتدعيها سـياق القـول الحجاجـيّ نظـرًا لمـا تحدثـه هـذه البنيـات مـن تماثـلات عامـة، بينهـا وبـين الأهـداف مـن إدراجهـا وسـوقها، وهـي بذلـك تدخـل في إطـار التمثيـل الحجاجـيّ المسـتخدم في القيـاس الحجاجـيّ الإضـماريّ، شريطـة أنْ يكـون توظيفهـا في الحجـاج حسـب الخصائـص المميـزة لهـا، عـلى وفـق الـضرورة السـياقية أو المقاميـة.

نتائج البحث:

حـين لم تطـع الأُمَّـة ربَّهـا ومـا أنزله عـلى رسـوله الكريـم صـلَّى الله عليـه وآله في مـا بلَّـغ في (يـوم الغديـر) لمـا احتيـج إلى تضحيـات (يـوم فـدك) حيـثُ القيامُ الفاطمـيُّ الـذي دفعـت فيـه الزهـراء عليهـا السَّـلام حياتهـا ثمنًـا لـه، وهـي في عمـر الزهـور، فتـمادت الأُمَّـة في غيّهـا؛ فحصـل الانحـراف الاجتماعـي، والانحـدار بهـا، حتـى تطلَّـب تقويـمُ المسـار التضحيـة بـدم سـبط رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه وسـيد شـباب أهـل الجنـة وأهـل بيتـه وأصحابـه في (يـوم الطـف) وسـبي عقائـل النبـوّة.

تمثلـت حركـة الرسـول الأكـرم صـلَّى الله عليـه وآلـه بالتمهيـد لإمـرة عـليٍّ عليـه السَّـلام عـلى شـؤون الأُمَّـة مـن بعـده عـبر مرحلتـين، همـا: (مرحلـة

التلميح بالولاية) و(مرحلة التصريح بالولاية) وكلاهما بأمرٍ من الله تبارك وتعالى، وقد مثلت حادثة الغدير مرحلة التصريح، كي لا تبقى لهذه الأُمَّة عذر حينما ولَّت أمرها من لا يستحق.

إنَّ ما يميز عيد الغدير وتفرده من بقية أيام الله المباركة تضمينه عقد الأُخوّة، وتجديده مبدأ المؤاخاة الذي يعني إسقاط الحقوق كافة بين الأَخوين؛ كيما يصبح المجتمع المسلم كالبنيان المرصوص، لا تعصف فيه الرياح ولا تؤثر فيها الانحرافات، وفي ذلك إشارة دلالية إلى امتداد ولاية أمير المؤمنين عليه السَّلام منذ عقد أُخوّته مع رسول الله في مكة، ثمَّ في المدينة حتى أمر النبيُّ بإعلان ثمرة هذه الأُخوَّة، وهي الولاية الحقّة لأُمور المسلمين.

تنبأت الزهراء عليها السَّلام بما سيول إليه الأمر من عصيانهم أمر الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله باتخاذ عليٍّ عليه السلام خليفة لهم، قائلةً: «ليت شعري إلى أيِّ سنادٍ استندوا؟ وعلى أيِّ عمادٍ اعتمدوا؟ وبأية عروة تمسّكوا؟ وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا؟ لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلًا... أمَا لعمري! لقد لقحتْ، فنظرةٌ ريثما تُنتجُ، ثمَّ احتلبوا ملء القعب دمًا عبيطًا، وذعافًا مبيدًا، هناك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبَ ما أسسه الأولون، ثمَّ طيبوا عن دنياكم أنفسًا، واطمئنوا للفتنة جأشًا، وأبشروا بسيفٍ صارمٍ، وسطوة معتدٍ غاشمٍ، وهرجٍ شاملٍ، واستبدادٍ من الظالمين، يدع فيئكم زهيدًا، وجمعكم حصيدًا، فيا حسرةً لكم، وأنّى بكم؟ وقد عميت عليكم، أُنلزمكموها

وأنتم لها كارهون؟».

مثّلت ثنائية (الرضا والسخط) مقياس وحدة المصير في المجتمع الإسلامي، الذي تنطبق عليه معايير هذا المقياس، فإذا رضي الناس بعملٍ- وإن أتى به واحد منهم- فهم مشتركون في حكمه، وكذلك الحال عند اجتماعهم على السخط، وهذه سنةٌ كونيةٌ، إذ ينسب العمل الصادر من فردٍ إلى مجتمعه، وكذلك ينسب العمل الصادر من جيل إلى جيلٍ آخر، وذلك فيما إذا كان لهم جميعًا فكرٌ اجتماعيّ واحد، وإرادةٌ اجتماعيةٌ واحدة، فيوصفون حينها بأنَّهم ذوو روح اجتماعية واحدة، وقد تركت مخالفة الأُمَّة لتعاليم دينها آثارًا اجتماعية مؤلمة، عبَّر عنها سيد الشهداء عليه السَّلام: «إنَّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضا، فقال: فعقروها فأصبحوا نادمين» وما زالت الأُمَّة تدفع ثمنها، وأشدُّ ما فيها من آثارٍ انحطاطُها منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا.

لم يمارس النبيُّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله)وآل بيته عليهم السَّلام سلطتهم الشرعيّة بوصفهم الهادين للأُمَّة والمعصومين من الزيغ والزلل، المفترض طاعتهم على جميع أفراد المجتمع، وكأنَّهم يخاطبون المجتمعات الديمقراطية الحديثة، إذ لم تعتمد كلماتهم عليهم السَّلام على الإكراه بالدرجة الأُولى، بل على الإقناع والتأثير اللذين باتا من العناصر الحاسمة في إيصال الخطاب لفئات المجتمع كافة، عبر تحرك اللغة، وتغير الأزمنة والأمكنة، وهو نوع من السياسات اللغوية التي امتازت بها الخطابات (النبويّ، والفاطميّ، والحسينيّ) إذ لا شكَّ أنَّ فكرة الهيمنة عبر آلية الإقناع تحقق

إجماعًا مع التعدد الشكليّ والعقيديّ داخل المجتمع، وهو ما يعرف في اللسانيات الحديثة بـ(الهيمنة الناعمة).

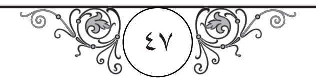
الاستنتاج:

تميز الخطاب في مدوّنة المعصوم بوضوح التعبير؛ لفتح مغاليق عقول المتلقين وسماع كلمات الأنبياء ودعوتهم للتوحيد الخالص، فقد اهتدى مَنْ اهتدى، وضلّ مَنْ ضل، عبر مراحل طويلة من الزمن؛ لأنَّ سنن المجتمع واحدة وثابتة، وإنَّ أي تجاوز عن تلك السنن يُعدُّ خروجًا عن دائرة التوحيد، فكان الخطاب متعدد الأبعاد، فعلى مستوى التعبير بلغ الذروة في البيان، حيث تمثل بتشكيل سلسلة من الأصوات اللغويّة، لها نظام معلوم وثابت، وعلى مستوى الإنجاز استعمال المسار الحجاجيّ المؤثر والناجح على وفق الطرح الإشكاليّ والنتيجة.

ومن السنن الإلهية في حركة التاريخ أنّ الأُمَّة سوف تعود يومًا إلى رشدها، وتعيد قراءة تراثها ولاسيما (حادثة الغدير) وتلتزم بالتبليغ الإلهي في تنصيب الإمام عليٍّ عليه السَّلام وأبنائه المعصومين أئمةً وقادةً أمناء على تنظيم شؤونها، يكون ذلك في يوم الظهور المبارك للإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[1].

قائمة المصادر والمراجع

(١) سورة القصص: ٥.





أُصول تحليل الخطاب في النظرية النحويّة العربيّة، تأسيس نحو النص، محمّد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، ٢٠٠١م، ب. ت.

إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، محمّد بن أبي بكر الزرعي(ابن قيم الجوزية)، دار الكتب العلمية، ط١.

بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسي، بيروت - لبنان، مؤسسة الوفاء، ط ٣، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

التحرير والتنوير، ابن عاشور محمّد الطاهر (ت ١٢٨٧هـ)، الدار التونسية للنشر والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام، د. ت.

تفسير غريب القرآن، عبد الله بن قتيبة، تحقيق: أحمد الصقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

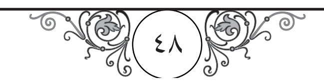
التنظيم الاجتماعيّ ثقافة التنظيم وتطبيقاته البيروقراطية د. متعب مناف جاسم.

التواصل نظريات ومقاربات، جاكسون، ترجمة: عزّ الدين الخطابيّ وزهور حوتي، ترجمة: عبد الكريم غريب، منشورات عالم التربية، ط١، ٢٠٠٧.

الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأُسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، ط٢، تونس، ٢٠٠٧م.

حياة محمد، اشنتجون أرفنج، ترجمة: علي حسيني الخربوطلي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠.

خطبة المرجع الديني الشيخ محمّد اليعقوبي (دام ظله) في الجموع



المحتشدة لتشييع فاطمة الزهراء عليها السَّلام في النجف الأشرف بتاريخ ٣/ج٢/ ١٤٣٣هـ الموافق ٢٥/ ٤/ ٢٠١٢م.

خلاصة الأذكار واطمئنان القلوب، محسن، الفيض الكاشاني، تحقيق: حسن النقيبي، د. م، الناشر: انتشارات زائر، ١٣٨٦ هـ. ش.

دليل سوسيو لسانيات، فلوريان كولماس، ترجمة: د. خالد الأشهب ود. ماجدولين النهيبيّ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٩م.

الروضة في المعجزات والفضائل، عباس القمِّي، قم، مكتبة السيد المرعشي، د. ت.

السنن الاجتماعية في القرآن الكريم، محمد السيسي، بحث منشور في مجلة رسالة القرآن، المغرب، العدد/ ١، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

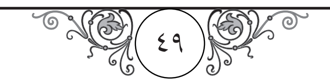
سوسيو لسانيات نهج البلاغة، د. نعمة دهش الطائيّ، دار مصر المرتضى للطباعة والنشر، ط١، بغداد- شارع المتنبي، ٢٠١٣م.

السيرة الحلبية، نور الدين الحلبي، مطبعة عبد الله الخليلي، بيروت، ٢٠٠٢م.

السيرة النبويّة، عبد الملك بن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ٢، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥م.

السِّيمياء، غيرو، بيار، ترجمة: أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط١، ١٩٨٤.

صحيح الترمذي: الترمذي، حديث: ٣٧٣٠ و ٣٧٣١، طبعة: دار الكتاب



العــربي، بيروت.

الطبقات الاجتماعية د. محمد ثابت الأفندي.

فاطمــة مــن المهــد إلى اللحــد، الســيد محمّــد كاظــم القزوينــيّ، مؤسســة الأمــير، مطبعــة النــبراس، النجــف الأشرف، ٦٢/ جمــادى الثانية/ ١٣٩٢هــ.

اللغة هُوية ناطقة، د. عبد الله البريدي كتاب من سلسلة كتاب المجلة.

اللغــة والهويــة إشــكاليات المفاهيــم وجــدل العلاقــات، فيصــل الحفيــان (بحــث في مجلــة التســامح - العــدد الخامــس)، مســقط، وزارة الأوقــاف والشــؤون الدينيــة، ٢٠٠٩م.

المصبــاح المنير أحمــد بــن محمــد بــن علــي الفيومــي المقــري (ت/ ٧٧٠هــ) دار الحديــث، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

معجــم مفــردات ألفاظ القــرآن الكريــم، الراغــب الأصفهــاني (ت، ٤٦٥هـ) تحقيــق: نديــم مرعشــلي، دار الكاتــب العــربي، مطبعة التقــدم العــربي، (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م).

المغازي النبويّة، محمّد بن عمر الواقدي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م.

مقتــل الحســين، أبــو المؤيــد الموقــف بــن حمــد المكــيّ الملقــب بالخوارزمــي (ت/ ٥٦٨هــ) النجــف، ب. ت.

موســوعة مقتــل الإمــام الحســين عليــه السّــلام، الســيد محمــد حســين المقــرَّم (ت/ ١٩٧١م)، دار المرتــضى للطباعــة والنــشر والتوزيــع، ط/ ١، بــيروت، (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

نهــج البلاغــة للإمــام عــليّ بــن أبي طالــب عليــه السَّــلام، ضبــط

نصّــه: د. صبحــي الصالــح، دار الحديــث للطباعــة والنــشر، قــم، ط٣، (١٤٢٦ق-١٣٨٤ش)، ص٤٨٩.

وسائل الشيعة، الحر العاملي (ت/ ١١٠٤هـ) تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٤١٤هـ.

.Enounces perfomatifs pre'suppsition op. cit. p٤٤

استراتيجيات الخطاب في القصائد الغديرية العصر العباسي أنموذجا

أ. د. سناء هادي عباس حبيب

الشعر عند كل أمة صورة منتزعة من واقعها و احداثها و صراعها مع ذلك الواقع وتعبيرا عن مأساتها و من الشعراء من ارتبط بمشكلات قومه و احتك بمعاناتهم و حمل قضاياهم وغدا شعره نقدا للواقع المؤلم و استشرافا لآخر أفضل منه.

وتأتي واقعة الغدير في هذا السياق فالشعر الغديري لا يقف عند وصف الواقعة، بل ينهض بحمل مسؤولية الرسالة الإسلامية و الدفاع عنها. وقضية الغدير التزمتها التزاما عقائديا طائفة كبيرة من الشعراء؛ إذ إنها من أخطر القضايا الإسلامية وأشدها حساسية، ترسم للمسلم خط مسيره الفكري والعقائدي والتشريعي والعاطفي و ارتباطه الشعوري.

و قد تنوعت الاستراتيجيات للخطاب الشعري الغديري، واختلفت طرائق الشعراء في إيصال مقاصدهم.

ويعمل البحث على كشف تلك الاستراتيجيات وبيان أهميتها وإنزالها منازلها، فالعالم اليوم يعتمد لغة الخطاب بديلا مثاليا لوسائل التفاهم الأخرى سواء، في الحوارات الدبلوماسية أو في النقاشات السياسية أو في الحياة اليومية، اذ تكمن أهمية استراتيجيات الخطاب في كل مجالات الحياة

الاجتماعية والسياسية والتعليمية و الاقتصادية وتهدف الى تطوير الذات الإنسانية التخاطبية وتقريب وجهات النظر وإيضاح الحقائق و توجيه الجمهور صوب الوجهة التي ترتضيها الحياة الثقافية والفكرية المتزنة؛ ذلك إن للغة من المنظور التداولي وظيفتان رئيستان ترتبط بمقاصد الإنسان الوظيفة التعاملية و الوظيفة التفاعلية.

ويقف البحث على بيان مفهوم الاستراتيجية في الخطاب ورصد أهم الأنواع التي تجلت في الخطاب الشعري الغديري عند طائفة الشعراء العباسيين وهي:

١- الاستراتيجية التوجيهية ومسوغاتها وآلياتها.

٢- الاستراتيجية التلميحية ومسوغاتها وآلياتها.

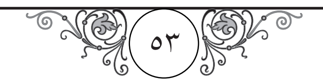
٣- استراتيجية الإقناع ومسوغاتها وآلياتها.

في هذه الدراسة نعمد أولا إلى تحديد مفهوم الخطاب والاستراتيجية، وإلى الكشف عن جملة العناصر التي تتضافر فيما بينها لإنتاج الخطاب أثناء مختلف عمليات التواصل مع المتلقي، مع إبراز فعاليتها التداولية في مجال تحليل الخطاب، وما يحيط به من سياقات لغوية وغير لغوية تسهم بقدر كبير في تحديد جنس ذلك الخطاب.

أولا مفهوم الخطاب:

وردت تعريفات متنوعة للخطاب بوصفه فعلا يجمع بين القول و الفعل:

و الخطاب عند العرب



وردت كلمة الخطاب في القران الكريم، قال تعالى: ﴿ و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾[1] و ﴿ وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾[2]، و يرى الفخر الرازي في تفسيره أن (الخطاب)علامة من علامات حصول القدرة على الإدراك و الشعور التي يمتاز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات[3]؛لان (فصل الخطاب) يعني ان الإنسان قادر على التعبير عن كل ما يخطر في البال.

و و رد اسم المفعول (المخاطب) عند ابن يعيش النحوي للدلالة على المرسل إليه، عند حديثه المضمرات ((و المضمرات لا لبس فيها و استغنت عن الصفات؛لأن الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات و الأحوال المقترنة بها حضور المتكلم و المخاطب و المشاهد لها..))[4]

و ورد لفظ الحطاب عند الأصوليين بمعنى الإفهام، قال الآمدي في تعريف الخطاب:((اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه))[5]

بيد أنه يخرج العلامات غير اللغوية من تعريفه و وقف عند العلامات اللغوية التي تنطلق منها معرفة الأحكام الشرعية.[6]

(١) سورة الفرقان: ٢٥

(٢) سورة ص: ٣٨

(٣) التفسير الكبير مفاتيح الغيب:ج٢٦، ص١٨٧

(٤) شرح ابن يعييش: ٣/ ٤٨

(٥) الإحكام في أصول الأحكام: ١٣٦

(٦) اللسان والميزان:٢١٥

الخطاب عند الغربيين

ورد الخطاب لأول مرة عند العالم اللغوي هايمز وناله التعدد بتأثير الدراسات اللغوية الشكلية، واجمالا للخطاب عند الغرب مفهومان:

المفهوم الأول: اللفظ المجه الى الغير، بإفهامه قصدا معينا.

المفهوم الثاني: الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة، فإذا كانت اللغة موجودة بالقوة، فالخطاب يوجد بالفعل وفقا لسوسير[1].

و الخطاب في داخل إطار سياق التواصل الاجتماعي ((الملفوظ منظورا إليه من وجهة نظر آليات وعمليات اشتغاله في التواصل و المقصود بذلك الفعل الحيوي نتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في مقام معين و هذا الفعل هو عمليات التلفظ))[2]

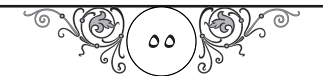
ويحيل الحطاب على عناصر السياق الخارجية في إنتاجه وتشكيله اللغوي وكذلك في تأويله كما في الاستراتيجيات التلميحية ذات المقصديات غير المباشرة التي تحتمل أكثر من دلالة وأكثر من مقصد. و قد ينتج الخطاب بعلامات غير لغوية كما هو الحال في التمثيل الصامت و الرسم الكاريكاتوري.

و يعبر الخطاب عن مقاصد المرسل و يحقق أهدافه مما يبرز العلاقة المتبادلة بين نظام اللغة و سياق استعمالها، مركزا على فرصة اقتناص المرسل لفرصة استثمار المستويات اللغوية بتوطين المستوى الصوتي و

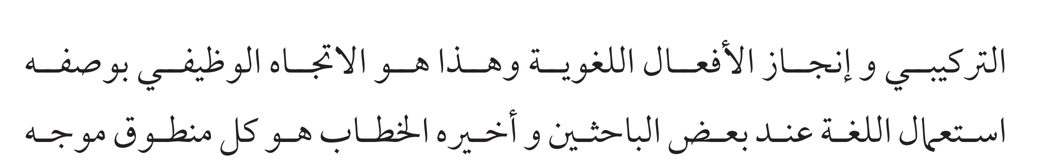
---

(١) الأصول:٣٣٢

(٢) استراتيجيات الخطاب:٣٥







التركيبـي و إنجـاز الأفعـال اللغويـة وهـذا هـو الاتجـاه الوظيفـي بوصفـه استعمال اللغـة عنـد بعـض الباحثين و أخـيره الخطـاب هـو كل منطـوق موجـه الى الغـير بغـرض إفهامـه مقصـود معينـا[1] .

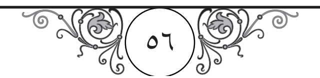
الاسـتراتيجية: هـي التنظيـم عنـد التلفـظ بالخطـاب ليتناسـق مـع مقتضيـات السياق، ويتحتـم عـلى المرسـل أن يختـار الاسـتراتيجية المناسـبة التي تسـتطيع ان تعبر عـن قصـه ونحفيـف هدفـه بأفضـل حالـة [2] .

و إن قصائـد الغديـر عينـة الدراسـة تتحقـق عـبر خطابـات كثـيرة، و كل خطـاب يمثـل اسـتراتيجية و تتدخـل عنـاصر السـياق الاجتماعيـة في تحديـد استعمالات اللغـة و في انتشـار بعـض الاسـتراتيجيات عـلى حسـاب انحسـار بعضهـا الأخـر مثـل اسـتعمال اسـتراتيجية التوجيـه في الخطابـات الغاضبـة والخطابـات التـي مسـوغها التعنيـف والتحضيـض واللـوم الرفـض لمناصبـي العـداء للإمـام عـلي عليـه السـلام ولأهـل بيـت الرسـول صـلى الله عليـه والـه وسـلم، و قـد تتوافـر وتسـود اسـتراتيجيات التـأدب في الخطـاب الدبلومـاسي والـذي يوقـر المرسـل الـه ويعـزز بكثـير مـن الاحـترام فيمـدح الإمـام عـلي عليـه السـلام ويوقـره ويؤمـن بالبيعـة الغديريـة ويرمـي ناكثيهـا بالوصـم بالـوب غـير مبـاشر، وإذا كان الخطـاب الغديـري يصـور أطـراف الخطـاب تسـودهم علاقـات متباينـة الـرأي، أو منـاخ اجتماعـي غـير منسـجم، فعندئـذ تطغـى اسـتراتيجية الحجـاج و الإقنـاع الحـواري.

---

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٩٨

(٢) استيراتيجيات الخطاب:٣٧



حديث الغدير وتفسيره عند علما الشيعة و السنة

حديث الغدير هو حديث صحيح يصل لدرجة التواتر عند السنة والشيعة، مروي عن الرسول محمد في يوم ١٨ من ذي الحجة سنة ١٠ هـ، في طريق عودته بعد حجة

الوداع في غدير يُدعى خُم قُرب الجحفة. يستدل الشيعة بهذا الحديث بالإضافة لأحاديث أخرى على خلافة علي بن أبي طالب، بينما يقول علماء السنة بأنَّه دلالة على منزلة علي بن أبي طالب العالية. يحتفل الشيعة بهذا اليوم كل عام في مناسبة تُدعى عيد الغدير بأعمال كالصوم والغُسل.

نص الحديث عند الشيعة

يقول عبد الحسين الأميني في كتابه الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ((.. فلما انصرف (رسول الله) صلى الله عليه وآله من صلاته قام خطيبا وسط القوم على أقتاب الإبل وأسمع الجميع، رافعا عقيرته قال:

حديث الغدير الحمد لله ونستعينه ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا الذي لا هادي لمن ضل، ولا مضل لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد: أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجبت، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيرا، قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأنَّ جنَّته حقّ ونارَه حق وأن الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن

الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد، ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟ قالوا: نعم. قال: فإني فرط على الحوض، وأنتم واردون علي الحوض، وإن عرضه ما بين صنعاء وبُصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فنادى منادٍ: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عِترَتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتى يراد على الحوض فسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤيَ بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه، يقولها ثلاث مرات، وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرات ثم قال: اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبَّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، ثم لم يتفرقوا حتى

نزل أمين وحي الله بقوله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا.[1] فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي، والولاية لعلي من بعدي

(١) سورة المائدة:٣

ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين صلوات الله عليه وممن هنأه في مقدم الصحابة: الشيخان أبو بكر وعمر كل يقول: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وقال ابن عباس: وجبت والله في أعناق القوم، فقال حسان: إئذن لي يا رسول الله أن أقول في علي أبياتا تسمعهن، فقال: قل على بركة الله، فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية ثم قال:

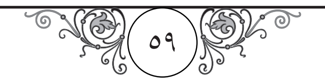
«يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم فاسمع بالرسول مناديا»[1]

تفسير الحديث عند الشيعة

يري الشيعة أن هذا دليل علي أن الإمامة لعلي بن أبي طالب، تقول المراجع الشيعية أن في هذا اليوم نزلت الآية ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾ وأن إتمام الدين هو الإيمان بالإمام والولي علي بن أبي طالب من بعد الرسول محمد، وتقول أيضًا أن جميع المسلمين والمسلمات قد بايعوه في هذا اليوم على السمع والطاعة.. و يستدلون عليها بما يأتي:

١- أن الأمر كان مهما للغاية؛إذ إن النبي يبلغ ما يؤمر به و لو كان لم يبلغ ما أمر به لما كان بلغت رسالته فالأمر الذي أمر الرسول كان يرادف النبوة بعظمتها و عدم الإبلاغ كان يساوي عدم إبلاغ النبوة بأكملها(وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ).

(١) موسوعة الغدير: ٢/ ٧٩



٢- و هـي أن هـذا الأمـر ليـس كالصـلاة و الصـوم و الحـج لأن عنـد نـزول سـورة المائـدة في السـنة الأخـيرة مـن حياتـه صـل الله عليـه و آلـه كان النبـي قـد بـين جميـع الأركان الإسـلامية لذلـك الزمـان.

٣- و هـي أن المسـتفاد مـن الأيـة هـو أن كان قـد يظهـر الكثير مـن المعارضين لهـذه القضيـة حيـث كان مـن المحتمـل أن تتعـرض حيـاة النبـي للخطـر. ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُـكَ مِـنَ النَّاسِ﴾[1].

٤- تهنئـة الصحابـة لعـلي: نقلـت المصـادر بعـد سردهـا لحادثـة الغديـر قـول أبي بكـر وعمـر بـن الخطـاب لعـلي بـن أبي طالـب: بـخٍ بـخٍ لـك عـلي، لقـد أصبحـت مـولاي ومـولى كل مؤمـن ومؤمنـة.[2]

تفسير الحديث عند أهل السنة:

عنـد أهـل السـنة فـإن الحديـث صحيـح رواه مسـلم وأحمـد ويدل عـلى فضل عـلي، أنـه مـن آل بيـت النبـي ومكانتـه، غـير ان جماعـة مـن مفسريهـم وعلماؤهم لم يـروا في حديـث الغديـر نصـا عـلا خلافـة الإمـام عـلي عليـه السـلام كابـن تيميـة و ابـن كثـير: قـول ابـن تيميـة:

((ليـس في هـذا الحديـث - حديـث غديـر خـم - مـا يـدل عـلى أنـه نـص عـلى خلافـة عـلي، إذ لم يـرد بـه الخلافـة أصـلاً، و ليـس في اللفـظ مـا يـدل عليـه، ولـو كان المـراد بـه الخلافـة لوجـب أن يبلـغ مثـل هـذا الأمـر العظيـم

(١) سورة المائدة:٧٦

(٢) حديث الغدير ويكبيديا

بلاغـاً بينـاً))[1]، وقـال ابـن كثـير:

((و أمـا مـا يفتريـه كثـير مـن جهلـة الشـيعة والقصـاص الأغبيـاء مـن أنـه أوصى - أي النبـي - إلى عـلي بالخلافـة فكـذب وبهـت وافـتراء عظيـم، يلـزم منـه خطـأ كبـير مـن تخويـن الصحابـة وممالأتهـم بعـده عـلى تـرك تنفيـذ وصيتـه وإيصالهـا إلى مـن أوصى إليـه وصرفهـم إياهـا إلى غـيره لا لمعنـى ولا لسـبب))[2]

و انبرى جمع أخرمن علماء السنة لتصحيح حديث الغدير، منهم:

١- محمد بن جرير الطبري (توفي سنة ٣١٠هـ)

قـال الطـبري: ((طـرق حديـث غديـر خـم في أربعـة أجـزاء رأيـت شـطره فبهـرني سـعة رواياتـه وجزمـت بوقـوع ذلـك)). [3]

٢- أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (توفي سنة ٣٢١هـ)

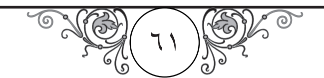
كـما حدثنـا أحمـد بـن شـعيب قـال: أخبرنـا محمـد بـن المثنـى قـال: حدثنـا يحيـى بـن حمـاد قـال: حدثنـا أبـو عوانـة، عـن سـليمان يعنـي الأعمـش قـال: حدثنـا حبيـب بـن أبي ثابـت، عـن أبي الطفيـل، عـن زيـد بـن أرقـم قـال: لمـا رجـع رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم عـن حجـة الـوداع ونـزل بغديـر خـم أمـر بدوحـات فقـم مـن، ثـم قـال: «كأني دعيـت فأجبـت، إني قـد تركـت فيكـم الثقلـين، أحدهمـا أكـبر مـن الآخـر: كتـاب الله عـز وجـل وعـترتي أهـل بيتـي، فانظـروا كيـف تخلفـوني فيهـما، فإنهـما لـن يتفرقـا حتـى يـردا عـلي الحـوض» ثـم

---

(١) حديث الغدير ويكبيديا - منهاج السنة:٤/ ٨٤

(٢) البداية و النهاية:٥/ ٢٢٦

(٣) تاريخ الإسلام:٢٣/ ٢٨٢



قال: «إن الله عز وجل مولاي، وأنا ولي كل مؤمن» ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: «من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» فقلت لزيد سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينيه، وسمعه بأذنيه. قال أبو جعفر (الطحاوي): فهذا الحديث صحيح الإسناد، لا طعن لأحد في أحد من رواته، فيه إن كان ذلك القول كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بغدير خم في رجوعه من حجه إلى المدينة لا في خروجه لحجه من المدينة.[1]

٣- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (توفي سنة ٧٤٨هـ)

نقل ابن كثير عن شيخه الذهبي أنه قال: وصدر الحديث متواتر أتيقن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله، وأما: «اللهم وال من والاه» فزيادة قوية الإسناد[2].

٤- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (توفي سنة ٨٥٢هـ)

وأما حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقد أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جدا، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان، وقد روينا عن الإمام أحمد قال: ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن علي بن أبي طالب. وقال في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام: لم يجاوز المؤلف (الحافظ المزي)

---

(١) شرح مشكل الاثار:٨٣

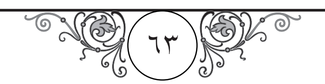
(٢) السيرة النبوية: ٢/ ٣١٠

ما ذكر ابن عبد البر وفيه مقنع ولكنه ذكر حديث الموالاة عن نفر سماهم فقط وقد جمعه ابن جرير الطبري في مؤلف فيه اضعاف من ذكر وصححه واعتنى بجمع طرقه أبو العباس ابن عقدة فأخرجه من حديث سبعين صحابيا أو أكثر أما حديث الراية يوم فتح خيبر فروي أيضا عن علي والحسين والزبير بن العوام وأبي ليلى الأنصاري وعبد الله بن عمرو بن العاص وجابر وغيرهم وقد روي عن أحمد بن حنبل أنه قال لم يرو لاحد من الصحابة من الفضائل ما روي لعلي وكذا قال النسائي وغير واحد وفي هذا كفاية[1].

٥- محمد ناصر الدين الألباني (توفي سنة ١٤٢٠هـ)

قال: وللحديث طرق أخرى كثيرة جمع طائفة كبيرة منها الهيثمي في -المجمع- (٩/ ١٠٣-١٠٨) وقد ذكرت وخرجت ما تيسر لي منها مما يقطع الواقف عليها بعد تحقيق الكلام على أسانيدها بصحة الحديث يقينا، وإلا فهي كثيرة جدا، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، قال الحافظ ابن حجر: منها صحاح ومنها حسان. وجملة القول أن حديث الترجمة حديث صحيح بشطريه، بل الأول منه متواتر عنه صلى الله عليه وسلم كما ظهر لمن تتبع أسانيده وطرقه، وما ذكرت منها كفاية. وأما قوله في الطريق الخامسة من حديث علي رضي الله عنه: -وانصر من نصره واخذل من خذله- ففي ثبوته عندي وقفة لعدم ورود ما يجبر ضعفه، وكأنه رواية بالمعنى للشطر الآخر من الحديث: -اللهم وال من ولاه وعاد

(١)-١ فتح الباري: ٧/ ٦٨



من عاداه-. ومثله قول عمر لعلي: -أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة-. لا يصح أيضا لتفرد علي بن زيد به كما تقدم. إذا عرفت هذا، فقد كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث وبيان صحته أنني رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية قد ضعف الشطر الأول من الحديث، وأما الشطر فزعم أنه كذب! وهذا من مبالغته الناتجة في تقديري من تسرعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها ويدقق النظر فيها، والله المستعان[١].

وقف ثلة من الشعراء ومنهم شعراء العصر العباسي يدافعون وينافحون عن الدين الإسلامي و عقائده والتزموا نصرة أهل بيت الرسول عليه الصلاة و على آله السلام و تخليدا الوقائع الخاصة بهم واظهار مظلوميتهم و وخصالهم الأخلاقية و الإنسانية وشجاعتهم ونبلهم من بين الخلق الأمر الذي دعا إلع الكون لاختيارهم أئمة على العباد.

وعزمت الباحثة ان تكون من أنصار أئمة أهل البيت بتوفيق من الله تعالى بهذا الجهد البسيط و دراسة اهم الاستراتيجيات التداولية لإظهار مقاصد الشعراء في إظهار أحقية الإمام عليه السلام ببيعة الغدير و الرد على كل منافق وراء نكرانه حب الحياة ومتعها وبغض الإمام وحسده.

و قد اخترت ثلاثة استراتيجيات أساسية في علم التداولية لدراستها في القصائد الغديرية في الشعر العباسي، وهي الاستراتيجية التوجيهية التي تهتم بالمقاصد المباشرة وأبرز آلياتها التحضيض و الأسلوب التوجيهي

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة::٤/ ٣٣٠الحديث رقم ٧٥٠

الـذي يبغـي إيصـال الحقيقـة مـن غـير الاعتبـار بأسـاليب التـودد بـين المخاطبـين واسـتراتيجية التلميـح تعـير بـالا لمبـدأ التعـاون في الخطـاب بـين لمرس و المرسـل إليـه لإيصـال الرسـالة وتحقيـق الهـدف بدعـوة المرسـل إليـه بالخضـوع والتسـليم و الانقيـاد للأفـكار المطروحـة في القصائـد الغديريـة، و اسـتراتيجية الإقنـاع التـي تتخـذ مـن الحجـاج المنطقـي و العقـلي ومسـوغاتها اللغويـة سـبيلا لدحـض حجـج الطـرف المقابـل مـن الخطـاب.

أولا: الاستراتيجية التوجيهية

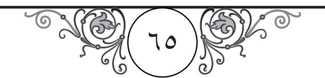
هـذه الاسـتراتيجية المرسـل يـولي عنايتـه لتبليـغ قصـده و تحقيـق هدفـه الخطـابي، و يـود بهـذه الاسـتراتيجية أن يفـرض قيـدا [1] عـلى المرسـل إليـه بشـكل أو بآخـر، يوجهـه لمصلحتـه و بإبعـاده عـن ضرر، فهـي اسـتراتيجية تتعلـق بخطابـات النصـح والتحذيـر.

وقـد يكـون المرسـل إليـه متخيـلا و لا سـيما في الخطابـات الشـعرية مما يؤكـد عـدم حضـوره العينـي، و الخطـاب التوجيهـي ليـس فعـلا لغويـا فحسـب بـل وظيفـة مـن الوظائـف اللغويـة التـي تعنـى بسـلوك المرسـل و علاقاتـه الشـخصية حسـب هاليـداي « إذ إن اللغـة تعمـل عـلى أنهـا تعبـير عـن سـلوك المرسـل وتأثـيره في توجهـات المرسـل إليـه وسـلوكه» [2]

و في هـذه الاسـتراتيجية يـمارس المرسـل سـلطة تتأرجـح بـين الوجـوب و النـدب و الاسـتحباب فيسـتعمل خيـارا منحرفـا عـن قواعـد التـأدب و

(١)- استراتيجيات الخطاب: ٣٢٢

(٢)- م. ن ٣٢٤



الـود و ذلـك حينـما يشـعر بالتفـاوت في مسـتوى التفكـير بينـه و بـين المرسـل إليـه، فيسـتخدم اسـتراتيجية التحضيـض لإقصـاء مـا قـد يحـدث مـن تهميـش المرسـل إليـه لاعتبـار التأثـير عـلى نفسـيته ولتصحيـح الفكـرة وإعـادة الهيبـة لهـا بتجسيدها بالفعـل الإنجـازي الـذي يمثـل إصرار المرسـل وعـلى حصـول أعـلى مقتـضى لخطابـه، و التمسـك بمدلولـه « فمدلولـه الحـرفي هـو الفيصـل عنـد اللبـس في ذهـن المرسـل إليـه »[1]

و يتوجـه الشـاعر عبـد المحسـن الصـوري مسـتخدما سـلطته ضـد أعـداء الإمـام عـلي عليـه السـلام لشـعوره بتجاوزهـم حـدود النقـاش و الحـوار محـاولا الارتفـاع بمنزلتـه بخطـاب حجاجـي لإثبـات أحقيتـه:

حقدتم عليهم حقودا مضت ... و أنتم بأسيافهم مسلمونا
جحدتم مولاة مولاكم ... و يوم الغدير بها مؤمنونا
و أنتم بما قاله المصطفى ... و ما نصّ من فضله عارفونا
و قلتم رضينا بما قلته ... و قالت نفوسكم ما رضينا[2]

لقـد أخـذت القصائـد الغديريـة عـلى عاتقهـا تصويـر جوانـب القضيـة مـن كل وجوههـا و الصـوري يبـين نكـث البيعـة عنـد أعـداء الإمـام عليـه السـلام بخطـاب مبـاشر موضـح وفاضـح لسريـرة القـوم والمعـادي نـأى عـن أسـلوب التـودد والتـأدب الى أسـلوب التحضيـض الـذي غلبـت عليـه الغلظـة و هـو و ان كان أسـلوبا خبريـا لكنـه يـؤدي الوظيفـة التوجيهيـة عـبر مسـوغاته الفكريـة

(١)- م. ن ٣٢٩

(٢)- ديوان ابن غلبون الصوري:٢/ ٦٨

فلما كان يحمل فكر الإخلاص و الولاء للأمام، دعا بتنكيله الأعداء الى الكف عن نفاقهم فهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم

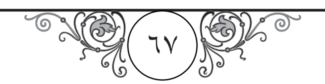
و من الاستراتيجيات التوجيهية التي اتخذت التحضيض خطابا توجه الى المرسل إليه إذ نم عن غضب شيد فالقوم لم يقفوا عند حدود نكران الغدير بل قتلوا الإمام واتبعوه قتل ابنائه فالى أي غي وصلوا قول أبي تمام:

أثم جعلتم حظه حد مرهف	من البيض يوما حظ صاحبه القبر
بكفي شقي وجهته ذنوبه	الى مرتع يرعى به الغي و الوزر
الى منزل يلقى به العصبة الأُولى	حداها الى طغيانها الافن و الخسر
هراقوا دمي سبطيهم وتمسكوا	بحبل عمى لا المحض فتلا و لا الشزر
فهلاّ انتهوا عن كفر ما سلفت به	صنائعهم إذ لم يكن عندهم شكر
و هلاّ اتقوا فضل احتجاج نبيهم	إذا ضمهم بعث من الله أو حشر[1]

ان الخطاب حافل بأساليب دالة على الغضب تمثل إصرار من المرسل على تنفيذ قصده بإنجار الفعل و الرغبة في إظهار السلطة وحصول أعلى مقتضى لخطابه بالمدلولات الحرفية فهي الفيصل الذي لا يقبل اللبس و الغموض و التأويل الخاطيء فضلا عن أساليب التحضيض اللغوية في الأبيات الأخيرة و ذلك قوله: من(الطويل).

أثم جعلتم حظه حد مرهف	من البيض يوما حظ صاحبه القبر
بكفي شقي وجهه ذنوبه	الى مرتع يرعى به الغي و الوزر
الى منزل يلقى به العصبة الأُولى	حداها الى طغيانها الافن و الخسر

(١) ديوان أبي تمام: ١/ ٤١١



هـراقـوا دمـي سبطيهم وتمسكوا بحبل عمى لا المحض فتلا و لا الشزر

فالاستراتيجية التوجيهية تعد نوعا من الضغط و التدخل على المرسل إليه و ذلك سبب تجاوز المرسل لتهذيب الخطاب[1]

و من ترك تهذيب الأسلوب بسبب الغضب على أعداء الإمام لأنهم بدلوا قولهم يوم الغدير، قول الشاعر علاء الدين الحلي: من (البحر البسيط)

وبـدّلـوا قـولهـم يـوم الـغـديـر له	غـدرا وم عدلوا في الحب بل عدلوا
حتى إذا فيهم الهادي البشير قضى	و مـا تهـيّـا لـه لحـد و لا غسل
مـالـوا إلـيـه سراعـا و الـوصي برز	ء المـصـطـفـى لاه و مـشـتـغـل
و قـلـدوهـا عـتيـقا لا أبـا لـهم	أنـى تـسـود أسـود الـغـابـة الهمل
وخاطبوه أمير المؤمنين و قد تيقنوا	الـفـيـهـا أنـه في ذاك منتحل
و أجمعوا الأمر فيما بينهم وغوت	لهـم أمانيهم و الجهل و الامـل[2]

ان هذا اللون من الاستراتيجية يستعمل في سياقات ضيقة تتدخل فيها سمات الفرد الشخصية مما يجعل التوجيه منصبا عليه وحده و هو يبدوا كا يوضح ريول

« بانه مكن ان نتحدث لنجعل شخصا كما في حالة الأمر، أو النصيحة أو الرجاء أو الرفض أو المنع »[3] و الشاعر يبدوا رافضا سلوك القوم وآمرا لهم التغيير و التبديل نحو الأفضل و هو نوع من التوجه بالفاظ المعجم.

(١)- استراتيجيات الخطاب: ٣٢٣

(٢) موسوعة الغدير:٦/ ٥٤٤

(٣) التداولية عند العرب: ١٥

ثانيا: الاستراتيجية التلميحية:

يعدل عن الاستراتيجية التوجيهية إلى الاستراتيجية التلميحية عندما يلمّح بالقصد عبر مفهوم الخطاب للسياق لينتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب و يفهمها المرسل إليه.

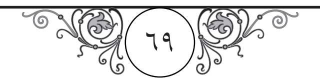
ان السياق يمنح خطاب الطرف الثاني أكثر من قصد، فليس الأخبار هو القصد الوحيد عند المرسل بل وراءه قصد آخر قد يكون رفضا أو تهكما:

والمقصود بأسلوب التلميح إيصال القناعة بفكرة ما إلى ذهن السامع، عن غير التلقين المباشر، فقد يكون عن طريق قصة مثلاً أو تعريضاً، وتكون إما بلسان المقال، كأن يتحدث بكلام عن غيرها، وينبه ضمنا في الوقت ذاته عنها، أو بلسان الحال، بأن يفعل ما يدل عليها، أو يترك فعل ما يأمر بها.

ومن الاستراتيجيات التلميحية عند العرب: عقد عبد القاهر الجرجاني فصلا في « اللفظ يطلق و المراد به غير ظاهر.. » إذ يدور الأمر في الأعم على شيئين الكناية و المجاز»[1]

مِنْ مَواقعِ الخطاب التلميحي، اختيارُ الكلماتِ والحروف والتّراكيبِ التي تُوافقُ المقاصدَ حّتى تحصلَ بَلاغةُ المَعْنى بتحقُّقِ بَلاغةِ اللفظِ؛ ومن ذلك اختيار الحذفِ بَدَل الذّكر لأنّ الحذفَ لِما هو مَعْلومٌ، ولأنّ تعمُّدَ

(١) دلائل الاعجاز: ١٥٤





ذكـرِ المحـذوفِ سـيُثقلُ اللفـظَ والمَعْنـى، فحـذفُ المَعْلـومِ جائـزٌ أو مُتعـيِّنٌ[1].

وعَكْسُـه التوكيـد والتَّكْـرارُ فقَـد يَكـونُ الـكَلامِ مبنيـاً عـلى ذكـر الكلـماتِ أو تكرارهـا؛ لأنّ في التّكريـر تَقْريـراً وتثبيتـاً وتمكينـاً.

ويُقـاسُ عـلى الحـذف والتَّكْـرارِ مـا لا يَـكادُ يُحصَى مـن الوُجـوه اللّغويّـة والأسـاليبِ البلاغيّـةِ التـي يعمـدُ إليْهـا المتكلّـمُ؛ فتلـك هـي البلاغَـة.

الحذ ف

الحـذف ظاهـرة لغويـة تشـترك فيهـا اللغـات الإنسـانية، لكنهـا في اللغـة العربيـة أكثـر ثباتًـا ووضوحًـا؛ لأن اللغـة العربيـة مـن خصائصهـا الأصيلـة الميـل إلى الإيجـاز والاختصـار، والحـذف يعـد أحـد نوعـي الإيجـاز وهمـا: القـصر والحـذف، وقـد نفـرت العـرب ممـا هـو ثقيـل في لسـانها، ومالـت إلى مـا هـو خفيـف. والحـذف في اللغـة: القطـع والإسـقاط؛ جـاء في الصحـاح: «حَـذْفُ الـشيءِ: إسـقاطُه.[2] قـال الشـاعر ابـو الحسـن المنصـور

ولا بـد للـملك مـن رجعـة ... إلـى مسـلك المنهـج الأقـوم

إلى النـفر الشـم أهـل الكسـا ... ومـن طلـب الحـق لم يظلم[3]

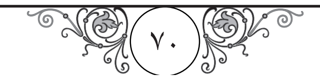
يـأول النحـاة خـبر لا النافيـة للجنـس محـذوف بعـد لا بـد ويقـدر بلفـظ (موجـود)[4] ويلجـأ المرسـل الى اسـتراتيجية الحـذف، إذا كان في الذكـر خـوف

(١) الخصائص: ٢/ ٦٥

(٢) ينظر الخصائص:٢/ ٨٥

(٣) موسوعة الغدير:٦/ ٣٧٩

(٤) معاني النحو:١/ ٢٣٤



حدوث فتنة أو أذى أو غرور وتعاظم، وذلك كامتناع القوم الاعتراف بما لأهل الكساء عند الله من المكانة العظيمة، خوفا من طغيانهم، و رفضهم الحق الثابت في كتاب الله لهم.

قال الناشيء الصغير:

ومـا زال كشّافاً دياجيرَ غمرةٍ　　　يمزِّقها عن وجهِهِ الفتحُ والنصرُ

هو السيفُ سيفُ اللهِ في كل مشهدٍ　　　وسيفُ الرسولِ لا ددانٍ ولا دثرٍ[1]

حذف المرسل(اسم ما زال) ومقصوده (علي عليه السلام) للوصول سريعا الى الخبر عند الاعتراف لصاحب الفضل ومراعاة مشاعر مواليه، ثم عمد في البيت الثاني الى الذكر و الإفصاح لمواجهة المنكر من لا رغبة له في مواجهة الحقيقة الناصعة، و ربما تؤذيه أو تحزنه.

التوكيد و التكرار

يؤكد الشاعر المحسن الصوري مقام أهل البيت الذي اختاره الله لهم وولائه لهم في أبيات تتنوع الملامح التوكيدية و تتكرر، فيستخدم التوكيد بالنفي و الاستثناء و تكرار الضمير هم و تكرار الكلمة:

فهل ترك البين من أرتجيه　　　من الأولين أو الاخرينا

سوى حب آل نبي الهدى　　　فحبهم أمل الاملينا

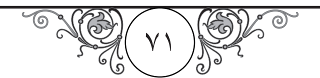
هم عدتي لوفاتي هم　　　هم نجاتي هم الفوز للفائزينا

هم مورد الحوض للواردين　　　و هم عروة الله للواثقينا

يدعون من طلب الصالحات　　　فكن بمحبتهم مستعينا

---

(١) ديوان الناشيئ الصغير:٦٣



هـم حـجـة الله في أرضـه — و إن جحد الحجة الجاحدونا

هم الناطقون هم الصادقون — و أنتم بتكذيبهم كاذبونا

هم الوارثون علوم الرسول — فما بالكم لهم وارثونا[1]

واستخدم ابن العودي النيلي استراتيجية التلميح من خلال حرف القسم (الباء) في قصيدة غديرية؛ اذ يكرر القسم بآل البيت و يتوسل بهم الى الله في طلب الرحمة و الرأفة والتجاوز عن الذنوب قال:

فيا رب بالأشباح آل محمد — نجوم الهدى للناس و الافق مظلم

و بالقائم المهدي من آل محمد — و آبائه الهادين و الحق معصم

تفضل على العوديّ منك برحمة — فأنت إذا استرحمت تعفو و ترحم

تجاوز بحسن العفو عن سيئاته — إذا ما تلظت في المعاد جهنّم

و منَّ عليه من لدنك برأفة — فإنك أنت المنعم المتكرم[2]

ومن آليات التوكيد للاستراتيجية التلميحية أداة (إنما)التي تستخدم في التوكيد و الحصر وقد أفاد منها الشاعر الحميري في حصر ولائع بابن عم الرسول الإمام علي عليه السلام:

أحمد الخير نادى مجاهرا — بمقال منه لم يفتعل

إنما مولاكم بعدي إذا — حان موتي و دنا مرتحلي[3]

ابن عمي ووصي وأخي — و مجيبي في الرعيل الأول

التقديم و التأخير:

(١)- ديوان الصوري ٢/ ٦٨

(٢) موسوعة الغدير ٤/ ٥٠٣

(٣)- ديوان السيد الحميري: ١٦٠

يعد التقديم و التأخير من الآليات التلميحية، قال علاء الدين الحلي من (الكامل):

بالله أقسم و النبي و آله ... قسما يفوز به الولي ويسعد

لولا الأولى نقضوا عهود محمّدٍ ... من بعده و على الوصي تمرّدوا

لم تستطع مدّاً لآل أميّة ... يوم الطفوف على ابن فاطمة يد [1]

التلميح من لأساليب النفسية غير المباشرة، وقد يكون أحياناً أشد تأثيراً من الخطاب الصريح المباشر، بالتعريض للفت الانتباه، وآلية التقديم والتاخير التي جاءت في بيتين في هذه الغديرية (البيت الثاني (على الوصي تمردوا) فقدم الجار والمجرور على الفعل والفاعل فالشاعر يلمح ويعرض بمن نقض عهود الرسول عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام

وأخر فاعل الفعل تستطع (يد) وقدم (المفعول به ومتعلقه الجار و المجرور) (مدّا لآل أمية) و الجار والمجرور (على ابن فاطمة) و هذا التقديم تعريضا وتلميحا بأفعال بني أمية و بيان الاغتياظ منهم و تأليب المتلقي عليهم.

قال كشاجم:

وقد علموا أن يوم الغدير ... بغدرهم جر يوم الجمل [2]

قدم الجار والمجرور مريدا ب التلميح الدلالة الفعلية - الإيحاء الفعلي -، و الإيحاء هنا ليس إيجابياً بالفعل، بل سلبيا فالمرسل أراد من أعداء

---

(١)- موسوعة الغدير:٦/ ٥٠٩

(٢)- ديوان كشاجم: ٨٧



الإمام علي عليه السلام الترك لافعالهم الشائنة، اجمأن يصدر منهم، والإيحاء الرافض الفعلي يكون أحيانا أقوى أثرا، وأنفذ مدخلا من الإيحاء النظري[1].

التشبيه:

قال الشاعر كشاجم

وه إذا عُدَّ الفخارُ وصهرُه ... فلا مثله أخٌ ولا مثله صهرُ

وشُدَّ به أزرَ النبيِّ محمدٍ ... كما شُدَّ من موسى بهارونهِ الإزرُ[2]

قال الناشئ الصغير

محبتهم صراط مستقيم ... ولكن في مسالكه عقاب

ولا سيما أبو حسن علي ... له في الحرب مرتبة تهاب

كأن سنان ذابله ضمير ... فليس عن القلوب له ذهاب

وصارمه كبيعته بخم ... معاقدها من القوم الرقاب

ذراري أحمد وبنو علي ... خليفته فهم لب لباب

علي الدر والذهب المصفى ... وباقي الناس كلهم تراب

إذا لم تبر من أعدا علي (١) ... فما لك في محبته ثواب[3]

شبه الشاعر محبة أهل البيت بالصراط المستقيم و يلمح في الشطر الثاني من البيت ان سالك طريقهم ليس بمأمن من عقاب السلطات الأموية و

(١)- ديوان الناشيئ الصغير: ٤٨

(٢) ديوان كشاجم: ٥٥

(٣) ديوان الناشيئ الصغير: ٢٤

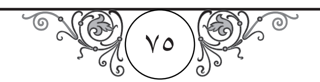
العباسية وبلمح الى قضية العداء بتشبيه البيت الرابع فيشبه سيفه بعقد البيعة في رقاب المؤمنين فهو أيضا معقود برقاب الناكثين وعلة الأمر تلمس في تشبيه البيت الخامس يشبه طاعتهم بالعقل السليم ويوصل تدرج استراتيجية التشبيه الى غاية إقناعية في معرض تشبيه يضع صاحب بيعة الغدير باقي الناس في كفتي ميزان غير راجحة فشتان بين التبر والتراب.

الكنايةِ

هي لفظ يعتمد على معنيين، واحدٌ ظاهرٌ غير مقصود، وآخر مخفي هو المقصود، بمعنى أن تدلّ كلمة أو جملة على شيء معيّن بشكل مباشر، ولكنها تخفي شيئاً غيره بشكل غير مباشر[1]، وتعدّ الكناية من الأساليب اللغويّة المستخدمة في اللغة العربيّة، وترتبط بعلم البلاغة، وهو العلم الذي يُستخدم في صياغة الكلمات بطريقة مؤثرة، فيقال: فلانٌ بليغٌ، أي يؤثّر في الآخرين باستخدام أسلوب الكلام المقنع، لذلك تُستخدم الكناية في العديد من النصوص، وخصوصاً في القصائد الشعريّة العربيّة، فحرص أغلب الشعراء العرب في كافة العصور على استخدامها في أبياتهم الشعريّة، لوصف الموصوف في القصيدة بالصفات المقترنة به. مثال توضيحيّ: وقفَ مرفوع الرأس. المعنى الظاهر: هو رفع الرأس إلى أقصى ارتفاع ممكن. المعنى المخفي: يدل على الفخر، والاعتزاز.

نواع الكناية للكناية ثلاثة أنواع، وهي: الصفة، والنسبة، والموصوف.

(١) جواهر البلاغة:١٠٤



١- كناية عن الصفة هي الكناية

تـدل عـلى صفـة تـلازم المعنـى المخفـي في الجملـة، (كالصـدق، والأمانـة، والاحـترام، والتقدير، والكـرم، إلـخ..)، بمعنـى ذكـر العنـصر الموصـوف مـع صفـة مـا، ولكنهـا ليسـت المقصـودة، وإنـما المقصـود صفـة أخـرى، تُفهـم مـن معنـى الجملـة.

. قول الشاعر أبو فراس الحمداني: إذا الليلُ أضواني بسطتُ يدَ الهوى.

(المعنـى الظاهـر: هـو تخييـم الليـل عـلى الشـاعر، ويسـتدل عليـه مـن كلمـة (أضـواني)، أمـا المعنـى المخفـي: فقـد شـبه الليـل بإنسـان وقـد حـل عليـه، وهـو في حـال يُرثـى لهـا).

٢- كنايـة عـن النسـبة هـي الكنايـة التـي تشـير إلى الموصـوف، وصفتـه، ولكنهـا لا تُنسـب إليـه مباشرةً، بـل لـشيء يـدل عليـه، أو يرتبـط بـه، كالنسـبة إلى: حُسـن الخلـق، وفصاحـة اللسـان، إلـخ..). مثال: قـول المتنبـي: وَأَسْـمَعَتْ كَلِـماتي مَـنْ بـهِ صَمَـمُ.[1] (المعنـى الظاهـر: سـماع الأصـم لشـعر المتنبـي؛ وهـذا مـا دل عـلى كنايـة السـمع، وهـي صفـة موجـودة في كل إنسـان، ولكـن الأصم: هـو الإنسـان الـذي لا يسـمع، ويسـتنتج المعنـى المخفـي مـن البيـت، أن المتنبـي قالـه: لمـدح نفسـه وشـعره)[2].

قال: أبو الفتح كشاجم

وكـم أطـفـأ الله نــار الـضـلال   بــه وهـي تـرمـي الهـدى بالشعل

---

(١) ديوان المتنبي:٢/ ٤٣٤

(٢) جواهر البلاغة:٧٥

ومــن رد خــالقــنا شمسه — عــليه وقــد جنحت للطفل [1]
ولــو لــم تعــد كــان في رأيــه — وفــي وجــهــه مــن سناها بدل
ومــن ضــرب الــناس بالمرهفات — على الديـن ضرب عـراب الإبل [2]

هــذه الأبيـات تكنـي عــن الإمـام عـلي عليـه السـلام فلـم يذكـر صراحـة وإنـما أشـارت إليـه و الى صفاتـه فعليـه السـلام كان الفيصـل والفـاروق الـذي أطـفأ الله بـه نـار الضلال و بــه رمي الهـدى بالشـعل، وعليه السـلام مخصوص باستجابة الله لدعـاءه ورد له خـالقــنا الشمــس واللجـوء الى الكنايـة التلميحية لأن الإمـام عـلي قائـد الـضرورة والأزمـات التـي يتراجـع فيهـا الكثير مـن إخوانـه، و في المواطـن التي يتنكـر لـه بسـماته المعروفـة تستلزم مراعاة نفسيات المرسـل اليهـم ومشـاعرهم، إمـا لشـدة الحساسـية عنـد هـؤلاء، أو في مواقـف تصحيـح الخطـأ.

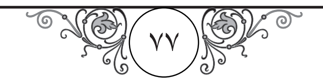
٣ - كنايـة عـن الموصـوف هـي الكنايـة التـي تذكـر الصفـة، ولا تذكـر الموصـوف، أي تشـير إليـه باسـتخدام شيء خـاص فيـه، كلقـب، أو تركيـب معـين. مثـال: قـال الشـاعر إيليـا أبـو مـاضي

فـعــدن عــن المــنـازل والـتـصـابي — وهـــات لـنــا حـديـث غـديـر خم
فـيـالـك مـوقـفـا مـا كـان أسـنى — ولـكـــن مــر فــي آذان صـم
لـقــد مــال الأنــام مـعـا علينا — كــأن خـروجنا مـن خلف ردم [3]

(١) الطفل: طفلت الشمس: دنت للغروب. مر حديث رد الشمس في موسوعة الغدير: الجزء الثالث ١٢٦ - ١٤١.

(٢)- ديوان كشاجم: ٨٦

(٣) ديوان الشريف الرضي: ١/ ١٢٣





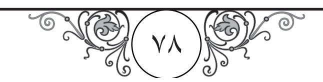
الكناية التلميحية هنا ذكر صفة الموقف انه مر في (اذان صم) و أراد الموصوف وهو الأشخاص المعاندين وفهما كان الدليل جليا وواضحا استمروا في غيهم و الشاعر يلجأ الى هذه الاستراتيجية إذا لم تجد الأساليب الدعوية المباشرة للإقناع بحديث الغدير وفضله، أو عند توقع عدم جدواها، إما لوجود موانع في نفس المدعو كالكبر والعجب، فيلوحِ المرسل في المقال، ويعرض في الخطاب ما أمكن، فإن المدعو إذا فهم المقصود منه، كان أوقع نفسيه، وأعظم تأثيرا في قلبه، مع مراعاة ترك التوبيخ.

ثالثا: استراتيجية الإقناع ومسوغاتها وآلياتها.

من الأهداف التي يرمي المرسل الى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بما يراه أي « أحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي» و الإقناع استراتيجية تداولية اكتسبت اسمها من هدف الخطاب و لاختلاف الحقول التي يمارس المرسل إقناعه العلمي و السياسي و الا و لاختلاف الحقول التي يمارس المرسل إقناعه العلمي و السياسي و الاجتماعي، تختلف الأليات و الأدوات اللغوية التي يجسدها الإقناع لشكل الخطاب اللغوي.

و ينبني فعل الإقناع و توجيهه على افتراضات سابقة تتعلق بعناصر السياق وخصوصا المرسل إليه و الخطابات السابقة و المتوقعة.

وجعل ريول الوظيفة الإقناعية من وظائف البلاغة فظلا عن الوظيفة



التأويلية والكشفية و التربوية[1]

ويمثل الحجاج الالية اللغوية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها و هو «كل منطوق بهموجه الى الغير لافهامه دعوى مخصوصة يحق لها الاعتراض عليها»و يعرفه بيرلمان موضحا الغرض التداولي من الحجاج « اذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل.. »[2]

و هناك نوعان من الحجاج: حجاج عاد عند البلاغيين الجدد يستعمل اليات وتقنيات بلاغية ومنطقية أي مجمل الاستراتيجيات التي يستعملها المتكلم من اجل إقناع مخاطبه. وفي هذا المجال لقد ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطاً وثيقاً فاستعملت تقنيات البلاغة في عملية الأفهام والإقناع، وقد اهتم بيرلمان وتيتيكا في كتابهما (الوجيز) على مبدأين أساسيين: القصد، المقام.

الحجاج يتمثل في بعض التقنيات والاليات البلاغية والمنطقية، وهو ما يدفعه الى تقسيم الخطابات الى خطابات حجاجية ذات طبيعة اقناعية كالمناظرات والمجادلات الدينية والفلسفية والسياسية والقانونية،

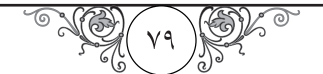
والغرض من الحجاج هو الإقناع والتأثير والتداول والتواصل والتخاطب. فعالية تداولية جدلية ديناميكية فعّالة.

تستلزم وجود أطراف تواصلية بينها قواسم حجاجية مشتركة، اذ يمتلك المرسل الخطيب مؤهلات معرفية وأخلاقية كفائية ويستعمل

---

(١) استراتيجيات الخطاب:٤٤٥

(٢) التداولية عند العرب:٥٤



حجاج اللوغوس الاستدلالي بغية إقناع الأخر، ولو باستعمال خطاب الأهواء والانفعالات ولا يعتمد الحجاج عند (بيرلمان) على العنف او التضليل او التوهيم، بل غرضه هو بناء الحقيقة عن طريق الحوار البناء والاستدلال و انصب جهده على توظيف الحجاج بوصفه الالية الاقناعية الرئيسة[1].

النداء:

أسلوب النداء في القرآن الكريم أسراره وخصائصه البلاغية

لنداء هو الدعاء برفع الصوت والمنادى هو المطلوب إقباله بحرف مخصوص. للنداء سبعة أحرف، منها ما هو مختص بنداء البعيد حساً أو حكماً،) ومنها ما هو مختص بنداء القريب. وهي: يا، وتستعمل في كل حالات النداء، وآ، وأيا، وهيا للمنادى البعيد، وأي والهمزة للمنادى القريب، ووا للمنادى المندوب[2]

يمثل النداء حجاجا حواريا لمحاولة إقناع الخصم وبيان تقصيره و إلقاء الحجج عليه و الادلة

قال أبو الفتح كشاجم:

فيا معشر الظالمين الذين أذاقوا النبي مضيض الثكل
يخالفكم فيه نص الكتاب وما نص في ذاك خير الرسل

(١) السان والميزان: ٢١١

(٢) معاني النحو:٣/ ٢٣٥

نبذتم وصيته بالعراء ... وقلتم عليه الذي لم يقل[1]

قال الناشيئ الصغير ال النداء حنا للاستحباب و التودد و يقترن مع هذا الأسلوب إثارة لمكامن الإحساس في نفس المرسل، كذكرأهل البيت عليهم بخير ووصفهم بالوصف الجميل، كأن يبين ما فيه من فضل، وما لهم من نعمة على العباد، لينجذب قلب الجمهور والمحب إليه، فيعدهم لفهم أوصافهم، لأن الذي يرى شرفهم ورفعتهم وفضلهم، فإنه يترفع عن الدنايا والخسائس التي تدنس شرفه، وتذهب بفضله، و هو يحاجج بفضلهم ويشبههم باية النهار في وضوح فضلهم، أما الذي يختار الضلال لنفسه لا يبالي ما يسمع فان الله محا أية الليل بهم وهو في ظلام دامس.

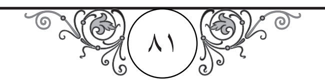
يا آل ياسين من يحبكم ... بغير شك لنفسه نصحا
أنتم رشاد من الضلال كما ... كل فساد بحبكم صلحا
وكل مستحسن لغيركم ... إن قيس يوما بفضكم قبحا
ما محيت آية النهار لنا ... وآية الليل ذو الجلال محا
ذاك علي الذي تراجع عن ... فتح سواه وسار فافتتحا
في يوم حض اليهود حين أقل ... الباب من حصنهم وحين دحا
لم يشهد المسلمون قط رحى ... حرب وألفوا سواه قطب رحى[2]

قال الناشئ الصغير

ألا يا خليفة خير الورى ... لقد كفر القوم إذ خالفوكا
أدل دليل على أنهم ... أبوك وقد سمعوا النص فيكا

(١) ديوان كشاجم: ٧٦

(٢) ديوان الناشيئ الصغير: ٣٣



خــــلافـهـم بـعـد دعــــواهـــم ونـكـثـهـم بـعــد مـــا بـايعـوكـا[1]

وأيضا أنشد مناديا

فـــيـــا نـــاصـــر المـصـطـفـى أحمـد تـعــلـمـت نـصرتـــه مـــن أبـــيـكـا

ونـــاصـبـــت نـــصّــابـــه عــــنـوة فـلـعــنـة ربي عـــلى ناصبيكا[2]

الاستلزام الحواري وآلياته

يمثـل ا الاسـتلزام الحـواري إحـدى المنهجيـات التـي تهيمـن بصفـة دائمـة في قواعـد تحليـل الخطـاب للسـانيات التداوليـة. و مـن أبـرز اسـتراتيجيات الخطـاب الإقناعـي في التداوليـة Pragmatics، ذلـك ان منهجيـة الاسـتلزام يمكـن النظـر فيهـا مـن زاويتـين:

أولاهمـا: تعـود بنـا إلى المـاضي، وإلى الـتراث اللسـاني العـربي، مؤكـدا أن النظـر التـداولي لم يغـب قطعـا عـن نظـر اللسـانيين العـرب قديـما، ولا عـن اهتماماتهـم. سـواء في مجـال البلاغة(السـكاكي)، أو الأصـول (الغـزالي) أو النحو(الزمخشري). فلـم يغـب الوعـي بالاسـتلزام الحـواري في الفكـر اللسـاني العـربي القديـم.

والثانيـة منهـا: تتخطـى بنـا المـاضي إلى العـصر الحـاضر، فتتنـاول الأمـر مـن منظـور المعاصريـن الغربيـين، مـن أمثـال جـون أوسـتن، وسـيريل، وغرايـس، وآن روبـول، وجـاك موشـلار، وكارنـاب Karrnab.

والواقـع المفهـوم الـذي يرتبـط بـه الاسـتلزام الحـواري مفهومـا لصيقًـا

---

(١) المصدر نفسه:٧٥

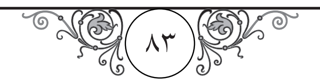
(٢) المصدر نفسه:٨٢

بالخطاب، وهو ألا يحمل الكلام الملفوظ - من حيث مرماه- على محمل الصياغة المعجمية، أو التواضع، والاصطلاح، حسب، فإن الكثير من الأقوال التي تلفظ في الحوار تقول شيئا وتعني غيره، وأن ثمة ضوابط ومعايير ذكرها بعض اللغويين، يستند إليها المتلقي، قارئا كان أم سامعًا، في تسلمه الرسالة التواصلية، وفي مقدمة هاتيك الضوابط: السياق، بنوعيه المقامي واللفظي، ومبدأ التعاون بين المتكلم والمتلقي، وهذه الأمور من الأساسيات التي التفت إليها البلاغيون، والنحويون. وذكروها مرارا وتكرارً الحوار ومنهجية التفكير النقدي.

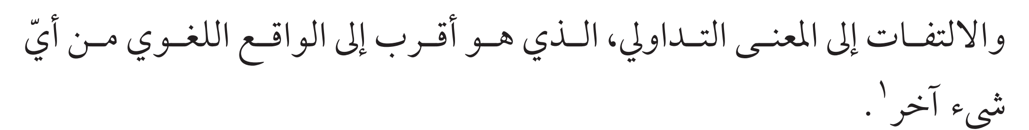
الاستلزام الحواري في الفكر اللساني العربي القديم،

وقد توقف السكاكي (٦٢٦هـ) من البلاغيين المتأخرين، في كتابه مفتاح العلوم، عند بعض الأساليب الإنشائية كالاستفهام، والأمر، والنداء، والنَهْي، وغيره، مؤكدا أن كل نوع من هذه التراكيب قد يحتمل القولُ فيه معنى غير المعنى الذي يريده المتكلم، أو الكاتب[1]. والمعيار الذي يُحتكم فيه لتلقي ذلك المعنى الضمْني هو السياق التداولي. صحيح أن السكاكي لم يستخدم كلمة « تداولي» ولكن تفسيره لما تتصف به استراتيجيات التلقي يؤكد أنه يعني- في ما يعنيه - ما في الاستفهام ضروبٌ وأنماط عديدة مثلما هي الحال في النفي، والنهي، والنداء، ما لا حصر له من الملفوظات التي ينم ظاهرها على شيء، والمراد بها من اللفظ شيءٌ آخر. أن مثل هاتيك التراكيب تستلزم استبعاد المعنى (الوضْعي) أو(المعجمي)

(١) ينظر مفتاح العلوم:١٢٢-٥٨٧







والالتفات إلى المعنى التداولي، الذي هو أقرب إلى الواقع اللغوي من أيّ شيء آخر[1].

أن للشعراء وعيًا عميقاً بالاستلزام الحواري، وربطوا ممكنات الملفوظ، ودلالات الخطاب، بسياقات أحاديث الغدير، و نزول الآية و شهادة رب السماء، وما فيهما من قرائن تصرف النظر عن المعنى(الوضعي) إلى المعنى « التداولي « المنوط أساسًا باللفظ.

وقد ميزت قصائد الغديريات الشعراء العباسيين بين التراكيب التي يراد بها الأمر، أو النهي، على الوجه الذي يحدده واضع اللغة، وذلك الذي يراد به غيره.: مثل هذا التركيب الاستفهام، و النهي، الأمر، فمنه ما يكون التماسًا، ومنه ما يكون دعاءً، ونصحًا، وإرشادًا، وتوبيخاً، وتعجيزًا، أو للإباحة، والتخيير. وسيتضح ذلك في الدراسة أدناه.

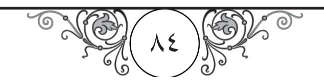
الاستلزام الحواري في الفكر اللساني الحديث

يلقي الأضواء على أراء بعض اللغويين الغربيين ممن عرفوا بريادتهم للتوجه التداولي. وفي مقدتهم جون أوستن Austin وسيريل Searle وغرايس Grice و شارلز موريس Morris وبيرس، وروبول، وجاك موشلار، وكارناب Karnab.

وكان أوستن قد أسهم منذ خمسينات القرن الماضي مع بعض لغويي أكسفورد – لندن في إرساء المنحى التداولي، عن طريق استبعاد المنطق الفلسفي الخالص من تحليل الخطاب، باعتمادهم ما يسمى نظرية أفعال

---

(١) ينظر اللسان و الميزان:٨٧



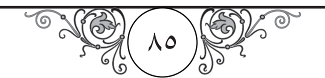
الـكلام Speech Acts Theory وذلــك شيءٌ بسـط حولـه القــول في كتـاب نـشره بعنـوان كيـف نصنـع الأشـياء بالكلـمات. ففـي هـذا الكتـاب في منطوقهـا عمـلا ناجـزا. فهـي لا تقتـصر عـلى وصـف الواقـع، ولا تحتمـل الصـدق أو يسـتبعد أوسـتن الوصـف النحـوي التقليـدي، ولا سـيما الخاضـع منـه للمنطـق الريـاضي عنـد برترانـد رسـل، جاعـلا مـن الضوابـط المقاليـة، والحاليـة، مقاييـس يُعـزى إليهـا « صـدق « الأقـوال، أو « المـا- صـدق «. وقـد توقـف عنـد الألفـاظ التـي تحمـل الكـذب، وهـي أقـوال تحمـل في ثناياهـا إنجـازًا لعمـل مـا، كالوعـد بـشيء، أو التعهـد بـه، أو التوصيـة بـإرث، فأفعـال الـكلام ليسـت وصفـا بـل إنجـازا لـشيء، فلـو قـال وهـو يُحْتَـضرُ: أهـبُ ثروتي لحفيـدي فـلان.. فـإن هـذا القـول ليـس خـبرًا، ولا هـو وصـفٌ للواقـع، وإنـما يهـب المتكلـم بمقتضـاه ثـروة لمـن ذكـر اسـمه في ذلـك الملفـوظ الكلامـي [1].

عـلى أن غرايـس Grice هـو الآخـر لا يطيـب لـه اسـتخدام أسـتاذه أوسـتن لتعبـير الفعـل اللغـوي المبـاشر، فقـد يكـون الملفـوظ غـير مبـاشر، وفي الوقـت ذاتـه منطويًـا عـلى منجـز [2]

و يسـتقصي أدراوي الأسـئلة التـي تنسـجم مـع شروط اسـتقبال المدلـول التـداولي مـن الفعـل غـير المبـاشر. كالتعـاون بـين المتكلـم والسـامع، وإحاطـة هـذا الأخـير بالظـروف الخارجيـة والداخليـة المتحكمـة بإنتـاج الخطـاب، وملاحظـة مـا يحتويـه مـن عنـاصر تسـاعد عـلى تحقيـق التلقـي بفاعليـة؛

(١) ينظر الحوار ومنهجية التفكير النقدي:٤٩

(٢)-: الاستلزام الحواري في سورة البقرة، دراسة وصفية تحليلية تداولية: ٤١.
التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي



كالنصيـة، والاقترانيـة، والاسـتدلالية [١]. فـكل عنـصر مـن هـذه العنـاصر يتيـح للمتلقـي اكتنـاه المضمـر في مـا هـو ظاهـر دونـهما مشـقةٍ، أو اضطـراب تواصـلي، وهـذه الإيضاحـات التـي أضافهـا غرايـس إلى نظريـة المنطوقـات الأدائيـة، والفعـل اللغـوي المبـاشر، تؤطـر في رأي المؤلـف الخطـاب اللغـوي بصفـة عامـة. فـكل مـن المتكلـم والمتلقـي يراعـي القوانـين، والأعـراف المتبعـة في مـا هـو سـائد مـن حـوار نموذجـي، يسـتتبع مثـل هـذا الفهـم للملفوظـات. عـلاوة عـلى أن كلا منهـما لا بـد لـه مـن أن يكـون عـلى درايـة بقواعـد الحـوار، وقوانينـه [٢].

الاستفهام

هـو أسـلوبٌ لغـويٌّ يُقصـدُ منـه الاستفسـارُ والتسـاؤلُ عـن أمـورٍ، وأشـخاص، وأشـياء مبهمـة، يُتَطلّـب الإجابـة عنهـا، وللاسـتفهام فاعليـة مـن حيـث الإنجـاز والتأثـير لمحهـا سـيبويه بـأن غايـة السـؤال أنـه يطلـب « مـن المخاطـب أمـراً لم يسـتقر عنـد السـائل » [٣]، الا ان الاسـتفهام يخـرج عـن معنـاه المعهـود الى معـانٍ مجازيـة لهـا قـوة إنجازيـة وفاعليـة في التأثـير، فالمرسـل يعمـد ال يـه في سـلوك سـبيل الحجـاج لئـلا يـدع للشـك او التسـاؤل مجـلا حتـى في الحديـث عـن البديهيـات، باسـتباقه أسـئلة المرسـل إليـه المتوقعـة بالجـواب الي هـو عبـارة عـن الحجـاج ذاتـه واليـة الإقنـاع قـال أبـو الفتـح كشـاجم

(١) البلاغة والنقد، محمد كريم الكواز:. ٣٢
(٢)- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:٣٩١
(٣)- الكتاب:٢/ ٩٤

مستفهما استفهام الرفض و الإنكار ومنساقا مع مجريات الأخذ و الرد و الاعتراض فهو يتوجه في حجاجه الى المستمع او لمرسل إليه عبر الزمان، اذ يعترض على كثرة قتل آل البيت عليهم السلام صغارا وكبارا عن طريق كم الاستفهامية التي تستخدم للتكثير وتؤدي دورا تداوليا في التعاون و الاستلزام، ذلك ان طرح السؤال يمكن ان يضخم الاختلاف حول الموضوع ثم تدعيم موقف المرسل الذي اتخذ الحجاج و الاقناع لقبول التحدي و الدفاع عن موقفه، فهذا الاعتراض يوجه مسار الحجاج[1]، ثم يبدأ يجيب ليؤدي بالمرسل إليه الى التسليم و التنازل عن معتقداته السابقة شيئا فشيئا، فآل البيت الذين قتلوا قبل الطفوف و بعدها هم حجج الله في خلقه ثابت في التنزيل الكريم ورسول الله محمد صلى الله عليهم واله وسلم جدهم. و والدهم سيد الاوصياء علي ابن أبي طالب

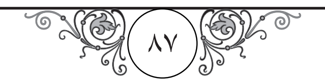
فكم فيهم من هلال هوى	قبيل التمام وبدر أفل
هم حجج الله في خلقه	ويوم المعاد على من خذل
ومن أنزل الله تفضيلهم	فرد على الله ما قد نزل
فجدهم خاتم الأنبياء	ويعرف ذاك جميع الملل
ووالدهم سيد الأوصياء	ومعطي الفقير ومردي البطل[2]

وقال الناشيئ الصغير مستفهما:

فأيِّ يدٍ للذمِ لم يبرَ زندُها	ووجهُ ضلالٍ ليس فيه له أثرُ

(١)- أساليب الحجاج في البلاغة العربية: محمد الواسطي: مجلة كلية الاداب والعلوم الإنسانية - جامعة سيديئ

(٢)- ديوان كشاجم:





ثوى ولأهلِ الدينِ أمنٌ بحدهِ ... وللواصمينَ الدين في حدهِ ذعرُ
يسدُّ به الثغرَ المخوفَ من الردى ... ويعتاضُ من أرضِ العدوِ به الثغرُ
بأحدٍ وبدرٍ حين ماجَ برجلهِ ... وفرسانُه أحدٌ وماجَ بهمْ بدرُ
ويومَ حنينٍ والنضيرِ وخيبرٍ ... وبالخندقِ الثاوي بعقوتهِ عمرو

أداةُ الاستفهام (أي) تفيدُ الأنكار والتَّنبيهَ على الخَطأ و الضلال، و الشاعر يستنكرقتل الإمام على عليه السلام و يذم الايادي التي سعت جاهدة لقتله.

فأيِّ يدٍ للذمِ لم يبرَ زندُها ... ووجهُ ضلالٍ ليس فيه له أثرُ

ولذلكَ أعقب بالجَواب من المرسل نفسه بموازنة ضدية غير متكافئة بين طرفي الحق مجسدا بشخص الذي يقيم الامن بحد سيفه، بينما بخلف أعداؤه الذعر بفعلهم مؤكدا ذلك بتقديم الخبر الجارو المجرور على المبتدأ النكرة وا(وللواصمينَ الدين(في حدهِ ذعرُ) ويدلي بالحجج الناصعة على شجاعته بأحد وبدر وحنين وخيبر و الخِندق.

ويستنكر الشاعر أبا الحسن المنصور:

أشرب الخمور وفعل الفجور ... من شيم النفر الأكرم؟
قتلتم هداة الورى الطاهرين ... كفعل يزيد الشقي العمي
فخرتم بملك لكم زايل ... يقصر عن ملكنا الأدوم[1]

عندَما أورَد الشاعرَ قتل أهلِ الحقّ و أئمة الهدى في العصر العباسي موسى ابن جعفر، جاءَ بحرف التشبيه (الكاف) الذي يفيد التشبيه والمقارنة وذلِكَ تمثيلاً لحال المهتدي لبُلوغِ مَقْصِدِه. وأورَدَ في جانب أهلِ

(١) موسوعة الغدير:٥/ ٣٤٢



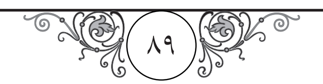
الباطـلِ والضّـلالِ في كفـة الميـزان الاخـرى مشـبها فعـل ابـو مسـم الخراسـاني بفعـل يزيـدَ لشـدَّة التشـابه و التَّلبُّـس بصفـة الباطـلِ والضّـلالِ. ليكون التشـبيه حجـة اقناعيـة دا

الاستفهام الانكاري الاقناع للناشيئ الصغير ا

وكـيـف تمـحى أنـوار رشـدكم	وأنـتـم في دجـى الـظـلام ضحى
أبــوكـم أحــمـد وصاحـبـه	الـمـنـوح مــن عـلـم ربـه منحا
ذاك عــلي الـــذي تــفــرده	في يـوم « خـم « بفضله اتضحا
إذ قــال بـين الـــورى وقــام به	معتضدا فــي الـقـيـام مكتشحا:
مــن كـنــت مـــولاه فــالـوصي له	مـــولى بـــوحـي مــن الإلــه وحـا
فـبـخـبـخـوا ثــم بـايـعـوه ومــن	يــبـايـع الله مخــلـصـا ربــحـا
ذاك عـــلي الـــذي يـقــول لـه	جـبريـل يــوم الـنـزال ممـتـدحـا:
لا سيف إلا سيف الـوصي ولا	فتى ســواه إن حــادث فـدحـا [1]

الاسـتفهام خـرج عـن غايتـه الحقيقيـة الى النصـح و الارشـاد و أفـاد مـن مبدأالتعـاون فكيـف للسـؤال عـن الحـال و المخاطـب لا يسـأل عـن الحـال وعـلى يقـين أن المرسـل اليـع يفهـم الشـفرة و متواصـل معـه مـن خـلال السـياق المقامـي و الحـالي، افلآبيـات تُعـرِبُ عـن الغايَـة في النَّصَفَـة في الجـدالِ والاعتـدال في الحـوارِ والُمحاجَّـة؛ فالُمحـاوِرُ الرّاغـبُ في الوصـولِ إلى الحـقّ يقـول للمنكريـن: آل بيـت الرسـول عليهـم السـلام عـلى هـدى، والآخريـن عـلى ضـلال، مـن غـيرِ تَعيـين؛ ليثـير في الُمخاطَبـينَ التدبـر والتفكـر في هـدوء لا تعتريـه عـزةٌ بإثـم ولا رغبـة في جـدالٍ ومُحـال. مكتفيـا بإيـراد دلائـل الحـق و

(١) ديوان الناشيئ الصغير:٥٣



رواية وقعة الغدير كاملة، فإنما المُحاورُ صلى الله عليْه وسلَّمَ هادٍ ومُعلمٌ، يبتغي هداهم وإرشادهم لا إذلالهم، والجدلُ على هذا النحو المُهذَّب أقربُ إلى لمس قلوب المستكبرين المعاندين المتطاولين بالجاه والمقام، المستكبرين، على الإذعان والاستسلام.

الامر و النهي: خرج اسلوبا الأمر و النهي من دلالتها الحقيقية عل الطلب و النهي الد دلالات ثانوية تطلبها الحوار الاستلزامي: فالنهي (فلا تكُ وانيا) (لا تخشى) امر ترغيبي لابعاد الخوف عنه و شد أزر الرسول، فلا يعقل ان الرسول يترك الالزام بامر الله كي ينهى، و كذلك الأمر (بلغهم، قم يا علي) خرج للالتماس و اسلوب الأمر في قول الشاعر (اللهم وال من والاه وكن للي عادى عليا معاديا و فيا رب انصر) خرج للدعاء

يناديهمُ يومَ الغديرِ نبيُّهم	بخمٍّ وأسمعْ بالنبيِّ مُناديا
وقد جاءَه جبريلُ عن أمرِ ربِّهِ	بأنَّكَ معصومٌ فلا تكُ وانيا
وبلّغهمُ ما أنزلَ اللهُ ربُّهم	إليكَ ولا تخشى هناكَ الأعاديا
فقامَ بهِ اذْ ذاكَ رافعَ كفِّهِ	بكفِّ عليٍّ معلنَ الصوتِ عاليا
فقالَ: فمنْ مولاكمُ ونبيُّكمْ؟	فقالوا.. ولم يبدوا هناكَ التعاميا
إلهكَ مولانا.. وأنتَ نبيُّنا	ولمْ تلقَ مِنَّا في الولايةِ عاصيا
فقالَ له: قُمْ يا عليُّ فإنني	رضيتُك من بعدي إماماً وهادي
فمنْ كنتُ مولاهُ فهذا وليُّه	فكونوا له أتباعَ صدقٍ مواليا
هناكَ دعا: اللهمَّ والِ وليِّه	وكُنْ للذي عادى علياً مُعاديا
فيا ربِّ فانصرْ ناصريهِ لنصرِه	إمامَ هدىً كالبدرِ يجلو الدياجيا

اسلوب الشرط

الشرط هو اقتران أمر بأمر آخر بحيث لا يتحقق الثاني إلا بتحقق الأول وذلك بوجود أداة شرط.

يمثل الشرط ردة فعل معاكسة لكل فعل في مكونات النص الشرطي، و الردة تلك من تأثيرات افعال الكلام الحوارية التي تدعوا الى الاستنتاج المباشر ضمن انساق مختلفة، فالمفاهيم القصدية لها قيمتها الحوارية التي تشكلها اللغة من الافعال الكلامية وتتوافق مع عوامل الإقناع و» الغاية التواصلية التي يريدها المتكلم تتحقق من الخطاب وقصديته» [1]، فمن الاستراتيجيات الحجاجية التي استخدمت في الاقناع الاستلزام الحواري، حجاجية اسلوب الشرط في اشتماله على ألفاظ ذات معانٍ تلزم الخصم على اقتراح جواب، فتكون اكثر فاعلية في إقناعه واستمالته، إذ يعد واحداً من أهم الجوانب التي تبحث في الدرس التداولي، وهو الصقها، ففي الحوار نجد المتكلم والمستمع يستطيع المناقشة والاتصال لأنهما يمتلكان معلومات أو خلفية عن الموضوع، وينشأعن ذلك مبدأ التعاون الذي جاء به الامريكي جرايس في تناوله كيفية اشتغال اللغة الطبيعية في التواصل، أي كيف يكون ممكناً ان يقول المتكلم شيئاً ويعني شيئاً آخر، والمخاطب يسمع شيئاً ويفهم شيئاً آخر، ومقتضاها ان المتخاطبين لا يندفعون الى التبادلات الكلامية إلاّ وهم يسلمون بالتعاون فيما بينهم(٢)، ولا بد لنا

---

(١)- الحجاج في البلاغة المعاصرة:٩٢.

(٢) بلاغة الاقناع، دراسة نظرية وتطبيقية:٩٦



من جدولة للابيات التي تشتمل على الاستلزام الحواري، ذكرت مع الأفعال الكلامية

الناشيئ الصغير

ولو زالت الأرض يوم الهياج	**من تحت أخمصه (١) لم يزل**
ومن صد عن وجه دنياهم	**وقد لبست حليها والحلل**
وكان إذا ما أضيفوا إليه	**فأرفعهم رتبة في المثل**

ينبني الشرط على جمليتين الأولى فعل الشرط وهو فعل احتمالي مستقبلي يستند وقوع تحققه على تحقق جواب الشرط، و وفي أبيات الناشيئ الصغير ذكرت أدوات شرط جازمة (من) وتستخدم للتعامل مع العاقل و غير جازمة بعان مختلفة ف(لو) تدل على امتناع تحقق الجواب لامتناع تحقق الفعل و (إذا) أداة وجود لوجود فاذا تحقق الفعل تحقق الجواب

(الام مدرسة اذا اعدتتها أعدد ت شعبا طيب الاعراق)

فهناك أمكانية اعداد شعب طيب إذا اعت الامهات اعدادا جيدا، وهذا غير مقصود في أبيات الشاعر، لأن الاستلزام الحواري يتعدى اعتبارية المعاني الحرفية الحقيقية للدلالة الشرطية، والتواصل التداولي بين طرفي الخطاب يتم بالفعل الاستلزامي، ففي الحوار نجد المتكلم والمستمع يستطيع المناقشة والاتصال لأنهما يمتلكان معلومات أو خلفية عن الموضوع، وينشأعن ذلك مبدأ التعاون الذي يخرق مبدأ كيفية اشتغال اللغة الطبيعية في التواصل، ويهتم بما يكون ممكناً ان يقول المتكلم شيئاً ويعني شيئاً آخر، والمخاطب يسمع شيئاً ويفهم شيئاً آخر، فقد تراكمت

أداوت الشرط منها ما يدل على الاستحالة و منها مايدل على امكانية التحقق ومنها مايدل على خطاب العاقل ومنها ما يدل على خطاب غيره و الجواب واحد (* فأرفعهم رتبة في المثل) و المخاطب يود ايصال دلالة ان الإمام علي عليه السلام خير من يطأ على الارض و لامثيل له في سماته وخلقه ونبله وشجاعته، و هذا ما فهمه المرسل إليه عبرفك الشفرات الشرطية غير المرادة بمعناها الحرفي وانما بفعلها الاستلزامي للوقناع بالحقيقة الواحدة التي لا يمكن ان تنقسم الى قسمين.

ثالثا: اساليب الاخبار: الاساليب الاخبارية هي النبي تحتمل الصدق والكذب، و تصبح فعلا كلاميا يؤدي استلزاما حواريا بخروجها من معناها الحرفي الو معان مجازية تستلزم الفعل الذي يقتضيه المعنى الذي تخرج إليه، وهذه المعاني:

١- الوعد والترغيب أساليب لغوية أخبارية خرج سياق الحال الى معن الوعد و الترغيب في ملازمة الإمام علي السلام و التصديق ببيعته و عدم الكفر بما جاء به الله و رسوله من خلال الادلة الاقناعية التي يوردها للمتلقي ليسلم بالحقيقة المدعاة، ومنها:قول كشاجم:

ذاك علي الذي تفرده في يوم « خم « بفضله اتضحا

إذ قال بين الورى وقام به معتضدا في القيام مكتشحا:

من كنت مولاه فالوصي له مولى بوحي من الإله وحا

فالحق الذي ينتظره المؤمنون من خطبة الرسول يوم الغدير اتضح والرسول عليه الصلاة و السلام القائل المحدث و هو لا ينطق عن الهوى

بـل وحـي يوحـى، فمـن يؤمـن بالقـران الكريـم والنبـي الناطـق بالحـق بـه لا عـذر لـه في عـدم التصديـق و الاسـلوب قائـم الاسـاليب الترغيـب و الذكـير للاذعـان والسـليم للبيعـة بدعـوة المخاطبـين باسـلوب حجاجـي اقناعـي ودي لا إرغامـي.

٢-: العتـاب و اللـوم: خرجـت اسـاليب الاخباريـة الى معـاني لا بقصـد بهـا الحقيقـة اللغويـة او الوضعيـة للمعـاني المعجميـة، بـل الى معنـى العتـاب واللـوم زأحيانـا التهديـد كـما في قصيـدة لسـبط بـن التعاويـذي:

ويـوم « الـغـديـر « ومـا يـومـه ... لـيـترك عــذرا إلى غـادريـكـا
لهـم خـلـف نـصـروا قـولهـم ... لـيـبـغـوا عـلـيـك ولم يـنـصروكـا
إذا شــاهـد والـنـص قـالـوا لنـا ... تـوانـى عـن الحـق واستضعفوكا
فـقـلـنـا لهـم: نـصر خـير الـورى ... يـزيـل الـظـنـون ويـنـفـي الشكوكا

و كذا قوله:سبط ابن التعاويذي

وأوردتــم جـيـادكـم وأظـمـيـ ... تـمـوه شـربـتـم غـير الـهـنـي
وفـــي صـفـين عــانـدتـم أبـاه ... وأعـرضـتـم عـن الحـق الجـلي ٦٠
لـكـم حـرمـة بـانـتـسـاب إلـيـه ... وهــا نـحـن مـن لحـمـه والـدم

العتاب و اللوم

لإن كـــان يجـمـعـنـا هــاشـم ... فـــأيـن الـسـنـام مـن المـنـسـم؟ ٥
وإن كـنـتـم كـنـجـوم الـسـماء ... فـنـحـن الأهــلـة لـلأنـجـم
ونـحــن بـنـو بـنـتـه دونـكـم ... ونـحــن بـنـو عـمـه المـسلم
حـماه أبـونـا أبـو طـالـب ... وأسـلـم والـنـاس لـم تسلم

وقـد كـان يكتـم إيـمانـه	فـأما الـولاء فـلا يكتـم
وأي الفضايل لـم نحوها	ببذل النوال وضرب الكمي؟١٠
قـفـونا محـمد فـي فعله	وأنـتم قفـوتم أبـا مجرم (١)
هدى لكم الملك هدي العروس	فكـافيتموه بسفـك الـدم
ورثنـا الكتـاب وأحكـامه	عـلى مفصح الناس والأعجـم
فـإن تفزعـوا نحـو أوتاركم	فـزعنا إلـى آيـة المحكم [1]

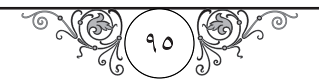
الاساليب الاخبارية هي الطاغية في المقطوعة الشعرية و أن كانت تستهل باسلبي الشرط و الاستفهام و قد أوردناهما دليلا على الدلالات المجازية التي خرج اليها الاسلوب الاخباريالذي يبدأ في البيت الثالث الى نهاية المقطوعة: وتوزع الاساليب الاخبارية بين المبتدأ و الخبر (ونحن بنو بنته دونكم * ونحن بنو عمه المسلم) و بين الفعل الماضي (حماه أبونا) (وأسلم والناس) (وقد كان يكتم إيمانه) (قفونا محمد) و(أنتم قفوتم أبا مجرم) (هدى لكم الملك هدي العروس) (فكافيتموه بسفك الدم): كل هذه الاساليب الاخبارية لا يريد المتكلم حقيقة ما يقال، وانما يريد الدلالات المجازية القائمة على العتاب واللوم، فالمستمع لم يأبه للنسب و القرابة و لم يأبه لدلائل التذكير و الارشاد و النصح و اقتدى بالناكثين و ترك الولاءو هو فعل نبي الأمة صلوات الله عليه و آله وسلم.

المصادر

القران الكريم

---

(١) موسوعة الغدير ج٥ ٣٩٢



الإحكام في أصول الأحكام - المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ) -المحقق: عبد الرزاق عفيفي - الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان

أساليب الحجاج في البلاغة العربية: محمد الواسطي: مجلة كلية الاداب والعلوم الإنسانية - جامعة سيديئ

: الاستلزام الحواري في سورة البقرة، دراسة وصفية تحليلية تداولية: ٤١، مشروع بحث: حجر نورما وحيدة، جامعة مولانا مالك ابراهيم الإسلامية، مالانج ٢٠١٠.

استيراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية - عبد الهادي ظافر - دار الكتاب الجديد - ط١-بيروت -٢٠٠٣م.

البداية و النهاية- المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير- الناشر: مكتبة المعارف بيروت - سنة النشر: ١٤١٠ - ١٩٩٠

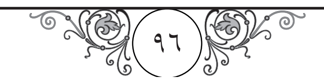
عدد المجلدات: ١٥

- بلاغة الاقناع، دراسة نظرية وتطبيقية، د. عبد العالي قادا:

- -البلاغة والنقد، محمد كريم الكواز: ٢٧٩، بيروت، ط١، ٢٠٠٦. -

تاريخ الطبري- عنوان الكتاب: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، وبليه: الصلة - التكملة - المنتخب (ط. المعارف)

المؤلف: محمد بن جرير الطبري أبو جعفر - عريب بن سعد القرطبي - محمد بن عبد الملك الهمذاني - المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم- الناشر: دار المعارف -سنة النشر: ١٣٨٧ - ١٩٦٧عدد المجلدات: ١١رقم



الطبعة: ٢

التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي: ٢٠٠، د. مسعود صحراوي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥

الحجاج في البلاغة المعاصرة: - محمد سالم محمد الامين، -دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٨

الحوار ومنهجية التفكير النقدي، مطبعة أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٤: ١٢٣. ة المعاصرة

بلاغة الخطاب وعلم النص - التأليف/ د. صلاح فضل -عالم المعرفة - لناشر/ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت- تاريخ النشر/ أغسطس ١٩٩٢

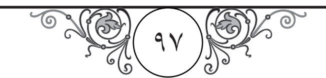
: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع- المؤلف: السيد أحمد الهاشمي - الناشر: المكتبة العصرية- سنة النشر: ١٩٩٩

الخصائص - المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) - الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب

الطبعة: الرابعة.

دلائل الاعجاز- عبد القاهر الجرجاني - تح محمود محمد شاكر - مكتبة الخانجي - القاهرة -١٤١٠هـ.

ديوان السيد الحميري - المؤلف: إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرّع الحميري تحقيق ضياء حسين الاعلمي - مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان - ١٩٩٩م.





ديوان الشريف الرضي - شرح -دار الجيل

ديوان الصوري (عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غلبون الصوري)، تحقيق مكي السيد جاسم و شاكر هادي شكر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط ١، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م

ديوان كشاجم- المؤلف: محمود بن الحسين كشاجم -المحقق: النبوي عبد الواحد شعلان - الناشر: مكتبة الخانجي

سنة النشر: ١٤١٧ - ١٩٩٧ رقم الطبعة: ١

ديوان المتنبي - شرح ابي البقاء العكبيري المسمى التبيان

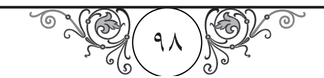
ديوان الناشيء الصغير - تحقيق هلال ناجي - الناشر مؤسسة البلاغ - بيروت

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (السلسلة الصحيحة) - المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني

الناشر: مكتبة المعارف- سنة النشر: ١٤١٥ - ١٩٩٥ - عدد المجلدات: ٧

السيرة النبوية - المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين - المحقق: مصطفى عبد الواحد - الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - سنة النشر: ١٣٩٥ - ١٩٧٦ - عدد المجلدات: ٤

شرح ديوان أبي تمام- الشارح: الخطيب التبريزي -المحقق: راجي الأسمر - الناشر: دار الكتاب العربي



سنة النشر: ١٤١٤ - ١٩٩٤ - عدد المجلدات: ٢ - رقم الطبعة: ٢

شرح مشكل الآثار (ت: الأرناؤوط) - المؤلف: أبو جعفر الطحاوي - المحقق: شعيب الأرناؤوط - الناشر: مؤسسة الرسالة

سنة النشر: ١٤١٥ - ١٩٩٤ - عدد المجلدات: ١٦ - رقم الطبعة:

شرح المفصل -ابن يعيش - عالم الكتب - بيروت د. ت -د.. ط

فتح الباري شرح صحيح البخاري (ط. السلفية) (ط. ١) - المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين - المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز - محمد فؤاد عبد الباقي - محب الدين الخطيب - الناشر: دار الكتب السلفية

عدد المجلدات: ١٣ - رقم الطبعة:

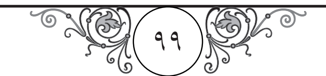
في البلاغة المعاصرة، د. محمد سالم محمد الأمين الطلبة: ١٩٣، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بيروت ٢٠٠٨.

- اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي - طه عبد الرحمن - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - ط١ - ١٩٩٨م.

مفاتيح الغيب=التفسير الكبير المؤلف: فخر الدين الرازي - الناشر: دار الفكر - سنة النشر: ١٤٠١ - ١٩٨١ -عدد المجلدات: ٣٢ - رقم الطبعة: ١

- مفتاح العلوم - أبو يعقوب السكاكي - تح نعيم زرزور - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٧م.

معاني النحو - فاضل السامرائي - ساعدت جامعة بغداد على نشره - بغداد - ١٩٩١م



موسوعة الغدير في الكتاب و السنة و الادب - الشيخ أحمد الاميني - تحقيق مركز الغدير للدراسات الإسلامية- ط ٤ - مؤسسة دار المعارف الإسلامية - قم - ايران- ٢٠٠٦م

منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية - المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين - المحقق: محمد رشاد - الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - سنة النشر: ١٤٠٦ - ١٩٨٦- عدد المجلدات: ٩ - رقم الطبعة: ١

الحوار وإقرار المخاطبين في خطبة الغدير

أ. د. مهدي صالح سلطان الشمري

المقدمة

يُعنَى هذا البحث بدراسة العلاقة بين أجزاء خطبة الغدير، ومناسبتها للأجواء التي قيلت فيها؛ وإقرار المخاطبين بمضمونها، ومناسبتها لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ... المائدة ٦٧﴾.

فقد خوطب بها الجمهور العائد من حجة الوداع، في يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجّة من سنة عشر من مهاجره صلَّى الله عليه وآله [الغدير ١، ١٠]، وفي غدير خُم، وهذا هو الوقت الذي قدّره صلَّى الله عليه وآله مناسبًا للتبليغ بالآية الكريمة؛ فقد توفاه الله بعدها بواحد وثمانين أو اثنين وثمانين يومًا.

فعن ابن عباس: (لمّا أُمِرَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله أنْ يقوم بعليٍّ بن أبي طالب المقام الذي قام به، فانطلق النبيُّ صلَّى الله عليه وآله إلى مكّة، فقال: «رأيت الناس حديثي عهدٍ بكفر بجاهليّة، ومتى أفعل هذا به، يقولوا صنع هذا بابن عمّه»، ثمّ مضى حتّى قضى حجّة الوداع، ثمّ رجع حتّى إذا كان بغدير خم أنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة: ٦٧؛ فقام منادٍ فنادى

الصلاة جامعة، ثمّ قام وأخذ بيد عليٍّ عليه السَّلام، فقال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه وانصر من نصره، واخذل من خذله»، [موسوعة عبد الله بن عباس ١، ٢٣٧، الغدير ١/ ١٠ ١١].

وفي شواهد التنزيل: «إنّ قومي قريبو عهد بالجاهليّة، وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل إلّا وقد وتره وليّهم، وإنّي أخاف»، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ...﴾ (المائدة: ٦٧) [شواهد التنزيل، للحسكاني، بيروت، ١٣٩٣، ١، ١٩١].

أمّا الخشية والخوف من التبليغ فلِأنّ «الناس حديثو عهدٍ بكفر بجاهليّة...»، وأنّه ابنُ عمّه؛ إذ النَّقدُ يتوجّه إلى الصيغة في العهد والولاية التي هي أشبه بالوراثة، مع أنّ النبيَّ تجاوز الأُطر القبليّة، وهو أبعد ما يكون عنها، تلك التي تعني التعصّب والانحياز الأعمى، ومع ذلك فالرسالة نفسها ابتدأت بإنذار الأقربين، في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء ٢١٤، فدعا أوّل الأمر بني عمومته؛ وكان ألصق الناس به منهم الإمام عليٌّ عليه السَّلام، وكان بعضُ أقرب أقربائه قد حمل لواء معاداته، وهذا معروف.

وقد اصطفى الإمام للولاية استنادًا إلى مجموعة من العوامل الدينية، فهو كنفسه وشخصه، فضلًا عن الكفاءة والمؤهّلات الشخصيّة، والثبات في المواقف الفاصلة المعروفة، التي لسنا بصدد تعدادها، أو البحث في حيثيّاتها، فقد تكفّلت المؤلّفات الكثيرة بهذا الشأن، وبحثُنا هذا يقتصر

على الدراسة اللغويّة لأجزاء خطبة الغدير وانسجامها ومناسبتها، مثلما عرضنا قبل قليل.

أمّا الاصطفاء الروحيّ الأُخويّ فقد (استمرّ... أكثر من ثلاثين عامًا، عاشها عليٌّ بن أبي طالب بتمامها في فلك الرسول، وفي اصطفائه، وتربيته، وتدريبه، وإعداده، فكانت حياته منذ البدء في حجر النبوّة، وكانت آخر لحظة في حياة النبيِّ... على صدر عليٍّ عليه السَّلام؛ فكأنَّ الاصطفاء أبَى إلّا أنْ يتمّ أعظم صفحاته، في التسليم الأُخويّ المطلق لعليٍّ بن أبي طالب لنداء الاصطفاء التاريخيّ) [عليّ بن أبي طالب، سلطة الحقّ، عزيز السيّد جاسم، ط ٢، بغداد، ٢٠١٢، ٤٥].

هذا وقد تميّزت خطبة الغدير بافتتاحٍ شدَّ جمهور المتلقّين الذين كانوا ينتظرون الخطبَ الجَلَلَ الذي جُمِعوا من أجله، فيفاجئهم بأنّه سيفارقهم وستنتهي مسؤوليّته المباشرة، فيطلب شهادتهم فيما أدّاه اتجاههم.

وكان مركز هذه الخطبة وجملتها الأساس هي: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، وهذا هو مضمونها الواضح، أمّا الضمائر فقد شدّت أجزاء النصّ من أوّله إلى آخره، فالداعي لهذه الخطبة ومرجعها بحسب اتّفاق الإماميّة تثبيت الولاية بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، وبالتبليغ تمّ أمر الدين، وكمُلت نعمةَ الإسلام، واستقرت الشريعة [مواهب الرحمن، للسبزواري ١٢، ٨].

أمّا أُسلوب خطبة الغدير فقد اعتمد على عرض الإجابة عن أسئلة مباشرة، وجّهها النبيّ صلَّى الله عليه وآله إلى المخاطبين، أراد بها توكيد

أُسس الدعوة في تداولهم وأذهانهم، حتّى تكتمل بالولاية، مقصد الخطبة وغايتها.

وقد شَهِدَت هذه الخطبة تفاعلًا إيجابيًّا مع ما عُرِضَ فيها، ولم تكن على نمط الخطب الوعظيّة التقليديّة التي لا يشارك فيها المخاطبون، ولا يكونون إلّا مجرّد متلقّين، لا فاعليّة لوجودهم، ولا إسهام لهم؛ وهذا ما سنعرضه في هذا البحث إنْ شاء الله، وكما يأتي.

أوّلًا: الحوار وإقرار المخاطبين

الحوار: كلُّ خطاب أو تخاطب للإقناع أو الاقتناع، يُرادُ به تجاوب المتلقّين المعيّنين، لتكوين موقف في أمر من الأُمور [المحاورة مقاربة تداوليّة، د. حسن بدّوح، إربد، ٢٠١٢، ٨٦]. والمحاورة هي المجاوبة، والتحاور: التجاوب.

أو أنّ الحوار: عَرْضٌ معيّنٌ على جمهورٍ في زمان ومكان معلومين، لمناسبة أمر طارئ يستحقّ الحوار، يريد الذي دعا لهذا الحوار مناقشة الأمر المُعيّن، أو المصلحة المشتركة، أو تدارس قضايا ترتبط بمستقبل المخاطبين، وقد يعتمدُ هذا الحوار الإجابة السريعة عن تساؤلاتٍ واستفساراتٍ موجهة إلى الحاضرين، فيُطلَبُ منهم التفاعل الإيجابيُّ مع ما يعرض من أسئلة عن موضوعه المهمّ [المحاورة مقاربة تداوليّة ٩٣].

و(الإقرار: الإذعانُ للحقّ والاعتراف به، أقرّ بالحقّ، أي اعترف به، وقد قرّرهُ عليه، وقرّره بالحقِّ غَيَّره حتّى أقرّ) [لسان العرب لابن منظور، دار المعارف بمصر، د. ت، ٥، ٣٥٨٢].

فللحوار طرفان وقضيّة تكون سببًا لهذا الحوار، ونتيجة مرجوّة تتحقّق منه، أمّا الإقرار: فالإذعان للحقّ والاعتراف به، أو أنّه: إثبات الشيء باللسان أو بالقلب أو بهما معًا [لسان العرب ١٣، ٣٩٥].

فالحوار: القول والتفاعل والقبول، والاستفهام في خطبتنا: يُراد به إقرار المخاطبين، يعضده التوكيد وكذلك النفي الذي يُراد الإيجاب، مثل: ألستم، ولن يفترقا، وكذلك النداء لشدّ الانتباه: أيّها الناس، واللهم، وجواب النداء: والِ.. وعادِ... والضمائر: شدّت أجزاء النصّ وأكّدت تماسكه وانسجامه: أُدعَى فأجيب... إنّي فرطكم... أنا مولى... أنا أولى... مولايَ... تخلفوني، أنتم قائلون... وأنتم واردون... ألا تسمعون... تشهدون... تمسّكوا... كنتُ... وعلى لسانهم: نشهدُ... بلّغتَ... ونصحتَ... جزاكَ... ضمير الغائب: جنّته، يبعثُ... والأمرُ: انظروا كيف تخلفوني في الثقلين: ردُّ الإعجاز على الصدر: أنتم واردون..

وقد ناسب افتتاح الخطبة موضوعها، وما كان من استعداد لها، وهذا هو الذي جذب متلقيها، إذ تبدأ بـ: أوشِكُ أن أُدعى فأجيبُ، ما أنتم قائلون؟ فيجيبون نشهدُ أنّك قد بلّغتَ ونصحتَ وجاهدتَ فجزاك اللهُ خيرًا، وهذا هو الإقرارُ الأوّل.

فكان بدءُ الخطبةِ متعلّقًا بـ(بلّغ) مضمون الآية، فدنوّ الأجل (أوشِكُ أن أُدعى فأجيبُ) هو الداعي للتبليغ بالوصيّة.

أمّا الإقرار الثاني فلِذكره ثوابتَ الإسلام: «ألستم تشهدون أن لا إله إلّا الله... وأنّ جنّتَه حقٌّ، وأنّ الموتَ حقٌّ، وأنّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنّ



الله يبعثُ من في القبور؟».. قالوا: بَلى نشهدُ بذلك. قال: «اللهم اشهد..» [فكان هذا إقرارهم بألسنتهم].

ثمّ قال: «أيُّها الناس ألا تسمعون؟»، قالوا نعم.. [التأكيد على سماعهم وتمام تلقّيهم].

[فيحذّرهم من المصير] «إنّي فرطكم على الحوض، وأنتم واردون... فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين..» [أي فاعتبروا].

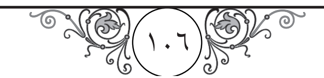
فنادى منادٍ: ما الثقلان؟ قال: «الأكبرُ: كتابُ الله.. والأصغرُ: عترتي.. لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض».

ثمّ أخذَ بيدِ عليٍّ فرفعَها... «أيّها الناسُ من أَولَى الناس بالمؤمنين من أنفسِهم؟»، قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: «اللهُ مولاي، وأنا مولى المؤمنين، أنا أولى بهم من أنفسِهم، فمن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»، يقولُها ثلاثَ مرّات... «اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه... فليُبَلِّغِ الشاهدَ الغائب...» قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ المائدة: ٣.

ثانيًا: الأسئلة وأجوبتها

ستّة أسئلة وأجوبتها، كانت الأداة والوسيلة الأهمّ في عرض محاور هذه الخطبة، وقد تتابعت لتظهرَ موضوعها، وتبيّنَ مقاصدها، وتفهم متلقّيها، وقد توزّعت هذه الأسئلة على أجزاء هذه الخطبة، وأسهمت في تفاعل المخاطبين، وشدِّهم إليها، وأخذِ رأيِهم بما جاء فيها، وتنامي مضمونها، لتُهيِّئ الأمر مع غيرها لاختتامها:

١- سؤاله صلَّى الله عليه وآله: «إنّي أوشِكُ أن أُدعى فأُجيب... فماذا



أنتـم قائلـون؟».

الجواب: نشهدُ أنّك قد بلّغتَ ونصحتَ وجهدتَ فجزاكَ الله خيرًا.

٢- سـؤاله صـلَّى الله عليـه وآلـه: «ألسـتم تشـهدون أن لا إلـه إلّا الله، وأنّ محمـدًا عبـده ورسـوله، وأنّ جنّتـه حـقٌّ، ونـاره حـقٌّ، وأنّ المـوتَ حـقٌّ، وأنّ السـاعة آتِيَـةٌ لا ريـبَ فيهـا، وأنّ الله يبعـثُ مَـن في القبـور؟».

الجواب: بلى نشهدُ بذلك.

٣- سؤال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله: «أيُّها الناس: أتسمعون؟».

الجواب: نعم.

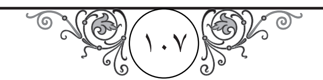
٤- سـؤال النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه: «فانظـروا كيـف تخلفـوني في الثقلـين؟»، بعـد قولـه: «إنّي فَـرَطٌ عـلى الحـوض، وأنتـم واردون...».

الفَـرَطُ: هـو السـابقُ والمُتقـدِّمُ إلى المـاء كالرائـد في الـكَلأ، أي يتقـدّم ليسـتقي لجماعتـه ويُهيِّـئ لهـم، وهـوَ (فَعَـلٌ) بمعنـى: فاعـلٌ، مثـلُ تَبَـعٍ بمعنـى تابـعٍ، وفي الحديـث: «أنتـم لنـا فـرطٌ ونحـن لكـم تبـعٌ»، [تـاج العـروس ١٩، ٥٣١]؛ والحـوضُ حـوضُ رسـولِ الله صـلَّى الله عليـه وآلـه الـذي يسـقي أُمّتـه يـوم القيامـة. [لسـان العـرب ٢، ١٠٥١].

٥- السؤال من المخاطبين: ما الثقلان يا رسول الله؟

جـواب رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه: «الثقـل الأكـبر كتـاب الله... فتمسّـكوا بـه، والآخـر الأصغـر عـترتي، وإنّ اللطيـف الخبـير نبّـأني أنّهـما لـن يفترقـا حتـى يـردا عـليّ الحـوض..».

لكـن مـا الداعـي لهـذا السـؤال؟ والمُخاطبـون أهـل فصاحـة، ولِمَ لم يُحـدّد



الثقلان في الخطبة نفسِها، كأن يكون السؤال: كيف تخلفوني في الكتاب وعترتي؟

وهنا نعرض لما جاء به بعضُ اللغويّين والمفسّرين لمادة (الثقلين والعترة)، لأهميّة هاتين المفردتين، والدلالة التي أُريد بها لهما في هذه الخطبة، وكانتا قد قُصِدَتا في موضعهما الذي وُضِعتا فيه:

جاء في تهذيب اللغة: (... عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله «إنّي تارك فيكم الثقلين خلفي: كتاب الله وعترتي، فإنّهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض..». قال محمّد بن إسحاق: وهذا حديث حسن صحيح... وفي بعضها: «إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»؛ فجعل العترة أهل البيت، وقال أبو عبيد: عترة الرجل وأُسرته وفصيلته: رهطه الأدنون... وقيل: عترة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله: أهل بيته، وهم آله الذين حُرِّمت عليهم الصَّدقة المفروضة، وهم ذوو القربى الذين لهم الخمس المذكور في سورة الأنفال ﴿... فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ...﴾ الأنفال:٤١... قال أبو العباس أحمد بن يحيى: سُمِّيا ثَقَلَينِ لأنّ الأخذ بهما ثقيل، والعمل بهما ثقيل، وأصل الثقل أنّ العرب تقول لكلِّ شيءٍ نفيس مصون: ثَقَلٌ... وقال الله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ المُزّمل: ٥، يعني الوحي... جعله ثقيلًا من جهة عِظَمِ قدره، وجلالة خطره...)، [تهذيب اللغة للأزهريّ، تح: عبد السلام هارون، مصر ١٩٧٦، ٢، ٢٦٤، ٩، ٧٨ ٧٩].

وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس: الثقل: (ضدّ الخِفّة... وأثقال

الأرض كنوزُها، في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ الزلزلة: ٢)، [تح: عبد السلام هارون، القاهرة ١٣٦٦، ١ / ٣٨٢].

وقال ابن عطيّة: (يُقال لكلِّ ما يعظمُ أمره ثَقَلٌ... وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: «إنّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي»)، [المُحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، ٢٠٠١، ٥، ٢٣٠].

وقال السمين الحلبيّ: (الثقلان الجنّ والإنس لأنهما ثُقلا الأرض؛ وقيل لثقلهم بالذنوب، وقيل: الثقل للإنس ليشرّفهم وسُمّي الجنّ بذلك مجازًا للمجاورة، والثقل العظيم الشرف؛ وفي الحديث: «إنّي تاركٌ فيكم ثقلين كتاب الله وعترتي»)، [الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبيّ، بيروت ١٩٩٤، ٦، ٢٤٢، وينظر: مسند أحمد ٣/ ١٧، والحاكم في المستدرك ٣، ١٤٨].

وفي البحر المحيط: القول الثقيل: (هو القرآن وثقله بما اشتمل عليه من التكاليف الشاقّة كالجهاد ومداومة الأعمال الصالحة)، [البحر المحيط، لأبي حيّان، الرياض، د. ت، ٨، ٣٥٩].

٦- سؤال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله: «من أَوْلَى بكم من أنفسكم؟».

أو: «من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟».

أو: «ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».

الجواب: الله ورسوله أعلم.

هذه الأسئلة كانت قد تعاقبت لتظهر مضمون الخطبة وموضوع

تبليغها، واستجلبت في تتابعها واستمرارها شهادة المخاطبين بإخلاص النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، وتواصلت بمشاركتهم الفاعلة فيها، وإقرارهم بمضامين دعوته، وقد هيّأت هذه الأسئلة للوصول إلى المعلومة الأكثر أهميّة في الخطبة، وهي: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه».

ثالثًا: التوكيد في الخطبة

تكرار (إنّ، أنّ) تسع مرّات:

(نشهد أنّك قد بَلَّغت...).

(أنّ محمّدًا... وأنّ جنّته... وأنّ الموت... وأنّ الساعة... وأنّ اللهَ يبعث).

(إنّي فرطٌ...).

(إنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما).

(إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين).

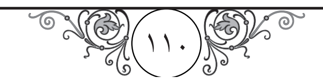
رابعًا: تكرار النفي سبع مرّات في الخطبة

«ألستم تشهدون أنْ لا إله إلّا الله»؛ هذا الاستفهام المتبوع بنفيٍ تقريريّ، نقل النفي إلى الإثبات المؤكّد؛ فالمُستفهِم يعرف أنّهم يشهدون، لكنّ غرضه إعداد المخاطبين لما بعد الإقرار.

(... لا تضلّوا... لن يفترقا... فلا تقدّموهما [الثقلان]... ولا تقصّروا عنهما).

خامسًا: النداء في الخطبة

يلجأ المتكلّم إلى النداء، كلّما شعر أنّ مخاطبه شارد عنه، أو في حاجة



إلى تنبيهه، حتى يتعزّز التفاعل [الوظائف التداوليّة، د. يوسف تغزاوي، إربد، ٢٠١٤، ١٢١].

١- اللهم اشهد...

٢- أيّها الناس ألا تسمعون... توجيه النظر، والحثّ على الاهتمام بمضمون الخطاب، والدعوة للتبصّر به، وتأمّل ما يرمي إليه المنادي [النداء في اللغة العربيّة د. أحمد محمد فارس، بيروت، ١٩٨٩، ١٦٠].

٣- ما الثقلان يا رسول الله؟

٤- أيّها الناس من أَولى بالمؤمنين... ؟

٥- اللهم والِ من والاه... دعاء لمن يتّبع الإمام..

سادسًا: الضمائر ومرجعها في الخطبة

(الربط يعمل على اتّساق النصّ وخاصّة الربط بين التراكيب اللغويّة، فهو لا يزيد تماسك النصّ فحسب، وإنّما يساعد على فهم المعاني والدلالات الواردة في النصّ...) [في علم اللغة النصّي والتطبيقي، د. مجدي حسين، القاهرة، ٢٠١٧، ١٠١].

والضمائر أصل الروابط بين مكوّنات الجمل وكامل النصّ، وفيما يأتي عود الضمائر في نصّ خطبة الغدير:

ياء المتكلّم: ضمير يعود على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله في ثمانية مواضع، هي: (نبّأني اللطيف الخبير... إنّي أُوشكُ أن أُدعى... وإنّي مسؤول... إنّي فَرَطٌ على الحوض... تخلفوني في الثقلين... إنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا... سألتُ ربّي... الله مولايَ).

ضمير المتكلم (أنا) تكرّر مرتين: (أنا مولى... أنا أَولى...).

ضمير المتكلم (التاء) تكرّر مرتين أيضًا: (سألتُ... كنتُ مولاه...).

خطاب الرسول صلَّى الله عليه وآله للآخرين: (أنتم مسؤولون... أنتم قائلون... ألستم تشهدون... ألا تسمعون... أنتم واردون...).

ضمير جماعة المتكلمين: (نشهد أنّك... نشهدُ بذلك...).

ضمير الخطاب الموجّه للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله: (بلّغتَ... نصحتَ... جهدتَ).

(ألا تسمعون... فانظروا... تمسّكوا... لا تضلّوا... فتهلكوا... فتهلكوا).

خطاب البارئ عزَّ وجلَّ: (إنّ محمّدًا عبده... جنته... ناره... يبعثُ... اللهم اشهد... طرفٌ بيده... رسوله...).

خطاب الإمام عليٍّ عليه السَّلام بـ(هاء) الغياب: (أخذ بيد عليٍّ فرفعها... والِ من والاه... وعادِ من عاداه... أحبّه... أبغضه... نصره... خذله... معه...).

الكتاب والعترة: (تمسكوا به... أنّهما... لن يفترقا... يردا... لهما... فلا تقدموهما... ولا تقصّروا عنهما).

سابعًا: أفعال الأمر والنهي في الخطبة

انظروا... تمسّكوا به... لا تضلّوا... لن يتفرّقا... فلا تقدَّموهما... ولا تقصّروا عنهما... والِ... عادِ... أحِبَّ... أبغض... انصر... اخذل... أدر... ألا فليبلغ الشاهد الغائب.

ثامنًا: الشرط في الخطبة

جملة الشرط: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه...»، هي الجملة المركزيّة في الخطبة، وهي جملة نواة هذه الخطبة مثلما يقول اللغويّون المحدثون وهي الغاية المقصودة منها، فهي المعلومة المقاليّة الجديدة الأبرز فيها، وقد أُريدَ بها إنجاز تبليغ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ المائدة: ٦٧)؛ الدافع والدلالة المقاميّة التي استوجبت ظهور هذه الخطبة.

والشرطُ في اللغة: هو إلزام الشيء والتزامه [القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ط ٢، بيروت، ٢٠٠٣، ٦٢٠، وتاج العروس، للزبيدي، الكويت، د. ت، ١٩، ٤٠٤]؛ وفي الاصطلاح: (ما يتوقّف عليه وجود الشيء فيمتنع بدونه؛ أو ما يترتّب وجوده عليه... قال بعض المحقّقين: ما يسمّيه النحاة شرطًا هو في المعنى سبب لوجود الجزاء، وهو الذي يسمّيه الفقهاء علّة ومقتضيًا وموجبًا...) [الكليّات للكفوي، تح: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، قم، ١٤٣٣، ٤٤٤].

لكن أيكون هذا الإلزام أو الالتزام أو الموجب مقصورًا على المُخاطبين بأعيانهم لا يتعدّاهم إلى غيرهم في الزمان والمكان؟ !

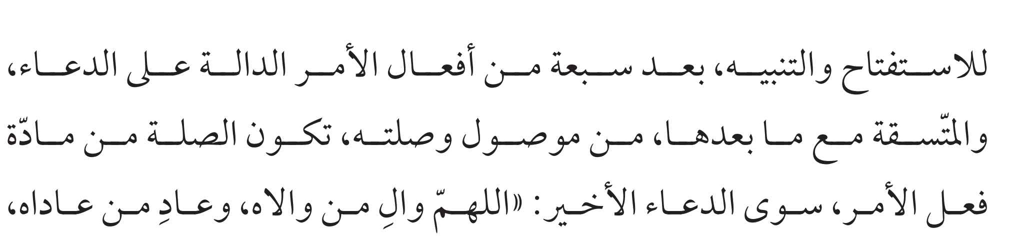
بمعنى أهذا الخطاب خطاب مغلق، محصور بمخاطبين مباشرين معيّنين معنيّين؟ أم هو خطاب مفتوح يشمل غيرهم في زمانهم وفي الأزمان اللاحقة بزمنهم؟

فالإجابة صريحة واضحة من الخطبة نفسِها، وفي اختتامها، وفي آخر عبارة من عباراتها: «ألا فليبلغِ الشاهدُ الغائبَ»، و(ألا) في هذه العبارة:

للاستفتاح والتنبيه، بعد سبعة من أفعال الأمر الدالة على الدعاء، والمتّسقة مع ما بعدها، من موصول وصلته، تكون الصلة من مادّة فعل الأمر، سوى الدعاء الأخير: «اللهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحِبَّ من أحبّه، وأبغِضَ من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدِر الحقّ معه حيث دار».

و(ألا) في هذه العبارة بمثابة الإعلان عن تنبيه السامعين على أهميّة هذه الأوامر، ووجوب إشاعتها وتبليغها.

ويتأكّدُ هذا أيضًا من صياغة جملة (فليبلغِ الشاهد الغائب)، فاللام لام الأمر، والفعل (يبلغِ) المضارع المجزوم، ينسجم والسبب الذي من أجله كانت هذه الخطبة، فضلًا عن أنّها صدى لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ المائدة: ٦٧)، ومادّته اللفظيّة من مادته: بلّغ: فليبلغ؛ وبكلّ هذا يحسن ختام الخطبة، ويرفع مقامها بلاغيًّا؛ فبالإمام عليه السَّلام كمُلَت النعمة واستقرّت الشريعة.



الخاتمة

لا بُدَّ من وعي السياق التاريخي لنصّ خطبة الغدير، وقراءتها وقراءة ما يُحيط بها قراءة تفاعليّة متأنّية، والنظر إليها بعيون معاصرة، ومعرفتها معرفة دقيقة على جميع المستويات اللغويّة، والإلمام بمختلف السياقات التي ظهر فيها ولاسيما التفاعل بين الخطيب والمعنيين بالخطبة؛ للخروج برأيٍ محايد واعٍ (يتمكّن هذا الوعي من تأمّلِ نفسه، في علاقته بمعطيات التراث المقروء، وكيفيّة إدراكه لها وسيطرته عليها) [قراءة التراث

والحداثـة، د. جابـر عصفـور، القاهـرة، ١٩٩٠، ٢٥].

أمّـا محـور الخطبـة الرئيـس فهـو (تبليـغ الدعـوة والإقـرار بمضمونهـا)، موازنـة مـع المحـاور الفرعيّـة الأُخـرى، والخطبـة نفسـها استجابة لقولـه تعالى: ﴿يَـا أَيُّهَـا الرَّسُـولُ بَلِّـغْ مَـا أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ مِـنْ رَبِّـكَ...﴾ (المائـدة: ٦٧)، مثلـما عرضنـا.

وداعـي التبليـغ والإقـرار أنّ النبـيَّ صـلَّى الله عليـه وآلـه سـيُدعى لتلبيـة نـداء ربّـه، فيسـألُ المخاطبـين عـن أدائـه ومسـؤوليتهم إن جـاز التعبـير بقولـه: «إنّي مسـؤول وأنتـم مسـؤولون؛ فـماذا أنتـم قائلـون؟»، فيشـهدون لـه بالجَهـد بالتبليـغ وبالنصيحـة، هـذا في المقطـع الأوّل.

أمّـا في المقطـع الثـاني فيطلـب شـهادة ثانيـة هـي الشـهادة لله ولرسـوله، وبالمصـير المحتـوم للبشر: المـوت والجنّـة والسـاعة والبعـث؛ فيشـهدون بذلـك؛ فيؤكّـد شـهادتهم وإقرارهـم بقولـه: «اللهـمّ اشـهد».

ثـمّ يتوقّـف في مقطـع ثالـث ليتأكّـدَ مـن سـماعهم مـا سبق، واستعدادهم لتلقّـي ما سيأتي مـن الخطبـة، في قولـه: «أيّهـا النـاس: ألا تسـمعون؟» فيقولـون: نعم .

فيتحـوّل إلى الحديـث عـن المصـير في مقطـع رابـع، وكيـف سـيواجهونه وهـو سـابقهم عـلى الحـوض، اسـتنادًا إلى مـا سـيكون موقفهـم مـن الثقلـين، فيسـألون مـا الثقـلان؟ فيحدّدهمـا بالكتـاب والعـترة.

أمّـا المقطـع الخامـس فشـهادة المخاطبـين بالتسـليم لله ولرسـوله، في جوابهم لسـؤال مـن أولى بالمؤمنـين مـن أنفسـهم، فيؤكّـدُ أنّ الله مـولاه، وهـو مـولى

المؤمنين، ويكتمل مضمون التبليغ بالولاية، في قوله صلَّى الله عليه وآله: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه...».

فالمناسبة واضحة بين أجزاء النصّ ومقاطعه من أوّله إلى آخره على مستوى اللغة والمضمون... والحمد لله ربّ العالمين.

المصادر

البحر المحيط، لأبي حيّان، الرياض، د. ت.

تاج العروس، للزبيدي، الكويت، د. ت.

تهذيب اللغة للأزهريّ، تح: عبد السلام هارون، مصر ١٩٧٦.

الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبيّ، بيروت ١٩٩٤.

شواهد التنزيل، للحسكاني، تح: محمد باقر المحمودي، ط ٢، بيروت، ٢٠١٠.

عليّ بن أبي طالب، سلطة الحقّ، عزيز السيّد جاسم، ط ٢، بغداد، ٢٠١٢.

الغدير في الكتاب والسنّة والأدب، عبد الحسين الأميني، ط ٢، طهران، ١٣٦٦هـ.

في علم اللغة النصّي والتطبيقي، د. مجدي حسين، القاهرة، ٢٠١٧.

القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ط ٢، بيروت، ٢٠٠٣.

قراءة التراث والحداثة، د. جابر عصفور، القاهرة، ١٩٩٠.

الكليّات للكفوي، تح: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، قم، ١٤٣٣هـ.

لسان العرب لابن منظور، دار المعارف بمصر، د. ت

المحاورة مقاربة تداوليّة، د. حسن بدّوح، إربد، ٢٠١٢.

المُحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، ٢٠٠١.

المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، ١٩٩٠.

مسند أحمد بن حنبل، تح شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١.

معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تح: عبد السلام هارون، القاهرة ١٣٦٦

مواهب الرحمن، للسبزواري، ط ٢، قم، ٢٠٠٧.

موسوعة عبد الله بن عباس، محمد مهدي الخرسان، قم، ١٤٢٨.

النداء في اللغة العربيّة د. أحمد محمد فارس، بيروت، ١٩٨٩.

الوظائف التداوليّة، د. يوسف تغزاوي، إربد، ٢٠١٤.

نظريَّة الأفعال الكلامية في خطبة الغدير

أ. د. سيف طارق حسين - أ. م. د. قصي سمير عبيس

المقدِّمة

الْحَمْدُ للهِ الَّذي عَلا في تَوَحُّدِهِ، وَدَنا في تَفَرُّدِهِ، وَجَلَّ في سُلْطانِهِ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين.

وبعد.... فإنَّ مصطلح الأفعال الكلامية التي ظهرت حديثًا في إطار علم اللغة الحديث، وقد استعملها الناطقون ضمن مقاصدهم وتحدياتهم؛ لذلك أعطت زخمًا للسياق الذي يؤثر في الوصول إلى المعنى المطلوب. ومن هنا طبّق الباحث نظرية الأفعال الكلامية على خطبة الغدير. ولعلي لا أستطرد إن قلت إن ما حداني إلى وضع هذا البحث، جملة من الأسباب أوجزها بما يأتي: إنها تعد العلامة الفارقة من تاريخ المسلمين، وكذلك تؤثر في سلوك المتداولين لها، فتؤثر في سلوكهم، وتتناغم قلوبهم، وتثبت عقيدتهم، فقد وظِّفت الخطبة بصورة واعية بما يتعلّق بسلوك المتلقّي. وقد قسمنا البحث على مقدمة وتمهيد وموضوعات نظرية الأفعال الكلامية، تناولنا في التمهيد نظرية الافعال الكلامية وتطورها في الدرس الّلغويّ الحديث، ووقفت على خطبة الغدير وبيان آثارها التداولية. وبعد ذلك اختصَّ البحث بدراسة انتقال دلالة الأفعال الكلامية في الخطبة وتوجيهها بين القدماء والمحدثين. وقد خُتم البحث بخلاصة بيّنا أهم

ما جاء فيها. ونحن لا نرجو لذة المعرفة فقط، بل نريد أن نقف على الحقيقة المغيَّبة، وترسيخ العقيدة الصالحة، إذ إننا أيضًا خاضعون للتاريخ من خلال مؤلفاتنا. كما يقول جورج مونين(). وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

التمهيد

نظرية الافعال الكلامية وتطورها في الدرس اللغوي الحديث

مفهوم الأفعالِ الكلاميَّة:

إن الفعل الكلامي أحد المفاهيم الاساسية في اللسانيات التداولية، وقد ولدت هذه النظرية من مقولة مالينوفسكي: « إن اللغة أسلوب عمل وليست توثيق فكرة»(). ثم تطورت عند اوستن، وقصد به الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلاً بعينه (أمر، طلب، تصريح، وعد) غايته تغيير حال المتخاطبين. وتبع هذا التعريف من المحدثين العرب مسعود صحراوي، فقال: إنّ «الفعل الكلامي، بانه التصرف او العمل الاجتماعي او المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام وهكذا فهو يرى ان الفعل الكلامي يراد به الانجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن امثلته: السؤال، التعيين، الاقالة، والامر، والنهي.... فهذه كلها افعال كلامية»().

ومما تقدّم يتضح أن الفعل الكلامي أصبح نواة مركزية في كثير الاعمال التداولية، وفحواه ان كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري، وكذلك يعد نشاطًا ماديًّا نحويًّا يتوسل أفعالا قولية من اجل

تحقيق أغراض انجازية كالطلب والامر والوعد والوعيد... الخ، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) ومن ثم فهو فعل يطمح الى ان يكون فعلا تأثيريا، اي يطمح ان يكون له تأثير في المخاطب، اجتماعيا او مؤسساتيًّا، ومن ثم انجاز شيء ما. وهذا ما حصل في خطبة الغدير في حرصها الواضح على أن يكون خطابها له أفعالاً تأثيرية على المتلقي؛ لكي يبني مجتمعًا خاليًا من الفساد.

الأفعالُ الكلاميَّة في خطبة الغدير

يهتم هذا المبحث بالنظر إلى الأفعال الكلاميَّة في خطبة الغدير، وعلاقتها بالمقام وما يتصل به من قرائن الأحوال، وربطها بمعانيها المختلفة بحسب السياقات التي ترد فيها، مهتمة في الوقت نفسه بمكونات أو طبقات الفعل الكلامي مثل: الحمل والإسناد والإحالة والقضية من جهة، ومنزلة المتكلّم والسامع وعلاقة كل منهما بالآخر وحالتهما النفسية والذهنية والثقافية من جهة أخرى، وقبل البدء بتحليل الفعل الكلاميّ للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله). وقبل البدء باختيار النماذج من الخطب سنحاول توضيح مكونات السياق المقامي للزيارة الجامعة وفاقًا لمخطّط رومان جاكبسون التبليغيّ:

١- المبلغ: الرسول محمد (صلى الله عليه وآله).

٢- المبلغ له: جميع المسلمين في شرق الارض وغربها.

٣- المرجع: مجموعة من الأماكن والأزمنة والشخصيات التي أحال إليها رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله).

٤- قناة التبليغ: غدير خم.

٥- الرسالة: اتمام النعمة في تولية أمير المؤمنين عليه السلام اماما للمسلمين.

٦- السنن: هي مجموعة القواعد النحويَّة والصرفيَّة والتداوليَّة التي صنفت على وَفْقها الأفعال الكلاميَّة المتضمنة في خطبة الغدير، ويمكن تصنيف كل ما سبق بالمخطط الآتي:

مخطط (١) من إعداد الباحث على وفقِ تصنيفِ رومان جاكبسون

وقد قسّم الباحث مضمون البحث على موضوعات متعددة بحسب السياق العام لخطب البناء المجتمعي على النحو الآتي:

الموضوع الأول: تحليل الأفعال الكلامية في سياق (أسباب نزول آية التبليغ).

أ- ذكر رسولنا الأكرم (صلى الله عليه وآله)، جاء في مقدِّمة الخطبة: ((مَعاشِرَ النّاسِ، ما قَصَّرْتُ في تَبْليغِ ما أَنْزَلَ اللهُ تَعالى إلَيَّ، وَأَنَا أُبَيِّنُ لَكُمْ سَبَبَ هذِهِ الآيَةِ: إنَّ جَبْرَئيلَ هَبَطَ إلَيَّ مِراراً ثَلاثاً يَأْمُرُني عَنِ السَّلامِ رَبّي وَهُوَ السَّلامُ أَنْ أَقُومَ في هذَا الْمَشْهَدِ فَأُعْلِمَ كُلَّ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبي طالِب أَخي وَوَصِيّي وَخَليفَتي عَلى أُمَّتي وَالإْمامُ مِنْ بَعْدي، الَّذي مَحَلُّهُ مِنّي مَحَلُّ هارُونَ مِنْ مُوسى إلاّ أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدي، وَهُوَ وَلِيُّكُمْ بَعْدَ اللهِ وَرَسُولِهِ(١). وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى عَلَيَّ بِذلِكَ آيَةً مِنْ كِتابِهِ هِيَ: (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ)(المائدة: ٥٥)).

وليس من وكدي أنْ أذهب بعيداً في هذه المسألة، بل أكتفي بهذه الإشارة الموجزة وأقول: إن نبينا الأكرم أكد سبب نزول آية التبليغ، ولأهمية الأمر نزل جبريل ثلاث مرات لهذه القضية، وإذا تأملنا مليًّا في هذا التأكيد نجد أن جبريل له رسالة مهمة من رب العزة والجلال يطلع بها الرسول الأكرم بأمر مهم يكمن في أن يعلم الناس من الاجناس كافة أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبي طالِب هو الخليفة عَلى أُمَّة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله)، وَالاْمامُ مِنْ بَعْده. وقد أحله مَحَلّ هارُونَ مِنْ مُوسى. ونستشف من ذلك جملة من الأمور:

أ- قرب انتهاء مدة النبوة: إن النبي لا بد من متمم لرسالته، وهذا الشخص يجب أن يتحلى بصفات الكمال الالهي.

ب- الإمامة لا تكون بطريقة الشورى وإنما بالتعيين من الله تعالى عن طريق رسوله الكريم.

ت- الوصية: المتأمل في كلام الرسول يتضح عنده ان كلامه هو وصية يجب الالتزام بها.

ونخلص إلى أن التداولية من ذلك في أمرين، الأمر الأول: القضاء على جميع المخططات المصلحية التي كانت تحاك للنيل من إمام المتقين علي عليه السلام. والآخر: قطع الطريق أمام المنتفعين لسرقة ولاية المسلمين بطرق خبيثة وغير شرعية.

ب - تحليل الأفعال الكلاميَّة المتضمنة في الموضع الأول: ((فَاعْلَمُوا مَعاشِرَ النّاسِ ذلِكَ فيهِ وَافْهَمُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً

وَإماماً فَرَضَ طاعَتَهُ عَلَى الْمُهاجِرينَ وَالاَنصارِ وَعَلَى التّابِعينَ لَهُمْ بِإِحْسانٍ، وَعَلَى الْبادي وَالْحاضِرِ، وَعَلَى الْعَجَمِيِّ وَالْعَرَبِيِّ، وَالْحُرِّ وَالْمَمْلُوكِ وَالصَّغيرِ وَالْكَبيرِ، وَعَلَى الاَبْيَضِ وَالاَسْوَدِ، وَعَلى كُلِّ مُوَحِّدٍ ماضٍ حُكْمُهُ، جازٍ قَوْلُهُ، نافِذٌ أَمْرُهُ، مَلْعُونٌ مَنْ خالَفَهُ، مَرْحُومٌ مَنْ تَبِعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِمَنْ سَمِعَ مِنْهُ وَأَطاعَ لَهُ. مَعاشِرَ النّاسِ، إِنَّهُ آخِرُ مَقامٍ أَقُومُهُ في هذَا الْمَشْهَدِ، فَاسْمَعُوا وَأَطيعُوا وَانْقادُوا لاَمْرِ اللهِ رَبِّكُمْ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ مَوْلاكُمْ وَإِلهُكُمْ، ثُمَّ مِنْ دُونِهِ رَسُولُهُ وَنَبِيُّهُ الْمُخاطِبُ لَكُمْ، ثُمَّ مِنْ بَعْدي عَلِيٌّ وَلِيُّكُمْ وَإمامُكُمْ بِأَمْرِ اللهِ رَبِّكُمْ، ثُمَّ الاْمامَةُ في ذُرِّيَّتي مِنْ وُلْدِهِ إلى يَوْمٍ تَلْقَوْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ))(٢).

- الفعل الكلامي: (فَاسْمَعُوا، وَأَطيعُوا، وَانْقادُوا) هذه الافعال تمثل أوامر الرسول الأكرم ويا لها من افعال كلامية! المتأمل فيها يجد أن الرسول (صلى الله عليه وآله) كأنه اختار هذه الافعال اختياراً لما فيها من دلالات تأكيدية واضحة وكأنه يعلم ما سيكون، فما حدث أنهم لم يستمعوا، ولم يطيعوا، ولم ينقادوا. وذلك قال الله تعالى في حق هؤلاء نَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا [الأحزاب: ٥٧].

- فعل إسنادي: يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول الفعل (استمع)، وموضوعه الفاعل المتصل (الواو) الدالّ على المخاطبين الموجودين في غدير خم، وموضوعه تحذيرهم من نكران، ونسيان، وعدم الطاعة والانقياد لأوامر الله تعالى، ورسوله الكريم.

- فعل إحالي: أحال رسولنا الأكرم في هذه الفقرة القصيرة ثلاث إحالات واحدة تختلف عن الأخرى، الاحالة الأولى إلى نفسه عن طريق أوامره وخطابه للمسلمين (اسمعوا، أطيعوا)، والاحالة الثانية إلى الحاضرين في الخطبة عن طريق الإشارة إليهم بالضمير المتصل الواو في (اسمعوا، واطيعوا، وانقادوا)). والاحالة الثالثة الإشارة إلى الله تعالى، عن طريق الإشارة بالضمير الكاف في (مولاكم وإلهكم).

- فعل دلالي: يتكون من القضية التي تتمثَّل في اتباع أوامر الله ورسوله، والاستماع والانقياد والطاعة لأوامر الرسول في مبايعة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وتتكون القضية من:

١- الاقتضاء: الوقوف على منزلة يعسوب الدين علي بن أبي طالب، وإثبات ولايته. قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه قال لعلي ابن ابي طالب (انت وليي في الدنيا والاخرة)(٣).

٢- استلزام منطقيّ: يشترط في ذلك التسلسل الآتي: التسليم والطاعة لأوامر الله تعالى، لتولي أمير المؤمنين إمامة المسلمين.

- فعل انجازي: تتألف احتمالياته الدلالية من:

١- قوة إنجازية حرفية: وهي تقرير أحداث الخطبة والتي تتمثل بطاعة الحاضرين لكلام رسول الله في مبايعة أخيه وصفيّه أمير المؤمنين (عليه السلام) والتسليم له لفظًا وقلبًا.

٢- قوة انجازية مستلزمة: تتمثّل بالاختصاص؛ أي في الاعتراف بولاية أمير المؤمنين على الناس، قال تعالى: (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ

آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].
وعن النبي صلى الله عليه وآله قال:« وله صلى الله عليه و آله و سلم: « أول من يدخل من هذا الباب إمام المتقين، وسيد المسلمين، ويعسوب الدين، وخاتم الوصيين، وقائد الغر المحجلين، فدخل علي، فقام إليه مستبشرا، فاعتنقه و جعل يمسح عرق جبينه، و هو يقول له: أنت تؤدي عني، وتسمعهم صوتي، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي »(٤).

ولعلّ المتتبع لبعض الأقلام المأجورة، وكذلك بعض عباد السلاطين يخالف ذلك التبليغ الالهي لأنه يضر في مصالحهم الدنيوية؛ إذ يجد أن طريق الخلافة هو الشورى؛ ولذلك اهتم رسولنا الأكرم أن تكون القوة الإنجازية تستلزم تعيينه وتكريمه أمام جميع المسلمين الحاضرين في الحج، واثبات حقه بالامامة، فضلاً عن كشف المؤامرات والدسائس التي تحاك للنيل من أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، فقال رسولنا الأكرم في ذلك (ثُمَّ مِنْ بَعْدي عَلِيٌّ وَلِيُّكُمْ وَإمامُكُمْ بِأَمْرِ اللهِ رَبِّكُمْ، ثُمَّ الْأمامَةُ في ذُرِّيَّتي مِنْ وُلْدِهِ إلى يَوْم تَلْقَوْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ))، فهنا أكد رسولنا الحبيب على مكانة أمير المؤمنين وذريته بوصفهم (الأولياء والائمة). فالجملة في السياق المقاميّ تقصدت الفعل الكلاميّ المباشر في بيان أمير المؤمنين، وكذلك أنجز في ضوئها فعل الاستماع والطاع والانقياد الذي يمثل لنا فعلًا لغويًّا غير مباشر

وفي هذا المقام يجدر بنا أن ننبه على شيء جدير بالانتباه مؤداه أنّ الفعل الإنجازي فرصة فريدة لإبراء الذمة أمام الله تعالى، وهذا يمثل الفعلُ

اللّغويُّ المباشر، ولكن الفعل اللّغويّ غير المباشرِ المتمثل بالقوة الانجازية المنشودة التي أرادها الرسول الكريم تحذرهم من نقض المواثيق، والالتزام با لبيعة .

الموضوع الثاني: تحليل الأفعال الكلامية في سياق تدبّر القرآن والجمع بين القرآن العترة

أ- السياق العام: التأكيد على تدبّر القرآن، وفهم آياته، والنظر من محكمه ومتشابهه، والتأكيد على ولاية أمير المؤمنين، والجمع بين الثقلين القرآن الكريم، والعترة الطاهرة.

ب- تحليل الأفعال الكلاميَّة: ((مَعاشِرَ النّاسِ، تَدَبَّرُوا القُرْآنَ وَافْهَمُوا آياتِهِ، وَانْظُرُوا إلى مُحْكَماتِهِ وَلا تَتَّبِعُوا مُتَشابِهَهُ، فَوَ اللهِ لَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ زَواجِرَهُ وَلَنْ يُوضِحَ لَكُمْ تَفْسيرَهُ إلاَّ الَّذي أَنَا آخِذٌ بِيَدِهِ وَمُصْعِدُهُ إلَيَّ وَشائِلٌ بِعَضُدِهِ وَرافِعُهُ بِيَدي وَمُعْلِمُكُمْ: أَنَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهذا عَلِيٌّ مَوْلاهُ، وَهُوَ عَلِيٌّ بْنُ أَبي طالِب أَخي وَوَصِيّي، وَمُوالاتُهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَها عَلَيَّ. مَعاشِرَ النّاسِ، إنَّ عَلِيّاً وَالطَّيِّبينَ مِنْ وُلْدي مِنْ صُلْبِهِ هُمُ الثِّقْلُ الاصْغَرُ، وَالْقُرْآنُ الثِّقْلُ الاَكْبَرُ، فَكُلُّ واحِد مِنْهُما مُنْبِئٌ عَنْ صاحِبِهِ وَمُوافِقٌ لَهُ، لَنْ يَفْتَرِقا حَتّى يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ أَلا إنَّهُمْ أُمَناءُ اللهِ في خَلْقِهِ وَحُكّامُهُ في أَرْضِهِ أَلا وَقَدْ أَدَّيْتُ، أَلا وَقَدْ بَلَّغْتُ، أَلا وَقَدْ أَسْمَعْتُ))(٥).

- الفعل الكلامي: (تدبر، تتبع، افهم)، ويتشكل من:

١- فعل إسناديّ: جملة فعلية مكونة من محمول فعل (تدبر) وموضوعه الفاعل المتصل (المسلمون الحاضرون في غدخم).

٢- فعل إحاليّ: إحالة إلى الحاضرين الذين حضروا مع رسول الله (صلى الله عليه وله وسلم) عن طريق الإشارة إليهم بضمائر المتصلة (تدبروا)، والضمير المتصل (الواو).

٣- فعل دَلاليّ: يتكون من القضية التي تتمثل في اتباع رسول الله (صلى الله عليه وآله) والالتزام بأوامره، وتشتمل القضية على:

٤- الاقتضاء: اقتضاء الامتثال إلى أوامر رسول الله، واتباع وصاياه؛ لأنها سبب النجاة والخلاص. فعن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه قال عن علي ابن ابي طالب (ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا)(٦).

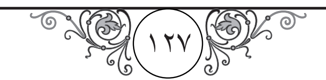
٥- استلزام منطقي: أن يمتثل المسلمون لوصايا رسول الله، ولا يجوز مخالفته والموالاة لغير ما وصى به.

٦- فعل إنجازي: ويتجسد في هذه الجملة الفعلية التي تتكون من حمولتها الدلالية من:

أ- قوة إنجازية حرفية: وهي فعل الأمر.

ب- قوة إنجازية مستلزمة: تتجسَّد في الزام رسول الله (صلى الله عليه وآله) للمسلمين في اتباعهم له؛ للوصول إلى الطريق القويم؛ فهو أخو رسول الله ووصيه. للسعي إلى الكمال الالهي، والتمهيد الى الدولة العادلة. فعن الرسول صلى الله عليه واله وسلم: (مكتوب على باب الجنة لا اله الا الله محمد رسول الله علي اخو رسوله((٧).

الموضوع الثالث: تحليل الأفعال الكلامية في سياق تجنب الحسد



والبغضاء لعلي عليه السلام

أ- السياق العام: التأكيد على تجنب الحسد؛ لأن الحسد يحبط الأعمال، وتزل الاقدام.

- تحليل الأفعال الكلامية المتضمنة: ((مَعاشِرَ النّاسِ، إنَّ إبْليسَ أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ بِالْحَسَدِ، فَلا تَحْسُدُوهُ فَتَحْبِطَ أَعْمالُكُمْ وَتَزِلَّ أَقْدامُكُمْ، فَإنَّ آدَمَ أُهْبِطَ إلَى الأَرْضِ بِخَطيئَة واحِدَة، وَهُوَ صَفْوَةُ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَكَيْفَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ وَمِنْكُمْ أَعْداءُ الله. ألا وَإنَّهُ لا يُبْغِضُ عَلِيّاً إلاّ شَقِيٌّ))(٨).

- الفعل الكلامي: تحسد، تحبط، تزل. ويتشكَّلُ من:

١- فِعْلٌ إسناديٌّ: جملة فعلية مكونة من محمول فعل (تحسد)، وموضوعه الفاعل المستتر وهو أنتم الذي يعود على (المسلمين الحاضرين في غدير خم)، و(تحبط) وموضوعه الفاعل الظاهر وهو (أعمالكم). فهنا اختلف ضمير الفعل الاسنادي، ولكن موضوعه واحد.

٢- فعلٌ إحاليٌّ: هناك أكثر من احالة في كلام الرسول الأكرم فتارة تكون الاحالة للمسلمين الحاضرين في يوم الغدير، وتارة أخرى تكون الاحالة لإبليس في (إخراج آدم).

٣- فعلٌ دَلاليٌّ: يتكون من القضية التي تتمثَّل في نهي رسول الله عن الحسد وتجنب حبط العمل.

٤- الاقتضاء: اقتضاء حبّ علي لدخول الجنة. قال الرسول صلى الله عليه واله وسلم: (يا علي انت قسيم الجنة فيوم القيامة تقول للنار هذا لي وهذا لك)٩.

٥- استلزام منطقي: ولاية أمير المؤمنين يقودنا إلى تجنب الحسد وحسن الخاتمة.

٦- فعل إنجازيٌّ: يتجسَّد في هذه الجملة الفعليَّة التي تتكون من حمولتها الدلالية من:

أ- قوة إنجازية حرفية: وهي الأفعال المضارعة (تحسد، تحبط، تزل).

ب- قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في ضرورة ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) وتجنب الحسد والبغض لأمير المؤمنين؛ للوصول الى حسن العاقبة ودخول الجنة.

وعلى اية حال فلا يظفر الدارس بالفائدة الكبيرة إلا إذا تبيّن أنَّ الغرض الإنجازي المباشر في هذا المقطع الولاية لعلي بن أبي طالب (عليه السلام). أمَّا الخطبة بمجملها وفي السياق المقامي الذي وردت فيه، فقد أُنجز في أثنائه فعل لغويّ غير مباشر يتمثّل في النهي عن الحسد، وقتل البغضاء لعلي عليه السلام؛ لأن رسول الله عالم بما سيكون من تباغض وحسد، فضلاً عن ابعاده عن الخلافة بعد رسول الله، وهذا استدلال على أن الرسول غير مقتنع بسلوكيات كثير من الحاضرين في يوم الغدير.

تبقى نقطة أخيرة في امتحان صحة رأي الباحث في ضرورة التمسك بولاية أمير المؤمنين؛ لأن ذلك طريق الفلاح؛ لذا فمَنْ خالف هذا الشرط يعني العمل بنقيضه وهو الحسد والبغض، يؤدي إلى سوء العاقبة؛ ولذلك كان الأصل في هاتين الجملتين أن تكونا مترابطتين، وأن تكون الأولى مقدمة طبيعية للثانية، والثانية ترتبط بالأولى أي ارتباط المسبب بالسبب،



أو النتيجة بالمقدمة مثل: مَنْ يذاكر ينجحْ وواضح في كلِّ ذلك أن جملة جواب الشرط خاضعة للشرط خضوع العلة للمعلول(١٠). في حين يرى أحدُ الباحثِين أنَّ الجملة الثانية ليست هي الجواب، وأثبت ذلك بتطبيقه للمنهج التوليديّ على هذا النمط، واحترازًا من الاطالة سأنقل نصاً واضح الدلالة على ما أقول ففي اليسير دلالة على كثير، فقولنا: (مَنْ أراد مالًا، فإنَّ المالَ عندي)، من الواضح أن الجملة الثانية ليست هي الجواب، فليست إرادتك المال بمقتضية وجوده عندي؛ أي إن الثانية ليست نتيجة للأولى، وليست الأولى سببًا للثانية، وإنّما الأصل ليأتِ إليّ، ثم دخلت عليها جملة الشرط (مَنْ أراد مالًا)(١١). ويستنتج الباحث وفقًا للمنهج التوليدي أنَّ (الذي يحسد عليًّا يحْبِطَ عمله، وَتَزِلَّ قدمه، والذي يبغضه يكون من الاشقياء).

خلاصة البحث

بعد رحلةٍ علميَّةٍ شاقة وشيقة نقَّبنا فيها عن واحدة من الابعاد التداولية في خطبة الغدير ظهر لي عدد من النتائج على النحو الآتي:

تعدُّ نظريةُ الأفعالِ الكلاميَّة الركيزةَ الأساسيةَ التي قام عليها الاتّجاه التداوليّ، وهي من أهم نظرياته. والفعل الكلامي هو إنجازٌ ذو طابع اجتماعيّ يتحقّق في الواقع بمجرد التلفظ به بغرض تحقيق التواصل، ومن ثَمَ التأثير في المتلقي عن طريق حمله على فعلٍ ما، أو تركه، أو تقرير حكمٍ من الأحكام.

أنَّ الجملَ لا تتعلَّق بالصدق أو الكذب فقط، وإنَّما السياقُ والمناسبةُ

والظـروفُ الأخـرى التـي توصلنـا إلى المـراد، والتـي يتـم فيهـا الفعـلُ الكلامـيُّ أيضًـا. فـكلُّ كلامٍ يسـتلزم سـلوكًا محكومًـا بقواعـد يسـعى في ضوئـه للكشـف عـن المعـاني المقصـودة عـن طريـق البحـث بـين اللغـة والاتصـال.

إنَّ مكونـات السـياق المقامـيّ لخطـب الإصـلاح عـلى وَفْـق مخطـط اللغـوي رومـان جاكبسـون التبليغـي هـي: المبلـغ: رسـولنا الأكـرم محمـد (صـلى الله عليـه وآلـه)، والمبلـغ لـه: جميـع المسـلمين. والمرجـع: مجموعـة مـن الأماكـن والأزمنـة والشـخصيات التـي أحالـت إليهـا خطبـة الغديـر، وقنـاة التبليـغ: خطبـة الغديـر. والرسـالة: موضوعـات مختلفـة تضمنتهـا خطبـة الولايـة. والسـنن: هـي مجموعـة القواعـد النحويـة والصرفيـة والتداوليـة التـي صنفـت عـلى وفقهـا الأفعـال الكلاميـة المتضمنـة في الخطـب.

والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على محمَّد وآله الطاهرين.

المصادر والمراجع

الترمـذي، أبـو عيسـى محمـد، سـنن الترمـذي، تحقيـق: بشـار عـواد معروف، النـاشر: دار الغرب الإسـلامي، سـنة النـشر: ١٩٩٦م.

جامـع العلـوم أبـو الحسـن عـلي بـن الحسـين الباقـولي، الاسـتدراك عـلى ابي عـلي الفـارسي في الحجـة،، تحقيـق: د. محمـد أحمـد الـدالي، دار النـشر: مكتبـة البابطـين المركزيـة للشـعر العـربي، الطبعـة الأولى (١٤٢٨هــ/ ٢٠٠٧م).

جـورج مونـين، تاريـخ علـم اللغـة منـذ نشـأتها حتـى القـرن العشريـن، ترجمـة بـدر الديـن القاسـم، دمشـق وزارة التعليـم العـالي، مطبعـة جامعـة دمشـــق، ١٩٧٢م.

حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية. المؤلف، دار المؤرخ العربي- بيروت، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

حيدر محمد علي السلاني، الفقه السياسي لمرجعية النجف المعاصرة، مجلة العميد، كلية الفقه، جامعة الكوفة، الاصدار ١٨، ٢٠١٣.

الخطبة الثانية لصلاة الجمعة بإمامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في ١٠/ ربيع الأول/ ١٤٤١هـ، الموافق ٨ / ١١ / ٢٠١٩.

دومنينك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد بحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط١، بيروت، ٢٠٠٨م.

السيد السيستاني، الخطبة الثانية لصلاة الجمعة بإمامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في ١٠/ ربيع الأول/ ١٤٤١هـ، الموافق ٨ / ١١ / ٢٠١٩.

السيد السيستاني، خطبته في الصحن الحسيني الشريف، ألقاها وكيله السيد أحمد الصافي، العتبة الحسينية، ٢٠١٩م.

شاهر الحسن، علم الدلالة السيمانتيكية والبراجماتية، دار الفكر ط١، ٢٠٠١م.

شوقي ضيف، تجديد النحو، القاهرة، دار المعارف، د. ت: ص: ٢٦٢-٢٦٣.

عامر زغير الكعبي، الاستفتاء الدستوري ورهان الديمقراطية في العراق، مقالة، ٢٠١٩، رئيس القسم القانوني في مركز الفرات.

القمّيّ، الشيخ عبّاس (١٢٩٤ ١٣٥٩ هـ)، سفينة البحار ومدينة الحِكَم

والآثار، تحقيق: مجمع البحوث الإسلاميّة التابع للآستانة الرضويّة المقدّسة، نشر: مؤسّسة الطبع والنشر في الآستانة الرضويّة المقدّسة، الطبعة: الأولى سنة ١٤١٦ هـ.

كاترين اوركيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، تر، محمد نظيف، افريقيا الشرق، الدار البيضاء،، المغرب، دط، ٢٠٠٧.

محمد ماجد الدخيل، دراسة تراكيب الشرط في اللغة العربية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، كلية أربد الجامعية، المملكة الأردنية الهاشمية، عدد٢، ٢٠١٥م.

مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسَة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللسَاني العربي) لمسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت / لبنان، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٥م

مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، الناشر: دار طيبة، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦م.

الهوامش

١- مسند أحمد، رقم الحديث ٩٠٦.

٢- مسند أحمد، رقم الحديث ٩٠٦.

٣- ينظر: المراجعات للإمام شرف الدين العاملي ص ١٦٣ - ١٦٤.

٤- يوجد الحديث في كل من: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩ / ١٦٩ طبعة مصر بتحقيق أبو الفضل، حلية الأولياء: ١ / ٦٣، المناقب للخوارزمي الحنفي: ٤٢، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ

دمشق لابن عساكر الشافعي: ٢ / ٤٨٧ حديث ١٠٠٥، مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: ١ / ٦٠.

٥- مسند أحمد، رقم الحديث ١٢٤٢.

٦- راجع تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٧.

٧- مسند الإمام احمد:١ / ٤٦.

٨- مسند الترمذي، كتاب المناقب رقم الحديث ٣٦٤٦.

٩- ينظر المراجعات للإمام شرف الدين العاملي ص ٧٢.

١٠- شوقي ضيف، تجديد النحو، القاهرة، دار المعارف، د. ت: ص: ٢٦٢-٢٦٣.

١١- محمد ماجد الدخيل، دراسة تراكيب الشرط في اللغة العربية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، كلية أربد الجامعية، المملكة الاردنية الهاشمية، عدد٢، ٢٠١٥م: ص: ٢/ ٥٩.

غديرية ابن العَودي النيلي (ت٥٥٨هـ) مقاربة في معمارية القصيدة

أ. د. عبد الإله عبد الوهاب هادي

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد الأمين صلَّى الله عليه وآله والهداة الميامين من آله الطيبين الطاهرين عليهم السلام، وبعد فالحلة الفيحاء من المدن التي تمتعت بمكانة عالية في كثير من العلوم، وقد زخرت بالعديد من العلماء في مختلف العلوم والفنون منذ تمصيرها وحتى وقتنا الحاضر، وقد وصف العلماء والأُدباء أهميتها وتطورها الفكري ممَّا جعلها موطناً للعلماء والأُدباء والشعراء.

وقد مثَّل القرن السادس الهجري وما بعده عصر الازدهار في الحلة بسبب وجود العلماء والأُدباء الذين حرصوا على العناية بتدريس العلم والأدب، وتخرج أفواج من الطلبة على أيديهم، ومن هنا عرفت الحلة بمجالسها العلمية والأدبية، فقد خرَّجتْ هذه المدينة عدداً من العلماء مثل: العلامة الحلي والمحقق الحلي وابن نما وابن طاووس، وابن ادريس وغيرهم كثير، وعددا من الأدباء والشعراء مثل صفي الدين الحلي وشميم الحلي ومحمد بن جيا والسيد حيدر الحلي والسيد جعفر الحلي وحمادي الكواز وصالح الكواز والشيخ علي عوض وغيرهم كثير، وكان شاعرنا ابن العودي النيلي من شعراء الحلة في القرن السادس الهجري الذي تميز

بصفـاء قريحتـه، وجـودة سـبكه، وحسـن ديباجتـه.

لقـد انتظـم البحـث في مقدمـة ومبحثـين تقفـوه خاتمـة، الأول منـه كان الحديـث فيـه عـن ترجمـة ابـن العـودي النيـلي وفيـه فقـرات، والمبحـث الثـاني: معماريـة القصيـدة وفيـه فقـرات، ثـمَّ الخاتمـة تضمنـت أهـم نتائـج البحـث وأخـيراً ثبـت المصـادر والمراجـع.

وختامـاً: هـذا مـا وفقنـا الله إليـه في دراسـة غديريـة ابـن العـودي النيـلي، فـإنْ أصبنـا فهـو منَّـة مـن منـن الله علينـا، وإنْ أخطأنـا فحسـبنا أنَّنـا قدمنـا مـا بوسـعنا في سـبيل إتمامـه، وآخـر دعوانـا أن الحمـد لله ربِّ العالمـين والعاقبـة للمتقـين.

المبحث الأول: ترجمته:

١- نسبه وولادته وصفته:

لم تقـف المصـادر القديمـة طويـلاً في ترجمـة ابـن العـودي النيـلي، إذ لا نجد له ترجمـة وافيـة إلَّا النـزر اليسـير مـن أطـوار حياتـه المختلفـة، وربـما يكـون السـبب في ذلـك كونـه مـن الشـعراء الموالـين لآل البيـت عليهـم السـلام ممَّـا جعـل أصحـاب التراجـم لا يطنبـون في ترجمتـه وأشـعاره عـلى مـا سـنرى لاحقـاً.

نسبه:

هـو أبـو المعـالي سـالم بـن عـليّ بـن سـلمان بـن عـليّ بـن العـودي التغلبـي

النيلي[١] المعروف بابن العودي النيلي[٢].

ولادته وصفته:

حدد أصحاب التراجم سنة ولادته بـ(٤٧٨هـ)[٣] وكان (أبو المعالي من الشعراء الذين اشتهر شعرهم وقلّت أخبار سيرهم، فهو كوكب من كواكب الأدب، ومشاهد نوره مجهولة حقيقته أو حقائق أوصافه)[٤].

وهذه إشارة واضحة من الدكتور مصطفى جواد عن عدم الاهتمام بشعره وأخباره على الرغم من رقيّ شعره وحسن ديباجته.

نشأته:

لقد كانت نشأة ابن العودي في الوقت الذي جمع فيه العماد الأصبهاني أخبار شعرائه وكتابة خريدته، ولذلك قال في وصفه: (شاب شبت له نار الذكاء وشاب لنظمه صرف الصهباء بصافي الماء، ودرّ من فيه شؤبوب الفصاحة، يسقي من ينشده شعره راح الراحة)[٥].

وقول العماد الأصبهاني يفصح عن شخصية تتسم بقدرة عقلية قوية،

(١) ينظر: خريدة القصر وجريدة العصر: ١/ ٤١٢. الوافي بالوفيات: ١٥/ ٥٥. الغدير في الكتاب والسنة: ٤/ ٣٧٩. أعيان الشيعة: ٢/ ٢٧٧. أدب الطف: ٣/ ١٢٦. أبو المعالي ابن العودي النيلي (مقالة): ٥٣٢. أُصول التاريخ والأدب نقلاً عن أبي المعالي: ٥٣٢.

(٢) النيل: بليدة في سواد الكوفة، قرب حلة بني مزيد يخترقها خليج كبير ما يتخلج من الفرات الكبير. ينظر: معجم البلدان: ٥/ ٣٣٤.

(٣) ينظر: الوافي بالوفيات: ١٥/ ٥٥. الغدير: ٤/ ٣٧٢. أبو المعالي ابن العودي (مقالة): ٥٣٢.

(٤) أبو المعالي ابن العودي النيلي (مقالة): ٥٣٢.

(٥) خريدة القصر وجريدة العصر: ١/ ٤١٢.

وموهبـة رائقـة في نظـم الشـعر تمتـاز بالفصاحـة وحسـن السـبك، وجـودة القريحـة.

ويعلـق الشـيخ الأمينـي على قـول العـماد الأصبهـاني في وصـف ابـن العودي النيـلي بقولـه: (وإشـارة العـماد إلى أنّـه كان شـاباً مـن فلتات الشـباب)[1].

٢- أخباره:

عـلى الرغـم مـن نـدرة الأخبـار عـن حيـاة ابـن العـودي النيـلي، لكنَّنـا نظفـر بخـبر يـضيء جانبـاً مـن حياتـه بلسـان العـماد الأصبهـاني في خريدتـه، وهـذا نصّـه (وردت واسـطاً[2] سـنة خمسـين [يعنـي خمسـين وخمسـمائة] فذكـر لي أنَّـه -يعنـي ابـن العـودي النيـلي- كان بهـا للاسـترفاد، وقـام في بعـض الأيـام ينشـد خـادم الخليفـة (فاتنـاً)[3] فسـبقه غـيره إلى الإنشـاد، فقعـد ولم يعـد إليـه وسـلَّم عـلى رفـده وعليـه وصمّـم عـزم الرحيـل إلى وطنـه بالنيـل، ولقيتـه بعـد ذلـك في سـنة أربـع وخمسـين بالهماميـة[4])[5].

(١) الغدير: ٤/ ٣٧٩.

(٢) واسط: مدينة الحجاج بين بغداد والبصرة، سمّيت بذلك لأنّ بينها وبين الكوفة فرسخاً، وبينها وبين البصرة مثل ذلك. وبينها وبين المدائن مثل ذلك، وفيها أقوال أُخرى. ينظر معجم ما استعجم: ٤/ ١٣٦٣.

(٣) فاتناً: هو شمس الدين أبو الفضائل من أكابر مماليك بني العباس كان ناظر واسط يومئذ.

(٤) الهمامية: بلدة من نواحي واسط بينها وبين خوزستان لها نهر يأخذ من دجلة، منسوبة إلى همام الدولة منصور بين دبيس بن عفيف الأسدي، وليس هذا بصاحب الحلة المزيدية هؤلاء أُمراء تلك النواحي في أيام بني مزيد أيضاً. ينظر: معجم البلدان: ٥/ ٤١٠.

(٥) خريدة القصر وجريدة العصر: ١/ ٤١٢. وينظر: الغدير: ٤/ ٣٧٩. أبو المعالي ابن العودي

وتلوح لنا في هذا الخبر سمة مهمة من سماته الشخصية، إذ (كان مع تحريره إنشاده لاسترفاده أبيَّ النفس معتمداً بشعره والشاعر الأبي لا يورثه إلَّا الحرمان وإساءة الزمان)(١).

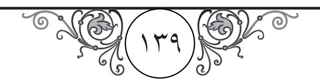
ولا نجد في المصادر القديمة غير هذه الأخبار القليلة عنه، وعندما نطالع شعره نستشف منه إقامته مدّة في واسط، وكانت له فيها أشعار رائقة، وإنَّ له أبياتاً متفرقة من قصائد في الغزل تدلّ دلالة واضحة على أنَّ صاحبها قد عاش تجربة حبٍّ مفعمة بالأحاسيس الصادقة من دون التصريح بحبيبة محددة، أو قد تكون مقدمات عقدية مذهبية وهو الرأي الأصح ممهدة لقصائد في حبِّ آل البيت عليهم السلام قصائد علوية أو قصائد في ذكر بقية آل البيت عليهم السلام وذكر مناقبهم.

٣- تشيعه وموالاته لآل البيت عليهم السلام:

يبرز بشكل واضح من خلال أخبار ابن العودي النيلي وشعره المبثوث في المصادر القديمة تشيعه وموالاته لآل البيت عليهم السلام، يقول الشيخ الأميني: (وقد نظّم ابن العودي في الشعر المذهبي الذي أكثر منه السيد الحميري وابن حماد والعوني والناشئ الأصغر وابن علوية الأصفهاني والوراق القمّي، ولمّا دخل ابن شهرآشوب العراق في أواسط القرن السادس ألفى شعر ابن العودي في المذهب تستهديه الآذان أفواه الشداة المنشدين فضمّن كتابه مناقب آل أبي طالب شيئاً منه، وكثيراً من الناظمين

النيلي (مقالة): ٥٣٣.

(١) الغدير: ٣٧٩ - ٣٨٠.



في المذهب، وبعد ترك ابن شهرآشوب العراق إلى الشام حدثت ببغداد فتن مذهبية، ووثب الحنابلة كعادتهم بأعدائهم في المذهب فأحرقوا كتبهم وفيها دواوين أشعارهم، واضطهدوهم اضطهاداً فضيعاً فضاع كلُّ الأدب غثه وسمينه، وصار طعمة للنار)[1].

٤- وفاته:

أغفلت المصادر القديمة التي ترجمت لابن العودي النيلي ذكر سنة وفاته، لكنَّها حددت سنة ولادته بـ(٤٧٨هـ)[2]، وقد رجح الدكتور مصطفى جواد أنْ تكون سنة وفاته بناءً على الأخبار الواردة عنه بقول: (ورواية عماد الدين الأصفهاني له سنة (٥٥٤هـ) بالهامية قرب واسط لا تتركان للظن أنْ يغالي في بقائه طويلاً بعد سنة (٥٥٤هـ)، بل لا أراه قد جاوز سنة (٥٥٨هـ) فإنَّها تجعل عمره ثمانين سنة، وذلك من نوادر الأعمار في هذه الديار)[3].

وتابع الشيخ الأميني الدكتور مصطفى جواد في تحديد سنة وفاته بـ(٥٥٨هـ) عندما ترجم له في كتابه الغدير[4].

المبحث الثاني: معمارية الشعر: مدخل:

---

(١) الغدير: ٤/ ٣٨١.

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات: ١٥/ ٥٥. الغدير: ٤/ ٣٧٢. أبو المعالي ابن العودي النيلي (مقالة):٥٣٢.

(٣) أبو المعالي ابن العودي النيلي (مقالة): ٥٣٣.

(٤) ينظر: الغدير: ٤/ ٣٧٢.

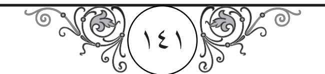
كثيرة هي البحوث والدراسات التي تناولت البناء الفني للقصيدة العربية القديمة، ولا نريد أن نكرر ما قيل من مقولات وآراء، وما حصل من خلاف، وما استقرّت عليه آراء الباحثين بهذا الموضوع، إذ ليس في تكرارها كبير فائدة، فكلُّ ما نقوله يكون معاراً مكرراً، لكنَّنا سنحاول أنْ نعرض لهذه الآراء بالقدر اليسير.

فأمّا مقولات النقاد القدامى في البناء الفني للقصيدة العربية، فيبدو أنّ ابن قتيبة قد سبقهم إلى التصريح بتفاصيلها، ورصد مكونات البنية الفنية للقصيدة، وتسمية مفرداتها الرئيسة حين نقل عن أهل العلم قائلاً: (إنّ مقصد القصيدة، إنّما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى، وشكا، وخاطب الربع... وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح فبعثه على المكافأة وهزّه للسماح، وفضله على الأشباه، وصغّر في قدرها الجزيل)[١]، ثمَّ يضيف قائلاً: (فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب، وعدَل بين هذه الأقسام، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر، ولم يطل، ولم يقطع وبالنفوس ضماء إلى المزيد)[٢].

إنّ هذه المقولة تعدُّ من بواكير الإحساس بتلاحم الموضوعات داخل القصيدة وإن انشغلت كثيراً في التعليل الموضوعي، إلَّا أنّنا لا نعدم بعض الجوانب النفسية في نمو ذلك الحدث الموضوعي، وهي في كلِّ الأحوال،

(١) الشعر والشعراء: ١/ ٧٤ - ٧٥.

(٢) م. ن: ١/ ٧٥ - ٧٦.





تبقى (ملاحظة بنائية لأنَّها تهتم ببناء القصيدة)[1].

ولسنا هنا نريد أنْ نقف طويلاً عند رأي ابن قتيبة أو مناقشته، فقد أفاضت الكتب والدراسات في مناقشته وتحليله[2]، ومدى استيعاب أحكامه لنماذج القصيدة الموروثة كلّها، وذلك أنّه ينظر إلى قصيدة المديح المتأخرة أكثر من نظرته إلى القصيدة الموروثة، وهي في كلِّ الأحوال لم تقتصر على المديح فقط[3] حتى أنّ بعض قصائد المديح لم تكن ملتزمة هذه الأحكام[4].

ولعلّ نقادنا القدامى الذين جاؤوا قبل ابن قتيبة أو بعده قد أدركوا تفاصيل البناء الفني للقصيدة، لكنَّهم لم يقدموا لنا تفسيراً ناضجاً لمفهوم هذا البناء من خلال القصيدة نفسها[5]، فأحكامهم جزئية تهتم بالتفاصيل وتهمل الكل[6]، على أنّنا لا ننكرّ وضوح فكرة البناء الفني للقصيدة عند

---

(١) قضايا الفن في قصيدة المدح العباسية: ٤٤.

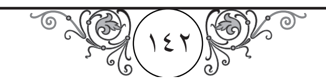
(٢) ينظر مثلًا: مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية: ٢٣. الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: ١٣٣. أسس النقد الأدبي عند العرب: ٣٢٣. المطلع التقليدي في القصيدة العربية: ٨. الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية: ٢٠٦.

(٣) ينظر: دراسات نقدية في الأدب العربي: ٥٠.

(٤) ينظر: وحدة القصيدة في الشعر العربي: ١٤٠ – ١٦٢.

(٥) ينظر مثلًا: البيان والتبيين: ١/ ٦٧. عيار الشعر: ٧. حلية المحاضرة: ١/ ٢١٥. سر الفصاحة: ٢٥٩-٢٦٠. المثل السائر: ٣/ ١٢١. منهاج البلغاء: ٢٨٧ – ٢٩١.

(٦) إنّ كتب التراث النقدي والبلاغي تكثر من الحديث عن (الابتداء والتخلص والمقطع) ينظر مثلا: البيان والتبيين: ١/ ١١٢. عيار الشعر: ١١١-١٢٢. كتاب الصناعتين: ٤٤٣، ٤٣١، ٤٣٨. العمدة: ١/ ٢٣٩-٢٢٢.



ابـن قتيبـة، لكـنَّ رؤيتـه الموضوعيـة في تحليـل مكوناتـه صرفتـه عـن توضيـح العلاقـة بـين محـاور البنـاء الثلاثـة.

أمّـا مقـولات النقـاد المحدثـين، فقـد اقـترن مفهـوم البنـاء الفنـي في البدايات الأُولى للـدرس النقـدي العـربي الحديـث بـ(وحـدة القصيـدة)، ثـمَّ حظـي بعـد ذلـك موضـوع بنـاء القصيـدة مـن الجهـد النقـدي الحديـث بدراسـات خلصت إلى تقويـم العمليـة الإبداعيـة في الشـعر(١)، وبـين الـركام الهائـل من هـذه الآراء والمقـولات، يقـرر أحـد النقـاد المعاصريـن في مصطلـح بنـاء القصيـدة، بأنَّـه (بنـاء علائقـي يقـوم عـلى العلاقـات بـين العنـاصر كلٌّ منهـا حاكـم للآخـر ومحكـوم بـه)(٢) أي يتعلـق الأمـر بدراسـة العلاقـات بـين العنـاصر المكونـة للقصيـدة، فضـلاً عـن دراسـة الأقسـام المكونـة لهـا، وبصـورة أدق (دراسـة بنـاء العبـارات والصـور والموسـيقى والأفـكار والتركيبـات اللغويـة والعواطف المتآلفـة والمتضـادة فيهـا)(٣).

ونخلـص مـن كلِّ ذلـك إلى أنَّ ملامـح التشـكيل الهيـكلي للقصيـدة العربيـة المكتملـة يتركـز في (المطلـع، والمقدمـة، والرحلـة، والتخلـص، والغـرض، والخاتمـة)، وهـذا الهيـكل ينطبـق عـلى بعـض الشـعر الجاهـلي، ومـن ثـمَّ يصدق

(١) ينظر مثلًا: الأدب وفنونه: ٥٩. النقد المنهجي عند العرب: ٣٢. النقد الأدبي الحديث: ٢١٠. في النقد الأدبي: ١٥٤. حديث الأربعاء: ١/ ٣١. الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه: ٢/ ٤٤٥. وحدة الموضوع: ٧- ٨. شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين: ٢٤٣.

(٢) الصورة والبناء الشعري: ١٧٩.

(٣) بناء القصيدة الفني: ١٧.



على كثير من قصائد العصر الإسلامي والعباسي على تفاوت فيما بينهم بمقدار التبعية والالتزام. وغديرية ابن العودي النيلي قصيدة مكتملة، وهي القصيدة التي تحوي (المطلع، والمقدمة، والتخلص، والرحلة، والغرض، والخاتمة).

أ- المطلع(١)**:**

أوّل ما يصادفنا من الأداء الشعري، فهو بدايته، وهو بدأ التأسيس، أنّه أشبه بالتربة التي تحتضن الجذور، تصلح بصلاحها، فتخلق أرضية لقيام النّص، وإلّا فلا؛ لذلك كان الاهتمام به من المسائل التي خصّها النقاد القدامى بالعناية والاهتمام، فألزموا الكتاب أنْ يحسنوا ابتداءاتهم، إذ إنّهن دلائل البيان(٢)، وكانوا يوجبون على من يتصدى لمقصد من المقاصد أنْ يكون مفتتح كلامه ملائماً لذلك المقصد دالاً عليه شعراً كان أَم نثراً(٣).

أمَّا القصيدة، فكان لهم بمطلعها عناية كبيرة، لأنّ حسن الافتتاح فيها داعية الانشراح ومطية النجاح، حتى أنَّ ابن رشيق كان يعدّ الشعر قفلاً (أوله مفتاحه)(٤)، وهو المطلع الذي يفتح به باب القصيدة، فينبغي

---

(١) هو البيت الأول من القصيدة، ينظر: العمدة: ١/ ٢١٥-٢١٦. مطلع القصيدة ودلالته النفسية: ١٥. بناء القصيدة في النقد العربي: ٢٠٣-٢١١. ويحدده أرسطو بقوله: (هو بدء الكلام ويناظره في الشعر المطلع) فن الخطابة: ٣٤.

(٢) كتاب الصناعتين: ٤٣١.

(٣) ينظر: المثل السائر: ٣/ ٩٦. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٢/ ٢٦٦.

(٤) العمدة: ١/ ٢١٨.

(للشاعر أن يجود ابتداء شعره، فإنَّ أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة)[(١)]، فإنْ كان حسناً بديعاً جذب سامعيه، واستمالهم للإصغاء، وبسبب ذلك اهتم النقاد القدامى بحسن المطلع كثيراً، أو ما سموه بـ(حسن الابتداء)[(٢)] أو (براعة الاستهلال)[(٣)]، وانطلقوا في دراستهم للمطلع وتوجيه الشعراء فيه إلى اعتبارات وشروط عدة[(٤)]، صنفوا من خلالها المطالع إلى جيد ورديء، وتوسعوا في دراساتهم تلك بالحديث عن المطالع الجيدة حتى أنَّ حازم القرطاجني حاول تصنيفها إلى ثلاث رتب[(٥)].

وأمَّا المطالع الرديئة، فقد تنبه إلى تفسيرها من القدماء ابن رشيق الذي أرجعها إلى حالات ترجع إلى الشاعر نفسه، يقول ابن رشيق: (وإنَّما يؤتى الشاعر في هذه الأشياء العيوب إمَّا من غفلة في الطبع وغلظ، أو من استغراق الصنعة، وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب)[(٦)].

أمّا المطلع عند المحدثين، فهو المفتاح الذي تعتمد عليه القصيدة على حدِّ تعبيرهم (فإذا وقع هذا المفتاح في يد الشاعر هجم على موضوعه)

---

(١) م. ن: ١/ ٢١٨.

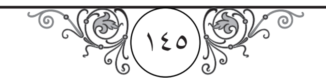
(٢) البديع: ٧٥.

(٣) خزانة الأدب وغاية الأدب: (٩٢).

(٤) ينظر: تفصيل القول في هذه الاعتبارات والشروط، كتاب: بناء القصيدة: ٢٠٤-٢١١. وينظر: البديع في نقد الشعر: ٢٨٥. أنوار الربيع في أنواع البديع: ١/ ٣٤-٣٥.

(٥) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣١٠-٣١١.

(٦) العمدة: ١/ ٢٢٢-٢٢٣.



[1]، والمفتاح الذي يعنيه هنا (البداية المولدة والمهيمنة، فهي ليست قوة إشعاع أو تثوير للنص، وإنّما هي الحاضنة لما سيحدث في النّص)[2].

ومطلع غديرية ابن العودي النيلي قد ركزت تجربة الشاعر، وعمّقت إحساسه بها، فهو يفتتحها بقوله:

متى يشتفي من لاعج القلب مغرم وقد لجّ في الهجران من ليس يرحم[3]

فهو يخاطب نفسه ليقف على أعتاب التساؤل الزمني الضائع، وهو يتنازع في دخيلته بين نوازع المعرفة والجهل بإمكانية اللقاء بالمحبوبة، لكنَّه يبدد هذا التساؤل بتأكيده على هجرانها من دون رحمة.

ب- المقدمة:

مقدمة القصيدة ظاهرة بارزة في شعرنا القديم، فقد تنوعت هذه المقدمات في العصر الجاهلي[4] وظل الظرف البيئي والاجتماعي يمدّها بالتفاصيل اليومية التي يلتقي عليها الشاعر والمتلقي، ممَّا جعلها في الغالب منفذاً تعبيرياً لحديث النفس في تأملها للماضي، وأحلام الشاعر الضائعة التي تحولت حرماناً يرمض القلب، ويمتلك الأحاسيس[5] وقد أولى نقادنا القدامى المقدمة الطللية والغزلية في الشعر الجاهلي اهتماماً كبيراً،

(١) أنا والشعر: ٦٤.

(٢) الاستهلال فن البدايات في النصر الأدبي: ١٦-١٧.

(٣) ق١، ب١.

(٤) ينظر: مقدمة القصيدة في الشعر الجاهلي: ٢٣٧.

(٥) ينظر: دراسات نقدية: ١٠-١١. شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين: ٢٤٣.

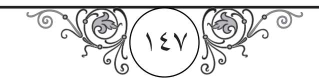
وليس من تفسير لهذا الأمر سوى قولين، أولهما: كثرة المقدمات الطللية والغزلية كثرةً واضحة استحقت الاهتمام عندهم[١]. وثانيهما: ارتباطهما بطبيعة الحياة الصحراوية، ومن ثمّ استقرار هذا النمط العفوي منذ جيل الرواد استقراراً أتاح لمتأخري الشعراء استثمار قدرة هذه المقدمات للتعبير عن معاناتهم، ومن ثمَّ إلى الإيقاعات النفسية المطلوبة لتهيئة المتلقي لقبول التجربة الشعرية[٢]، على أنَّ التعامل مع هذه المقدمات أو غيرها تبقى متناظرة مع المستوى الإبداعي لتجربة الشاعر في تهيئة المستلزمات الفنية الملائمة لنمو الحدث الموضوعي، ومناخه النفسي المطلوب، ومقدمة القصيدة في غديريته هي مقدمة غزلية.

المقدمة الغزلية:

من المقدمات التي عرفها الشعراء العرب منذ عصر ما قبل الإسلام، وكثرت عندهم كثرةً واضحة شأنها شأن المقدمة الطللية، وتتألف هذه المقدمة (من الحديث عن المحبوبة، وهجرها، أو بعدها، وانفصالها، وما يخلفه الهجر والمطل والفراق من تعلّق شديد، وشوق مستبد، ودموع غزار يسكبها الشاعر حسرة وألماً ولهفة، وسرعان ما تفد على خاطره أيامه السعيدة، وذكرياته الحلوة الجميلة؛ حين كان يلتقي بمحبوبته، ويبوح كلٌّ منهما لصاحبه بحبّه، ويبادله إعجاباً بإعجاب، وشوقاً بشوق، حتى إذا ما انتهى من ذلك مضى يصف محاسنها، ومفاتن جسدها، وهو وصف

(١) ينظر: بناء القصيدة في النقد العربي: ٢١٢.

(٢) ينظر: نصوص من الشعر العربي قبل الإسلام: ١٥٨.



التفتوا فيه إلى المحاسن الجسدية أكثر من التفاتهم للمحاسن المعنوية)[١]، وفي هذا النوع من المقدمات (يهيئ الشاعر لنفسه مناخاً نفسياً مناسباً، يشحذ عن طريقه قريحته الشعرية، ويستثير الانفعالات المطلوبة لنمو التجربة الشعرية)[٢]، وفي غديرية ابن العودي النيلي، يقدّم بمقدمة غزلية يكثر فيها من الشكوى والبكاء، فيقول:

متى يشتفي من لاعج القلب مغرم وقد لجّ في الهجران من ليس يرحُم
إذا همَّ أن يسلوا أبى عن سلوِّه فؤادٌ بنيران الأسى يتضرمُ
ويثنيه عن سلوانه لفضيلة عهود التصابي والهوى المتقدمُ
رمته بلحظ لا يكاد سليمه من الخبل والوجد المبرح يسلمُ
إذا ما تلظّت في الحشا منه لوعة طفتها دموع من أماقيه تسجمُ
مقيم على أسر الهوى وفؤاده تغور به أيدي الهموم وتتهمُ
يجن الهوى من عاذليه تجلداً فيبدي جواه ما يجن ويكتمُ
يعلل نفساً بالأماني سقيمة وحسبك من داء يصحّ ويسقمُ[٣]

ولكنّه بعد ذلك يسرد مغامرة جسدية، فيقول:

فكم من غصون قد ضممت ثديّها إليَّ وأفواه بها كنت ألثمُ
أجيل ذراعي لاهياً فوق منكب وخصر غدا من ثقله يتظلَّمُ
وأمتاح راحاً من شنيب كأنَّه من الدرِّ والياقوت في السلك ينظمُ[٤]

---

(١) مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي: ١٣٠.

(٢) ينظر: الغديريات في الشعر العربي: ٤٤.

(٣) ق١، ب١، ب٨.

(٤) ينظر: الغديريات في الشعر العربي: ٤٨-٤٩.

فالقضية في هذه الأبيات تدخل في إطار المعيار الأخلاقي وعدم تطبيقه على وفق الرؤية الفنية، هذا من جانب، ومن جانب آخر، أنَّ الشاعر هنا يلتزم التزاماً فنياً من خلال الالتزام بقيم عصره الفنية عندما يخاطب المتلقي، فالمسألة هنا برمتها فنية وليست عقائدية[١]، بعدها يذكر أثر المشيب عليه وجفاء النساء عنه[٢].

٣- الرحلة:

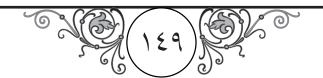
إنَّ الاستغراق الانفعالي الذي واكب الشاعر في رحلة المقدمة سواءً في الطلل أو التغزل بالمرأة، وما رافقه من مشاعر ملتهبة وذكريات عزيزة، وألهبها النزوع الحاد الذي يشعر به الشاعر وهو يستعيد الماضي، ولأنَّ هذا الماضي لا يُبعث من جديد، كان على الشاعر نسيانه ليواجه الواقع، وتحديات الحياة الصعبة، بحيث تنفتح القصيدة لاستقبال لوحة الرحلة يخوضها الشاعر على ظهر ناقته، ويواجه خلالها تحدي الصحراء وموجوداتها الغامضة وهو يسعى أن يحتشد لها من سمات القوة والصبر والسرعة لتكون أداته في ميدان الصراع، ووسيلة للتسلية التي يفرج بها عن همومه، فتذهب عن نفسه بواعث الألم والضيق، ولم ترد الرحلة في غديريته لأنَّه ليس به حاجة نفسية وفنية للخوض في غمارها لسيطرة الغرض عليه فهو يوجه خطابه لقضية مهمة، ألا وهي (الغدير).

٣- التخلص:

---

(١) ق١، ب١١-١٣.

(٢) ينظر: ق١، ب١٤-١٧.



لَمّا كانت القصيدة العربية متعددة الأغراض في الغالب وكان رأي أغلبية النقاد القدامى أنْ يحرص الشعراء في الخروج من جزء إلى آخر خروجاً سلسلاً يشعر بالتحام الأجزاء وتماسكها لا بوجود عوائق واضحة بينها، ومن هنا جاءت العناية بالتخلص في أجواء القصيدة، ولم يفرق النقاد القدامى في التخلص بين شعر ونثر، ففي كليهما يرون أنْ يصل الشاعر أو الناثر كلامه بصلة لطيفة بلا انفصال للمعنى الثاني عمّا قبله، بل يكون متصلاً به وممتزجاً معه، وأنْ يكون التقاء الأغراض المختلفة التقاءً محكماً من دون اختلال في أجزاء النظم؛ لأنَّ النفوس والمسامع إذا كانت متدرجة بين فنين مختلفين دون جامع بينهما، وجدت نفوراً ونبت عنه[1]، والتخلص عند النقاد يدلُّ على حذق الشاعر، وقوة تصرفه وقدرته، وطول باعه[2]، وهذا ما سمّوه بـ(حسن التخلص)، أو كما يسميه أحد المحدثين بـ(الترفق في الانتقال)[3]، الذي تتضح فيه براعة الشاعر ضمن المواقف الثلاثة التي يسعى بها إلى استعطاف أسماع الحاضرين واستمالتهم للإصغاء. يقول القاضي الجرجاني: (والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدها الخاتمة؛ فإنّها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء)[4]، ويكاد يتفق النقاد القدامى على

(١) ينظر: عيار الشعر: ٧. منهاج البلغاء: ٣١٩. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٢/ ٣٣١.

(٢) ينظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور: ١٨١.

(٣) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ٩٩.

(٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤٨. وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ٥٩٦.

أنَّ المحدثـين أحسـن تخلصـاً مـن المتقدمـين[١]، وسـواء أكان التخلـص عـلى سـبيل المتقدمـين أو المحدثـين فـإنّ لـه قيمتـه في وحـدة العمـل الفنـي، فألفـاظ التخلـص عنـد المتقدمـين تنـمّ عـن إحساسـهم بتلـك الوحـدة[٢]، وقـد أفـاد الشـاعر الإسـلامي مـن هـذا المـوروث حتـى أصبـح التخلـص عنـده تحـولاً وثوبـاً نحـو الفكـرة أو الغـرض أو القضيـة[٣].

وغديريـة ابـن العـودي النيـلي مـن أجـلِّ المصاديـق عـلى ذلـك التحـول في التخلـص؛ إذ دلّ عـلى وسـيلة فنيـة مميـزة تخلـص بهـا إلى فكـرة القصيـدة وقضيتهـا المحوريـة، واسـتطاع أن يحافـظ عـلى وحـدة القصيـدة الفنيـة، فهـو يتخلـص مـن مقدمتـه الغزليـة المفعمـة بالشـكوى والبـكاء ومـا فعلـه المشـيب مـن بعـد العـذار وعزوفهـن عنـه، حتـى أنَّـه أذرف الدمـوع عـلى مـا فـات منـه ندامـة بـما أشـغله في دنيـاه عـن الاصطفـاء الروحـي، وعليـه لا بُـدَّ لـه مـن تركهـا والتوجـه إلى آل البيـت عليهـم السـلام فيقـول:

بكيت على ما فات مني ندامة — كأنّي خنس في البكا أو متممُ
وأصفيت مدحي للنبيِّ وصنوه — وللنفر البيض الذين هم هُمُ[٤]

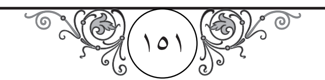
ففـي بيـت تخلصـه إلى الغـرض يلجـأ إلى الحكمـة التـي تكـون خاتمـة المطـاف لمغامراتـه مـع النسـاء، فينـدم عـلى تلـك المغامـرات والأيـام الضائعـة ليعلـن

(١) ينظر: عيار الشعر: ١١٣. كتاب الصناعتين: ٤٥٣-٤٦٣. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ١٧٩/٣.

(٢) ينظر: وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية: ١٠٨ وما بعدها.

(٣) ينظر: أثر الإسلام في بناء القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي: ٢٠.

(٤) ق١، ب١٧-١٨.



أنَّ الحكمة تكون في الالتفات إلى غرض القصيدة، والقضية التي قيلت فيها، فضلاً عن ذلك فإنَّ تخلصه يشكل صدمة عند المتلقي، وقد وجد في الحكمة مجالاً لتحقيق تلك الصدمة التي تحثهم على متابعة القصيدة العقيدية، وهو ما يريده ابن العودي النيلي[1].

٤- الغرض:

تعدُّ لوحة المرحلة المهمة من مراحل القصيدة التي تستوعب آثار الحدث الباعث على القول الذي يشكّل المحور الموضوعي للقصيدة الذي يمكن أنْ تتفرع عنه من محاور أو موضوعات أُخرى يشدّها إليه من خلال الوحدة الموضوعية؛ لأنّ الموضوع بالنسبة إلى الشاعر غير منفصل عن هيكل قصيدته الخارجي، ولا عن بنائها الداخلي، وأنَّ ما يظهر من تعدد للموضوعات تتجلى فيه سمة القصدية، والشاعر يسير فيه على وفق نظام معين، ونسق موروث يتفاوت فيه الشعراء بمقدار التبعية والالتزام، وهذا النظام لم يكن عشوائياً، بل يتبع في كلِّ موضوع أو جزء من أجزاء القصيدة التي يحكمها نظاماً خاصاً، وعرفاً متبعاً[2].

وحظي غرض القصيدة، وما تحمله من محاور موضوعية، وأفكار، ومضامين بعناية النقاد القدامى والمحدثين، ويتجلى ذلك في دراستهم المعنى وهم يتناولون قضية اللفظ والمعنى وارتباط بعضها ببعضها الآخر[3].

---

(١) ينظر: الغديريات في الشعر العربي: ٧٣.

(٢) ينظر: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: ١٢٥-١٢٦.

(٣) ينظر: الحيوان: ٣/ ١٣١. الشعر والشعراء: ١/ ٦٧. أسرار البلاغة: ٢١ وما بعدها. بناء

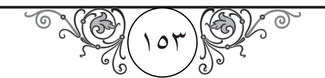
لقد جسّد موضوع (الغدير) غرض القصيدة الأُولى، وما نراه من تنوع للموضوعات داخلها، إنَّما يهدف إلى خدمة الغرض الرئيس، و(الغدير) تشير بوضوح إلى قضية عقائدية وتؤشر هماً فكرياً شغل المسلمين، وقد قسمّ أحد الباحثين الغديريات على محاور رئيسة متواشجة فيما بينها من حيث كونها تشكل بمجموعها غرض القصيدة، فهي أجزاء ذلك الغرض، وتقسيمه على هذه المحاور لا يعني تجزئته، وإنَّما هو ينشدّ لفت النظر إلى أنَّ الشعراء استثمروا الشعر في بيان أجزاء قضية بيعة الغدير، والإحاطة بها وما تلاها من أُمور تتصل بها في تاريخ المسلمين[1] وهذه المحاور نجدها في غديرية ابن العودي النيلي وكما يأتي:

أ. محور الإمام عليه السلام:

وفيه يكون الحديث عن منزلته عليه السلام الدينية السامية، وما انماز به من مناقب وكرامات فضلّته على غيره، ويرتبط هذا الحديث بموضوع آخر هو مديح آل البيت عليهم السلام والحديث عن الإمام عليٍّ عليه السلام وشجاعته ودوره في الدفاع عن الإسلام، فضلاً عن أنَّه يرتبط بموضوع آخر هو رثاء الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وما أثارته وقعة الطف من قيم دينية وروحية وإنسانية بليغة ملؤها الأسى والشجن لما حلّ به وأهل بيته عليهم السلام في وقعة الطف، فيقول:

القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر: ٥٤ وما بعدها. الشعر والفكر المعاصر: ١٤-١٥. فصول في الشعر: ١٣٦-١٥٦. نظرية المعنى في النقد العربي: ٣٨ وما بعدها.

(١) ينظر: الغديريات في الشعر العربي: ٧٦-٧٧.



هم الآل فينا والمعالي هم العلى ... نيمم في منهاجهم حيث يمموا

هم الغاية القصوى هم منتهى العلى ... سَلْ النص في القرآن ينبئك عنهم

هم في غدٍ للقادمين سقاتهم ... إذا وردوا والحوض بالماء مفعم

هم شفعاء الناس في يوم عرضهم ... إلى الله فيما أسرفوا وتجرموا

هم منقذونا من لظى النار في غدٍ ... إذا ما غدت في وقدها تتضرم

فلولاهم لم يخلق الله خلقه ... ولا هبطا للنسل حوا وآدم

وأقبل جبريل يقول مفاخراً ... لميكال: من مثلي وقد صرت منهم(١)

وينتقل إلى رثاء الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، ويذكر وقعة الطف وما ارتبط من قيم ورؤى، فيقول:

وعاثوا بآل المصطفى بعد موته ... بما قتل الكرار بالأمس منهم

وثاروا عليه ثورة جاهلية ... على أنَّه ما كان في القوم مسلم

وألقوهم في الغاضريات صرعاً ... كأنَّهم قفّ على الأرض جثم

تحاماهم وحش الفلا وتنوشهم ... بأرياشها طير الفلا وهي حوّم

بأسيافهم أردوهم ولدينهم ... أُريق بأطراف القنا منهم الدم

وما قدمت يوم الطفوف أُميّة ... على السبط إلا بالذين تقدموا(٢)

ب- محور أعداء الإمام علي عليه السلام:

ويتركز هذا المحور في أعداء الإمام وأهل بيته عليهم السلام، وفيه يعرض الشعراء الظلم والجور الذي لحق بالإمام وأهل بيته عليهم

---

(١) ق١.

(٢) ق١.

السلام من أعدائهم، ابتداءً بإنكار ولايته، وجحد وصية الرسول صلَّى الله عليه وآله فيه؛ لذلك انصرف الشعراء في صبّ غضبهم على أولئك القوم لميلهم عن طريق الحق، واتخاذهم الإنكار والضلالة سبيلاً لاغتصاب حق الإمام عليه السلام وإبعاده عن الخلافة الشرعية التي نصّ عليها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله في بيعة الغدير[١].

وهذه القضايا يعرضها ابن العودي النيلي بسبك فنيٍّ متماسك، وصياغة فكرية وفنية متسلسلة ويضيف إليها قضية اغتصاب فدك ويناقشها بأدلة وبراهين عقلية فيقول:

وقد علموا أنَّ الولاء لحيدر ... ولكنَّه ما زال يؤذى ويظلم

تعدَّوا عليه واستبدّوا بظلمه ... وأُخّر وهو السيد المتقدم

وقد زعموها فلتة كان بدؤها ... وقال: اقتلوا من كان في ذلك يخصم

وأفضوا إلى الشورى بها بين ستة ... وكان ابن عوف منهم المتوسم

وما قصدوا إلَّا ليقتل بينهم ... عليٌّ وكان الله للطهر يعصم

وإلَّا فليث لا يقاس بأضبع ... وأين من الشمس المنيرة أنجم؟

فوا عجباً من أين كانوا نظائراً؟ ... وهل غيره طبّ من الغيّ فيهم[٢]

وقوله في الاحتجاج لمن اغتصب فدكاً أبين من أن نوضحه، إذ يقول:

ولكن أخذتم من بنيَّ بثأركم ... فحسبكمُ خزياً على ما اجترأتم

منعتم تراثي ابنتي لا أبا لكم ... فلم أنتم آباءكم قد ورثتم

وقلتم: نبيٌّ لا تراث لولده ... أ للأجنبي الإرث فيما زعمتم

---

(١) ينظر: الغديريات في الشعر العربي: ٨٢.

(٢) ق١، ب٤٩، ب٥٥. ينظر: ب٥٦-٦٥، ب٧٢-٨٦.

فهذا سليمان لداود وارث ... ويحيى لزكريا فلم ذا منعتم[١]

ج. محور بيعة الغدير:

وفيه يصوّر الشعراء بيعة الغدير وما جرى فيها من أحداث، وقد تفاوتوا في ذلك، فبعضهم يذكرها بالتفصيل، وبعضهم يذكرها بشكل موجز، وبعضهم يركز على أحد أركان أو شخوص تلك الحادثة[٢]، وابن العودي النيلي ينقل لنا ما جرى في بيعة الغدير بالتركيز على خطاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله للمسلمين في ذلك اليوم، والحوار الذي جرى بينه وبين المسلمين، والذي بادر به حتى انتهى إلى تنصيب الإمام عليٍّ عليه السلام، إذ يقول:

وقد نصّها يوم الغدير محمد ... وقال: ألا أيها الناس فاعلموا

لقد جاءني في النص: بلغ رسالتي ... وها أنا في تبليغها المتكلم

عليٌّ وصيي فاتبعوه فإنَّه ... إمامكم بعدي إذا غبت عنكم

فقالوا رضيناه إماماً وحاكماً ... علينا ومولى وهو فينا المحكم

رأوا رشدهم في ذلك اليوم وحده ... ولكنَّهم عن رشدهم في غدٍ عموا

فلمّا توفي المصطفى قال بعضهم: ... أيحكم فينا؟ لا، وباللات نقسم

ونازعه فيها رجال ولم يكن ... لهم قدم فيها ولا متقدم

وظلوا عليها عاكفين كأنَّهم ... على غرّة كلٍّ لها يتوسم

يقيم حدود الله في غير حقها

---

(١) ق١، ب٦٦، ب٦٩.

(٢) ينظر: الغديريات في الشعر العربي: ٨٤.

ويفتي إذا استفتي بما ليس يعلم(١)

د. محور الاحتجاج:

حفل الأدب العربي بمختلف العصور بألوان من الاحتجاج دعا إليه الجدل القبلي، والاجتماعي، والأدبي، والسياسي، والديني فبرزت المناظرات والمنافرات والمفاخرات في أدب ما قبل الإسلام، ووجدت المناظرات، والنقائض الدينية في عصر صدر الإسلام إذ وقف حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة للدفاع عن الإسلام والنبيِّ صلَّى الله عليه وآله، والنيل من المشركين الذين وقف شعراؤهم ضدَّ الإسلام من أمثال عبد الله بن الزبعرى، وضرار بن الخطاب وغيرهما، وازدهر فن النقائض في العصر الأُموي بتأثير الحاجة إليه في السياسة والأدب، والعصبية القبلية التي أذكتها المصالح السياسية(٢)، فكانت نقائض جرير والفرزدق والأخطل والراعي النميري وغيرهم، ولمع شعراء الأحزاب والفرق.

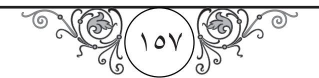
أمَّا في العصر العباسي فقد احتدمت المناظرات، وشغلت الناس على اختلاف طبقاتهم؛ لأنَّ أكثرها يُعقد في المساجد وبخاصة المناظرات النثرية وكان للجدل الفلسفي العقائدي نصيب وافر منها، وقد وجد كلّ ذلك طريقه إلى الشعر(٣).

---

(١) ق١، ب٨٧، ب٩٥.

(٢) ينظر: الحياة الأدبية في عصر بني أمية: ١٥٣-١٥٤.

(٣) ينظر: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: ٣٤٥-٣٨٠. تاريخ الأدب العربي



والاحتجاج محور عقلي يقوم على إيراد الحجج والبراهين للاستدلال على صحة الفكرة وإبطال ضدّها بالأدلة العقلية والنقلية والفلسفية، وقد انبثق عن هذا المحور الموضوعي محورٌ إبداعيٌّ في الشعر، وقد تجلى الاحتجاج في الغديريات بصورة واضحة بوصفه طريقاً لإثبات أحقية الإمام عليٍّ عليه السلام في الخلافة والولاية، وهو يعالج قضية خلافية، ويختلف تناوله من شاعر إلى آخر[1]، ويتحدث ابن العودي النيلي في غديريته عن أُمور لم تكن موجودة في عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله سارع أعداء الإمام عليٍّ عليه السَّلام إلى ابتداعها، وإدخالها في الدين، وهي ليست منه في شيء، ثمَّ يقف متسائلاً منكراً ليخلص بعد ذلك إلى بيان أحقية الإمام عليٍّ عليه السَّلام في الخلافة والولاية، وما تأخيره عنها إلَّا بسبب ما اختطه أعداؤه من نهج ظالم من دون مراعاةٍ لحدود الشريعة[2]، فيقول:

يكفّر هذا رأي هذا بقوله ... وينقض هذا ما له ذاك يبرمُ

وقالوا اختلاف الناس في الفقه رحمة ... فلم يك من هذا يحلّ ويحزمُ

أربّان للإنسان أم كان دينهم ... على النقص من دون الكمال فتمموا

أم الله لا يرضى بشرع نبيّه ... فعادوا وهم في ذاك بالشرع أقوم

أم المصطفى قد كان في وحي ربّه ... ينقّص في تبليغه ويجمجم

أم الشرع كان فيه زيغ عن الهدى

العصر العباسي الأول: ٤٥٧.

(١) ينظر: الغديريات في الشعر العربي: ٩١.

(٢) ينظر: الغديريات في الشعر العربي: ٩٥.

فسوّوه من بعد النبيِّ وقوّموا[١]

هـ. محور الشاعر:

ويظهر صوت الشاعر بوضوح في الغديريات، وقد توزع ذلك الصوت على مفاصل القصيدة، فجاء في مقدمات القصائد، وفي أثنائها، أو في أواسطها، وفي خواتمها[٢]، وابن العودي النيلي ظهر صوته في خاتمة غديريته متوسلاً إلى الله تعالى بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، مسترحماً بهم، وطالباً العفو والغفران من ربِّه، ومتزلفاً بحبّهم وولايتهم، فيقول:

فيا رب بالأشباح آل محمد — نجوم الهدى للناس والأُفق مظلم
وبالقائم المهدي من آل أحمد — وآبائه الهادين والحق معصم
تفضّل على العودي منك برحمة — فأنت إذا استرحمت تعفو وترحم
تجاوز بحسن العفو عن سيئاته — إذا ما تلظت في المعاد جهنم
ومنّ عليه من لدنك برأفةٍ — فإنَّك أنت المنعم المتكرم[٣]

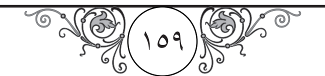
٥. الخاتمة:

آخر ما يصادفنا من الأداء الشعري، فلذلك كان اهتمام النقاد القدامى بالخاتمة لا يقلّ عن اهتمامهم بالمطلع، لقد أطلقوا على الخاتمة اصطلاح

(١) ق١، ب٩٦، ب١٠. وينظر: ب١٠٣-١٤٥.

(٢) ينظر: الغديريات في الشعر العربي: ٨٧.

(٣) ق١، ب١٤٧، ب١٥١.



(المقطع) ونظروا إليه من الزاوية نفسها التي نظروا من خلالها إلى المطلع من حيث الاهتمام بالسامع والمخاطب؛ لأنَّ الخاتمة في عرفهم قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع، فسبيلها أنْ تكون محكمة، وأنْ تكون قفلاً كما كان المطلع مفتاحاً[1]، ولكلٍّ هذا فضّل النقاد القدامى جودة المقطع وامتدحوا صاحبه[2] وانطلقوا في دراستهم للخاتمة إلى وضع شروط عدة لها[3]، والمقطع آخر ما يبقى في الأذهان، وربما حفظ من دون سائر الكلام في غالب الأحوال؛ لذلك فإنَّ (أحسن الانتهاء ما أذن بانتهاء الكلام)[4]، إلَّا أنَّه (من العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة، وفيها رغبة مشتهية، ويبقى الكلام مبتوراً كأنَّه لم يتعمد جعله خاتمة)[5]، وقد ناقش القدماء والمحدثون مسألة كون إنهاء القصيدة بيد الشاعر أم أنَّ الخاتمة هي التي تفرض نفسها عليه[6]. والذي يتابع الشعر العربي قديمه وحديثه يجد أنَّ خاتمة القصيدة يفرضها الفعل الإبداعي الذي يتميز به الشاعر، وهو يمرّ بعملية الخلق الشعري[7]، وخواتيم الغديريات يتضح فيها فعل إبداعي يرتكز على عنصر عقلي،

(١) ينظر: العمدة: ١/ ٢٣٩. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٣/ ١٨٣.

(٢) ينظر: كتاب الصناعتين: ١٤٤٢.

(٣) ينظر: تفصيل القول في هذه الشروط كتاب بناء القصيدة في النقد العربي: ٢٢٩-٢٣١.

(٤) الإيضاح: ٢/ ٥٩٩.

(٥) العمدة: ١/ ٢٤٠.

(٦) ينظر مثلًا: قضايا الشعر المعاصر: ٢٨٠. الأسس النفسية للأبداع الفني: ٣٠٥.

(٧) ينظر: الأسس النفسية للأبداع الفني: ٢٨٣.

وآخـر وجـداني، وكان هـذا الفعـل الإبداعـي منظـماً بحيـث يعيـد تشـكيل التجربـة العقليـة بتجربـة وجدانيـة يطلـق فيهـا الشـاعر العنـان لخيالـه، وينتقـل بـين الصـور والعواطـف والأفـكار مشـكلاً مـن ذلـك كلّـه منجـزه الشـعري عـن قصديـة ودرايـة[١].

وتنوعـت خواتيـم الغديريـات وإن كانـت تعالـج قضيـة واحـدة إذ جـاءت عـلى إنـماط ثلاثـة: خاتمـة الولايـة، وخاتمـة الدعـاء، وخاتمـة البـراءة[٢] وخاتمـة ابـن العـودي النيـلي في غديريتـه كانـت مـن نمـط الدعـاء، إذ يقـول:

فـإنْ كـان لي ذنـب عظيـم جنيته — فعفـوك والغفـران لي منـه أعظم
وإن كنت بالتشبيب في الشعر ابتدى — فإنِّي بمدح الصفوة الزهر أختم[٣]

الخاتمة

بعـد أنْ مـنّ الله علينـا بإنجـاز البحـث والوصـول إلى نهايتـه، فـلا بُـدَّ لنـا أن نختمـه بذكـر أهـم النتائـج التـي توصـل إليهـا:

لم تقـف المصـادر طويـلاً في ترجمـة ابـن العـودي النيـلي، إذ لا نجـد لـه ترجمـة وافيـة إلّا النـزر اليسـير مـن حياتـه، وربـما يكـون السـبب في ذلـك كونـه مـن الشـعراء الموالـين لآل البيـت ممَّـا جعـل أصحـاب التراجـم لا يطنبـون في ترجمتـه وأشـعاره.

حـدد نسـب ابـن العـودي النيـلي وولادتـه بـ(٤٧٨هــ)، لكـنَّ الأخبـار

(١) ينظر: الغديريات في الشعر العربي: ٩٧.

(٢) ينظر: م.ن: ٩٧.

(٣) ق١، ب١٥٢-١٥٣.



المروية عن نشأته وصفاته قليلة جداً، وهي بمجملها تشير إلى شاب امتلك شخصية تتسم بقدرة عقلية قوية، وموهبة رائقة في نظم الشعر تمتاز بالفصاحة وحسن السبك، وجودة القريحة.

الأخبار التي وردت عن ابن العودي النيلي قليلة، لكنَّنا من خلال شعره نستشف أنَّه أقام مدّة في واسط وكانت له فيها أشعار رائقة، كما وأنَّ له قصائد في الغزل مفعمة بالأحاسيس الصادقة، وأبياتاً حكمية تدلّ على حنكة صاحبها وتمرسه بالحياة وتجاربها.

يبرز بشكل واضح من خلال أخبار ابن العودي النيلي وشعره تشيعه وموالاته لآل البيت عليهم السلام، فنظم الشعر المذهبي في حبهم وذكر مناقبهم ويبدو أنَّ هذا اللون من الشعر لم يستهوِ أصحاب التراجم ممَّا أدّى إلى عزوفهم عن ذكر أخباره وأشعاره، أو وصفه بأوصاف تنمّ عن أقلام همُّها مداهنة السلطة الجائرة ومحاولة كسب ودّها ومالها.

لم تحدد المصادر التي ترجمت لابن العودي النيلي سنة وفاته، لكنَّنا رجّحنا سنة وفاته بالاستعانة بالمصادر التي ذكرت أخباره وأشعاره.

– أضاء البحث الجوانب المعمارية لغديرية ابن العودي النيلي من خلال بنية القصيدة المكتملة في المطلع والمقدمة والرحلة والتخلص والغرض والخاتمة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أبو المعالي ابن العودي النيلي (مقالة)، د. مصطفى جواد، مجلة الغري

النجفية العددان (٢٢، ٢٣) السنة السابعة ١٩٤٦م، ١٩٤٧م، ط١، نشر العتبة العلوية المقدسة ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني للهجرة د. محمد مصطفى هدارة، دار المعارف، ط١، مصر ١٩٦٣م.

أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، جواد شبر، دار المرتضى، ط١، ١٩٨٨م

الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، ياسين النصير، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد ١٩٩٣م.

الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية د. مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان ١٩٨٤م.

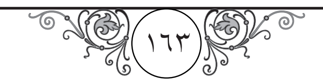
الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر الخاصة د. مصطفى سويف، دار المعارف، مصر ١٩٥١م.

أسس النقد الأدبي عند العرب د. أحمد أحمد بدوي، مطبعة لجنة البيان العربي، ط ٣، القاهرة ١٩٦٤م.

أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ) تحقيق: السيد حسن الأمين دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان (د. ت).

أنا والشعر، شفيق جبري، المطبعة الكمالية، القاهرة ١٩٥٩م.

أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني (علي صدر الدين المدني، ت ١١٢٠هـ)، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، ط١، النجف ١٩٦٨م.





الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد (ت٧٣٩هـ)، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧١م.

البديع في نقد الشعر أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) تحقيق: د. أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد مراجعة: إبراهيم مصطفى، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٠م.

بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر، مرشد الزبيدي، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٩٤م.

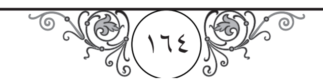
بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، د. يوسف حسين بكار، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت، لبنان ١٩٨٢م.

البيان والتبيين: الجاحظ، أبو حجر عمرو بن عثمان (ت٢٥٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط٧، ١٩٩٨م.

تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، مصر (د. ت).

الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور، ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله بن محمد ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: د. مصطفى جواد و د. جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م.

حلية المحاضرة في صناعة الشعر: الحاتمي، محمد بن الحسن بن المظفر (ت٣٨٨هـ) تحقيق: جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٧٩م.



الحياة الأدبية في عصر بني أمية: د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٣م.

الحيوان: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٩٣٨م.

خريدة القصر وجريدة العصر، عماد الدين الأصفهاني، تحقيق: محمد بهجت الأثري، ود. جميل سعيد، المجمع العراقي، وزارة الإعلام العراقية (د. ت).

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، مطبعة بولاق، ١٢٩٩هـ.

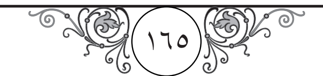
دراسات نقدية في الأدب العربي، د. محمود عبد الله الجادر، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل ١٩٩٠م.

سرّ الفصاحة ابن سنان الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن محمد ت ٤٦٦هـ)، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده مصر ١٩٦٩م.

شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين دراسة تحليلية، د. محمود عبد الله الجادر، دار الرسالة للطباعة بغداد ١٩٧٩م.

الشعر الجاهلي - قضاياه الفنية والموضوعية - د. إبراهيم عبد الرحمن، مكتبة الشباب، مصر الجديدة ١٩٨٤م.

الشعر الجاهلي - منهج في دراسته وتقويمه - د. محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة (د. ت).



الشعر العربي المعاصر - قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية - د. عزّ الدين إسماعيل، دار العودة دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.

الشعر والشعراء ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ت٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر دار المعارف، ط٢، مصر ١٩٦٦م.

الشعر والفكر المعاصر، د. عناد غزوان وآخرون، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٤م.

الصورة والبناء الشعري محمد حسن عبد الله، مكتبة الدراسات الأدبية (٨٣) دار المعارف، مصر ١٩٨١م.

الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي (ت٧٤٩هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط٢، مصر ١٩٥٥م.

عيار الشعر ابن طباطبا العلوي (محمد بن أحمد ت ٣٢٢هـ) تحقيق: طه الحاجري، ود. محمد زغلول سلام، شركة فن الطباعة، القاهرة ١٩٥٦م.

الغديريات في الشعر العربي، د. حربي نعيم محمد الشبلي، نشر العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف٢٠١١م.

الغدير في الكتاب والسنة، الشيخ الأميني (ت ١٣٩٢هـ)، ط٤، دار الكتاب، بيروت، لبنان ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

فصول في الشعر، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

فن الخطابة أرسطو، ترجمة عبد الرحمن بدوي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٠م.

في النقد الأدبي د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٣، مصر ١٩٦٢م.

قضايا الفن في قصيدة المدح العباسية دراسة تطبيقية في شعر البحتري وابن المعتز، د. عبد الله عبد الفتاح التطاوي، دار الثقافة للنشر، القاهرة ١٩٨١م.

قضايا الشعر في النقد العربي، د. إبراهيم عبد الرحمن محمد، دار العودة، ط٢، بيروت، ١٩٨١م.

المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) تحقيق: د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، مصر ١٩٥٩م.

المطلع التقليدي في القصيدة العربية دراسة ونقد وتحليل، عدنان عبد النبيّ البلداوي، مطبعة الشعب، بغداد ١٩٧٤م.

مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية، د. عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٨٧م.

معجم ما استعجم، البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ) تحقيق: مصطفى السقا، ط٣ عالم الكتب، بيروت، لبنان ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

معجم البلدان ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦هـ) دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥٥م.



مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، د. حسين عطوان، دار المعارف، مصر ١٩٧٠م.

منهاج البلغاء وسراج الأُدباء حازم القرطاجني (أبو الحسن بن أبي عبد الله ت ٦٨٤ هـ) تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، المطبعة الرسمية، تونس ١٩٦٦م.

نصوص من الشعر العربي قبل الإسلام دراسة وتحليل، د. نوري حمودي القيسي، ود. محمود عبد الله الجادر، ود. بهجة عبد الغفور الحديثي، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

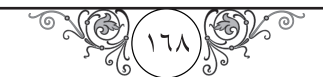
النقد الأدبي الحديث د. محمد غنيمي هلال، مطابع الشعب، ط٣، القاهرة ١٩٦٤م.

الوافي بالوفيات، الصفدي (ت٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العرب، بيروت ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي حياة جاسم، دار الحرية للطباعة والنشر، مطبعة الجمهورية، بغداد ١٩٧٢م.

وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية، د. نوري حمودي القيسي، مطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني (أبو الحسن علي بن عبد العزيز ت ٣٦٦هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبي الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٩٦٦م.



الرسائل الجامعية

أثـر الإسـلام في بنـاء القصيـدة العربيـة حتـى نهايـة العـصر الأُمـوي، أحمـد شـاكر غضيـب، أُطروحـة دكتـوراه بالآلـة الكاتبـة، كليـة الآداب، جامعـة بغـداد ١٤١٠ هــ ١٩٧٩م.

المغايرة السياقية في آيتي الغدير دراسة في ضوء إعلامية كسر التوقع النصي

أ. م. د. زهراء جياد عباس البرقعاوي

يصعب الفصل بين تلقي العمل والأثر الذي يحدثه، لأن أي عمل كيفما كان يرتبط بالمتلقي من ناحيتين: تلقيه من ناحية وأثره من ناحية أخرى، فالأثر الجمالي يقوم على جدلية ثلاثية الأطراف هي النص، والقارئ، وتفاعلهما المشترك(١).

إذ يعد التفاعل بين بنية النص والمتلقي الأساس في قراءة كل عمل أدبي، إذ يجب ألاّ تقتصر دراسة العمل الأدبي على النص الفعلي فحسب، وإنما بالدرجة نفسها يجب الاهتمام بالأفعال المرتبطة بالتجاوب مع ذلك النص(٢).

إذ إن أولية الاشتغال بين النص والقارئ تقوم على خاصية الفهم، فالعمل يحاول دائما أن يوفر لقارئه المناخ الأدبي والاقتراحات التي يمكن أن توجّه عملية الفهم لديه، حتى يصل في النهاية إلى تشكيل أو إعادة تشكيل الأفق الأدبي الخاص بالعمل فالقارئ يستنطق النص في حدود استحضاره لفهمه المسبق لكن في إطار المرجعيات الأدبية التي يعرضها النص نفسه.

وتعد الطريقة التي يهتم بها ضبط الحوار بين المتلقي والنص، من

أهم جوانب نظرية التواصل، وتتجسد هذه الطريقة في العلاقة الجدلية بين التوقع/ اللا توقع، فالتوقع هو ((انتظار يشوبه التمني، مثل درجة النجاح التي يتمنى المرء بلوغها في عمل ما))(٣).

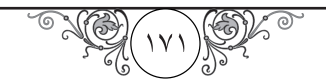
أما اللا توقع فهو كسر لهذا الانتظار، وخيبة تواجه عملية التوقع، وأفق الانتظار هو ذلك الافتراض الأولي الذي ينطلق منه القارئ ظانا أنه سيصل إليه عند إنهاء قراءته للعمل الأدبي الذي بين يديه، مستقيا إياه من تجاربه الماضية(٤)وهنا نجد أنفسنا أمام ثلاث حالات:

- إما أن لا يخيّب النص توقعاتنا، ويأتي كما نتوقع، وعندئذ لا يكون فيه أي جدة أو إعلامية.

- وإما أن يكسر أفق التوقع لدينا بشكل سلبي، فيكون أقل مما نتوقع، وهنا يكون النص ليس ذا قيمة جمالية.

- وإما أن يكسر أفق التوقع لدينا بشكل إيجابي فيكون أعلى مما توقعنا وهذه هي خاصية النصوص المبدعة.

إذ إن أهمية النص لا تنبع من كونه نصا إخباريا ينقل إلينا كمّا من المعلومات، فهذا أمر تجاوزه الزمن، وإنما مَهمّة النص أن يجعلنا نتفاعل معه، ونستلهم منه أشياء جديدة، تكسر توقعنا وتزيد من إعلامية النص المقروء، فأنت تزيد في إخبار بلاغ من البلاغات كلما كانت الوحدة المنتقاة لبعض الوحدات الأخر ضعيفة التوقع(٥)، أي أن ثمة علاقة عكسية، إن صح التعبير، بين التوقع من جهة وبين المفاجأة التي يحدثها ما هو غير متوقع من جهة أخرى، فإذا زادت نسبة التوقع قلت نسبة المفاجأة ومن



ثـم نسـبة الانتبـاه(٦).

وتعتمـد عمليـة التواصـل والتأثـير مـا بـين النـص والمتلقـي عـلى مشـاركة المتلقـي، وحسـن تلقيـه للإشـارات النصيـة التـي تقـود خطـاه، وتتحكـم في نشـاطه لتجنـب الشـطحات التأويليـة، وعـدم إنطـاق النـص بـما لم يقلـه، فـ((القـراءة نشـاط موجّـه مـن طـرف النـص))(٧) ويحـدث هـذا، ويتعمـق التواصـل، عندمـا يرصـد القـارئ في بنيـة النـص إجـراءً أسـلوبيا غـير منتظـر، أو مقابـلات دلاليـة غـير متوقعـة، أو مفاجـآت سـياقية، أو عندمـا يعـزز ظاهـرة إمسـاك النـص عـن معلومـات، أو عنـد تحويـل اتجـاه النـص فجـأة نحـو مسـار آخـر ليكسر أفـق توقعـه(٨)، إذ يعـد لأسـلوب المفاجـأة أو الدهشـة القـدرة عـلى جـذب المتلقـي وتشـويقه للوصـول إلى معنـى النـص.

وبـذاك يبقـى النـص ثابتـا، لكونـه يمثـل النقطـة التـي ينطلـق منهـا القـارئ لبنـاء توقعاتـه، التـي تتعـدد وتختلـف وتتبايـن تبعـا لخبرتـه وممارسـته فـ((حين يـشرع المتلقـي في قـراءة عمـل حديـث الصـدور، فإنّـه يُنتظـر منـه أن يسـتجيب لأفـق انتظـاره، أي أن ينسـجم مـع المعايـير الجماليـة، التـي تكـوّن تصـوّره لـلأدب، لكـن للعمـل أيضـا أفقـه الخـاص، الـذي قـد يأتلـف مـع أفـق القارئ ممـا ينتـج عـن ذلـك حـوار أو صراع بـين الأفقـين))(٩).

وقـد أصطلـح عـلى تسـمية هـذا الـصراع أو التصـادم الـذي يحـدث بـين مـا يفـرزه النـص، ومـا يتوقعـه القـارئ بمصطلـح المسـافة الجماليـة Aestnic Dictance(١٠).

فالمسـافة الجماليـة مصطلـح أطلقـه (يـاوس) قاصـدا بـه ((التعـارض بـين مـا

يقدمه النص، وبين ما يتوقعه القارئ))(١١)أو هي الفرق بين التوقعات وبين الشكل المعين لعمل جديد ويقوم الطابع الفني على أنه «تعديل للأفق(١٢).

فعندما يستجيب (أفق انتظار القارئ) لـ(أفق النص) ويتفق معه، فإنّ هذا يعني أنّ هناك (ائتلافا) و(تأثرا) سيحصل بينهما، ومن ثم سيكون هناك تواصل ومشاركة وتفاعل بين الطرفين: (النص) و (القارئ)، بيد أنّ هذا لا يعني بطبيعة الحال أنّ (النص) ذو طبيعة فنية عالية، بل على العكس من ذلك، فقد يكون (النص) دون المستوى الفني المأمول، وهذا التفاعل الذي حصل إنما كان بسبب استجابة النص لـ(أفق توقع القارئ) وتوافقه مع أفق انتظاره، ولا علاقة لذلك بالمستوى الجمالي الذي يتمتع به (النص).

أما النص الذي يمتلك المقومات الفنية العالية والقيمة الجمالية المرتفعة فإنه لا يهم أن يكون متوافقا مع أفق القارئ أو مختلفا معه ومتصادما مع طبيعة استجابته فهذا النوع من (النصوص) هو وحده القادر على أن يؤثر على القارئ وينفذ في نفسه ويقلب لديه الموازين، خصوصاً حين يكون (أفق) ذلك النص مختلفاً عن (أفق انتظار) القارئ ومخيباً لـ(أفق توقعه).

إذا أصبح مدى انزياح النص عن معايير القارئ وتعديله لأفق توقعه، مقياساً لتقدير القيمة الجمالية للأدب فكلما كان أثر كسر أفق الانتظار قوياً، كان هذا النص ذا قيمة فنية عالية(١٣).

ولذلك ربط رفاتير بين السياق الأسلوبي والأبعاد غير المتوقعة داخل النص، فحسب قوله إن السياق الأسلوبي هو نموذج منكسر بعنصر غير متوقع(١٤)، وتلتقي أسلوبية ريفاتير مع الإعلامية حيث ((دعا الكاتب إلى تشفير نصه، ومن آرائه المهمة كذلك (عدم التوقع)، إذ إن التوقع يسطح القراءة ويطيح هيمنتها))(١٥) ولذلك فإن ((البنية الأسلوبية في نص معين تكمن في سلسلة من العناصر المتوقعة التي تدخل في علاقة تعارض مع العناصر غير المتوقعة))(١٦)، علاوة على أن ((الخطاب الأدبي لا يوجد إلا بفعل الاتصال، وهذا لا يتحقق إلا بفعل الكاتب الذي ضمّن نصه بنية شكلية وضمنه إياه مقاصده، أما المتلقي فهو النصف الآخر الذي تستدعيه بنية الشكل ويقع في حبائل المقاصد الأدبية التي يضمنها الكاتب))(١٧).

ومن ثم، فإن ((قيمة كل إجراء أسلوبي يتحدد من خلال المفاجأة التي تحدثها في المتلقي، فكلما كانت غير متوقعة كان أثرها في نفس المتلقي عميقا))(١٨).

فعملية العدول عن أصل إلى صورة لغوية تركيبية أخرى تجعل النفس تنتقل عبر موضعين قد تربطهما علاقة، إذ إن المسافة تقطع درجة الصفر، أي لحظة الفراغ التي ترفضها السنن الكونية والنفسية، فتتدفق عليها أمواج من مشاعر الدهشة تتباين حسب طول المسافة بين المرحلتين فكلما زادت المسافة زاد تدفق الدهشة وأثرها حتى إذا ما طالت المسافة أكثر مما يدرك العقل البشري، انقلب التأثير إلى فوضى إذ يصبح كسر الإمكانات

الهادف إلى نقل المعاني العادية من أهم عناصر القول الجمالي(١٩).

فكلما زاد العدول للنصوص زادت القيمة الجمالية لها وعندئذ تكون ((رحلة القارئ في الكتاب عملية متواصلة))(٢٠).

فعندما يبدأ بالقراءة يمضي على نحو متصل في إدراكه، وفقا لتوقعاته المستندة إلى خلفيته الثقافية لذلك فان ورود شيء غير متوقع، ينتج عنه احتمال تعديل وجهة نظره ليتجه صوب العناصر غير المحدودة في النص والتفاوض معها وتحقيقها(٢١)، وهذا التغير لأفق التوقعات يسميه آيزر (وجهة النظر الجوّالة)(٢٢)، وهي تتيح للقارئ أن يسافر عبر النص. كاشفا بذلك كثرة المنظورات التي يترابط بعضها مع بعض، والتي تعدل كلما حدث انتقال من واحد منها إلى الآخر(٢٣).

وعبر هذا الانتقال وهذا الكشف تتم عملية التفاعل بين النص والمتلقي، وتبلغ مستويات تتعدى القراءة السطحية(٢٤)، لتصبح احتراقا وتجاوزا لما هو متوقع ومنتظر، فالمتوقع أو المنتظر لا يثير شيئاً ذا بال في وعي القارئ، في حين تثير العناصر غير المتوقعة وعي القارئ وتستفزه.

وبذلك تصبح الإعلامية كسراً لردود فعل القارئ إزاء المنبهات والمثيرات الكائنة في النص والقارئ عندما يواجه تصادما تتعارض مع موقفه ووعيه، وخبرته، وعندما تخلخل توقعاته، وافتراضاته، فإنه يخلق لديه إمكانية التفاعل مع النص، وهذا التفاعل كفيل بخلق الحس الجمالي لديه، إذ بمقدور اللاتوقع، أو كسر أفق التوقع الذي هو مظهر من مظاهرها أن يفعل علاقة المتلقي بالنص، وينأى بها عن أن تكون علاقة

أحادية، من النص إلى القارئ، إلى علاقة تبادليه تسير فيها عملية القراءة في اتجاهين متبادلين من النص إلى القارئ ومن القارئ إلى النص(٢٥) أي قابلة للتأثر والتأثير.

تعتمد الإعلامية على إثارة انتباه المتلقي فهي ((مدى توقع عناصر النص المقدمة أو عدم توقعها أو معرفتها أو عدم معرفتها وغموضها، ففي الواقع إنّ كل نص هو إخباري على نحو ما، إذ إنه ينقل على الأقل معلومة صغرى، غير أنّ مقدار (الإعلامية) هو ما يوجه اهتمام السامع))(٢٦)، وقد جاء تعريف بحيري متناغما مع التعريفات السابقة ويلاحظ أنّه استخدم مصطلح الإخبارية، فذكر أنّها ((تتعلق بتحديد جدة النص، أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدم توقعها))(٢٧)، إذ نجد أنّ الإعلاميةترتبط بمفهوم التوقع، فهناك دائما النمط المألوف المتوقع لتركيب جملة ما، وهو يدخل ضمن نطاق التوقع الأدبي الذي يتوقع المتلقي أنّ الجملة ستأتي وفق ذلك الترتيب، أما لو حدثت انزياحات أو عدولات في النصّ فإن أفق التوقع سيكسر عند المتلقي، وبذلك تتحقق هذه الجدة، فالمقدار المناسب من المعلوماتية في النص المعتمد على المقصد والتوقع والموقف يشكل بذلك عاملا نصيا أساسيا، ويكون مقدار التواصل(٢٨).

وهذه الجدة يحددها الكاتب أولا في اختياراته الأسلوبية والموضوعية (الشكل والمضمون) عند إنشائه النص، ويحددها المتلقي بمعيار عدم التوقع. فهي تفترض ابتداءً أن للكلام محتوى يجري إبلاغه للمتلقي

بواسطة النص، ومن ثم فهي لا تعالج نصا غير منسق أصلا، ولكنها تعنى بالكيفية التي يجري بها عرض هذا المحتوى، أنها تتعلق بحكم المتلقي على طريقة عرض المحتوى وبمدى اتسام عناصره النصية بالطرافة والإغراب على حد قول ابن سينا، إذ يرتبط ذلك بما سماه ابن سينا (الإغراب)أو تحقق الطرافة ويزاد على ذلك إخلاف التوقع لدى المتلقي بما يرتفع به الكلام في سلّم النصية(٢٩). ويشير سعد مصلوح إلى طريقة توزيع المعلومات في النص قائلا: ((ترتبط الإعلامية بمعدل ظهور النقاط التي تمثل نقلات أو منعطفات جديدة في تسلسل عرض المحتوى بالنسبة للمتلقي، إذ تتمايز النصوص باختلافها من حيث معدل البطء والسرعة في حدوث النقلات، ومن ثم تتفاوت في مدى تحقق صفة النصية لها. لذلك يرتبط مفهوم الإعلامية بما يسمى الانتباه Attention أو التركيز Focusing، وينصرف إلى استجابات المتلقي أصالة))(٣٠)، إنّ مفهوم القيمة الأسلوبية يفترض وجوده عدة أنماط للتعبير عن الفكرة الواحدة، وهذا ما يعرف بـ(المتغيرات الأسلوبية) التي يؤلف كل منها (شكلا خاصا) للتعبير عن المفهوم الواحد(٣١).

لما كان الخطاب في النص القرآني يهدف إلى الإقناع والتأثير وكان المتلقي يشغل موقعا وسطا بين التأويل والبيان بوصفهما انعكاسا لعملية التواصل ومثالا للتواصل يمثل تجميعا لكل الإمكانيات التي يمكن أن تتحقق ونحن نمر عبر النصوص، فإنّه في لحظة ما قد ينتقل النص من سياق معين إلى سياق آخر لتنبيه المتلقي ولفت نظره إلى أهمية السياق



الـذي انتقـل إليـه النـص بصـورة مفاجئـة، وكلـما زاد السـياق الجديـد اختلافـا عـن السـياق الأول ارتفعـت قيمـة الإعلاميـة لعـدم حصـول خفـض تقدمـي أو رجعـي للسـياق الجديـد، ومـن اسـتعمالات القـرآن لهـذا النـوع مـن الإعلاميـة قولـه تعـالى ((حُرِّمَـتْ عَلَيْكُـمُ الْمَيْتَـةُ وَالـدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيـرِ وَمَـا أُهِـلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِـهِ وَالْمُنْخَنِقَـةُ وَالْمَوْقُـوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَـةُ وَالنَّطِيحَـةُ وَمَـا أَكَلَ السَّـبُعُ إِلَّا مَـا ذَكَّيْتُـمْ وَمَـا ذُبِـحَ عَـلَى النُّصُـبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِـمُوا بِـالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُـمْ فِسْـقٌ الْيَـوْمَ يَئِـسَ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا مِـنْ دِينِكُـمْ فَـلَا تَخْشَـوْهُمْ وَاخْشَـوْنِ الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِينَكُـمْ وَأَتْمَمْـتُ عَلَيْكُـمْ نِعْمَتِـي وَرَضِيـتُ لَكُـمُ الْإِسْـلَامَ دِينًـا فَمَـنِ اضْطُـرَّ فِي مَخْمَصَـةٍ غَـيْرَ مُتَجَانِـفٍ لِإِثْـمٍ فَـإِنَّ اللَّهَ غَفُـورٌ رَحِيـمٌ)) ﴿المائـدة/ ٣﴾.

فقـد تحـدّث النـص عـن أنـواع المحرمـات مـن الأطعمـة وعدّهـا ووصفهـا بأنّهـا فسـق ثـم انتقـل مـن سـياق التحريـم إلى قولـه ((الْيَـوْمَ يَئِـسَ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا مِـنْ دِينِكُـمْ فَـلَا تَخْشَـوْهُمْ وَاخْشَـوْنِ الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِينَكُـمْ وَأَتْمَمْـتُ عَلَيْكُـمْ نِعْمَتِـي وَرَضِيـتُ لَكُـمُ الْإِسْـلَامَ دِينًـا فَمَـنِ اضْطُـرَّ فِي مَخْمَصَـةٍ غَـيْرَ مُتَجَانِـفٍ لِإِثْـمٍ فَـإِنَّ اللَّهَ غَفُـورٌ رَحِيـم)). فـأيّ يـوم هـو ذلـك اليـوم الـذي اجتمعـت فيـه هـذه الأحـداث الأربعـة المصيريـة وهـي «يـأس الكفـار»، و«إكـمال الديـن»، و«إتمـام النعمـة»، و«قبـول الله ديـن الإسـلام دينـا» ختاميـا لـكل البشريـة، وأنّ اليـوم المتكـرر في الآيـة المتخلـل مسـألة التحريـم سـياقه واحـد، ثـم عـاد النـص لإكـمال الآيـة بقولـه (فمـن اضطـر في مخمصـة غـير متجانـف لإثـم) فيبـدو الحديـث عـن يـوم يئـس الكفـار ويـوم إكـمال الديـن كلام غـير متناسـب مـع مـا قبلـه، ومنقطـع عـما بعـده، يقـول السـيد

الطباطبائي ((أمر الآية في حلولها محلها ثم في دلالتها عجيب، فإنك إذا تأملت صدر الآية أعني قوله تعالى: (حرمت عليكم الميتة والدم) إلى قوله (ذلكم فسق) وأضفت إليه ذيلها أعني قوله (فمن أظطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم) وجدته كلاما تاما غير متوقف في تمام معناه وإفادة المراد منه إلى شيء من قوله: (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) أصلا، وألفيته آية كاملة مماثلة لما تقدم عليها في النزول من الآيات الواقعة في سور الأنعام والنحل والبقرة المبينة لمحرمات الطعام، ففي سورة البقرة (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه فإن الله غفور رحيم)) (٣٢)

وهذا ما نريد إثارته في إعلامية الخطاب القرآني، فمن خلال استعمال النص لأسلوب المغايرة السياقية والتي ستؤدي حتما إلى كسر توقع المتلقي وإدهاشه ومفاجأته، فهذا المقطع من الآية إنما جاء لتنبيه المتلقي على عظم هذا اليوم وأهميته، وأنّ الحديث عن هذا اليوم في سياق الحديث عن المحرمات من الأطعمة واللحوم وقطع سلسلة التماسك النصي أمر مقصود تمثله قصدية إدهاش المتلقي وكسر توقعه لأنّ النص تحدث عن الأطعمة وإذا به يفاجئ المتلقي بالانتقال السياقي إلى مسألة لا ترتبط بالأولى لا شكلا ولا مضمونا، ولو وضع هذا المقطع من الآية في مكان غير هذا المكان لأوّل تأويلا مناسبا لسياق ترتيبه، بيد أنّ وضعه في هذا المكان فيه إعلامية بارعة ودقيقة تجبر المتلقي على البحث عن معنى ذلك

اليوم الذي يئس فيه الكفار.

وقد ذهب المفسرون في بيان المراد من هذا اليوم في هذا المقطع من الآية:

أ- يئسوا من أن يحللوا هذه الخبائث بعد أن جعلها الله محرمة.

ب- يئسوا من أن يغلبوكم على دينكم لأنه تعالى وعد بإعلاء هذا الدين على كل الأديان، وهو قوله ((ليظهره على الدين كله)) فتحققت تلك النصرة وأزال الخوف بالكلية وجعل الكفار مغلوبين بعد أن كانوا غالبين(٣٣)، أي أن الله تعالى حول الخوف الذي كان يلحقهم من الكافرين اليوم إليهم ويئسوا من بطلان الإسلام وجاءكم ما كنتم توعدون به (٣٤)

وقد ذهب الرازي إلى أن قوله ((اليوم يئس)) أنه ليس يوما بعينه حتى يقال إنهم ما يئسوا قبله بيوم أو يومين، وإنما هو كلام خارج على عادة أهل اللسان معناه لا حاجة لكم الآن إلى مداهنة هؤلاء الكفار لأنكم صرتم بحيث لا يطمع أحد من أعدائكم في توهين أمركم(٣٥).

ومن غير المعقول أن الله يخبر المسلمين أن المشركين قد يئسوا من دينهم بعد أن أنزل الله أحكام الحرام والحلال الخاصة باللحوم بل إن ما يسبب يأسهم هو وجودا يرسخ الإسلام ويضمن استمراره بالنهج الذي أنزل به .

وبذلك تكون الموجّهات النصية في الآية الكريمة ذات سلطة على القارئ تدفعه نحو بناء علاقة تفاعلية للبحث عن رؤية النص وقصديته

متجاوزا القراءة الخارجية محاولا القراءة الاستبطانية للنص.

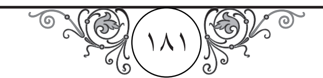
والحقيقة ((إن هاتين الجملتين أعني قوله ((اليوم يئس الذين كفروا من دينكم)) وقوله ((اليوم أكملت لكم دينكم)) متقاربتان مضمونا، مرتبطتان مفهوما بلا ريب، لظهور ما بين يأس الكفار من دين المسلين وبين إكمال دين المسلين من الارتباط القريب، وقبول المضمونين لأن يمتزجا فيتركبا مضمونا واحدا مرتبط الأجزاء، متصل الأطراف بعضها ببعض، مضافا إلى ما بين الجملتين من الاتحاد في السياق))٣٦

أما قوله (اليوم أكملت لكم دينكم) فقد قيل فيه أقوال:

١- أي أكملت لكم فرائضي وحدودي وحلالي وحرامي بتنزيلي ما أنزلت وبياني ما بينت لكم فلا زيادة في ذلك ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا اليوم، وهو يوم عرفة عام حجة الوداع عن ابن عباس والسدي واختاره الجبائي والبلخي قالوا ولم ينزل بعد هذا على النبي (صلى الله عليه وآله) شيء من الفرائض في تحليلي ولا تحريم وإنه مضى بعد ذلك بإحدى وثمانين ليلة.

٢- إن معناه اليوم أكملت لكم حجكم وأفردتكم بالبلد الحرام تحجونه من دون المشركين ولا يخالطكم مشرك.

٣- إن معناه اليوم كفيتكم الأعداء وأظهرتكم عليهم مثلما تقول الآن كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد بأن كفيتنا ما كنا نخافه، وقد روي عن الإمامين أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام إنه نزلت بعد أن نصب النبي (صلى الله عليه وآله) عليا (عليه السلام) علما للأنام يوم






غدير خم منصرفه عن حجة الوداع وهي آخر فريضة انزلها الله.

وعندما نزلت هذه الآية قال الله اكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتي وولاية علي بن أبي طالب من بعدي وقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله (٣٧).

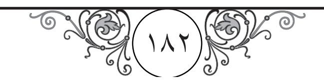
ولا يمكن القول إن اليوم الذي أكمل فيه الدين وتمت فيه النعمة هو أيضا ليس يوما بعينه، بل هو اليوم نفسه الذي يئس فيه الذين كفروا ولا يكون ذلك بتحريم بعض الخبائث.

وهذه الإعلامية المفاجئة المدهشة للمتلقي التي كسرت توقعه من خلال الانتقال السياقي المفاجئ من سياق التحريم لبعض الخبائث إلى سياق الحديث عن يوم قامت عليه أهم المسائل بين الله والمسلمين فيما يخص الإسلام.

وهذا يدعو المتلقي إلى البحث عن مخفّض خارجي للإعلامية لأن السياق مقطوع دلاليا عن ما قبله وبعده، فعندما يواجه المتلقي بعناصر نصية غير متوقعة فإنه يتعين عليه أن يتبنى إحدى عمليات خفض الإعلامية الآتية:

أ- الخفض الأمامي: وذلك بأن يمضي المتلقي قدما في قراءة النص حتى يجد إحدى الوقائع النصية التي تضيء العنصر النصي الذي استوقفه من قبل.

ب- الخفض الخلفي: يعني ذلك أن يعود المتلقي أدراجه لعله يجد فيما



سبقت قراءته ما يفسر له ما غمض عليه.

ج- الخفض الخارجي: ويكون ذلك بالخروج من إطار النص الماثل بين يدي المتلقي بالاعتماد على سياق الموقف أو التناص(٣٨).

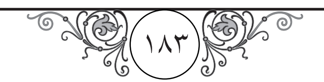
ويكون المخفّض الخارجي متمثلا بأسباب النزول التي حددت نزول هذه الحادثة ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)).

وقد تعدد الآراء في تحديد هذا اليوم ومنها؛ إنه يوم نزول الآية، أو يوم بعثة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) أو إن المراد باليوم هو ما بعد فتح مكة، وقيل اليوم الذي نزلت فيه سورة براءة، وقيل هو يوم عرفة من حجة الوداع (٣٩).

وقد نقل الطبري عن قتادة أن الآية نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم عرفة يوم جمعة حين نفى الله المشركين عن المسجد الحرام وأخلص للمسلمين حجهم(٤٠).

ويروى أن يهوديا قال لعمر: لو علمنا معشر اليهود حين نزلت هذه الآية ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)) لو يعلم ذلك اليوم؛ اتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال عمر، قد علمت اليوم الذي نزلت فيه والساعة، وأين رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين نزلت: نزلت ليلة الجمعة، ونحن مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعرفات(٤١).

فلو كانت هذه الآية نازلة بعرفات وفيها أكمل الدين وتمت النعمة





يقتضي عدم نزول آية بعد ذلك، وقد وردت روايات كثيرة بنزول أحكام وفرائض بعد ذلك اليوم كما في آية الصيف (آية الكلالة) وآيات الربا(٤٢) فيكون ذلك اليوم ليس هو يوم عرفة(٤٣)، ولا يمكن أن يكون هذا اليوم هو يوم فتح مكة فالآية تدل على إكمال الدين وإتمام النعمة ولما يكمل الدين بفتح مكة، وكان في السنة الثامنة من الهجرة فكم من فريضة نزلت بعد ذلك وكم من حلال أو حرام شرع (٤٤)، ولا هو المقصود به اليوم بعد نزول البراءة فلا سبيل إلى ذلك أيضا لأن أحكاما كثيرة قد نزلت بعد ذلك ومنها ما في هذه السورة من الحرام والحلال.

بل يكون ((بأن ينصب الله لهذا الدين من يقوم مقام النبي في حفظه وتدبير أمره وإرشاد الأمة القائمة به فيعقب ذلك يأس الذين كفروا من دين المسلمين لما شاهدوا خروج الدين عن مرحلة القيام بالحامل الشخصي إلى مرحلة القيام بالحامل النوعي، وليكون ذلك إكمالا للدين بتحويله من صفة الحدوث إلى صفة البقاء، وإتماما لهذه النعمة))(٤٥).

وهذا يؤيد ما ورد من الروايات أن الآية نزلت يوم غدير خم، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر من الهجرة في أمر ولاية علي (عليه السلام)(٤٦)، إذ ذكر مجموعة من المفسرين أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يعش أكثر من واحد وثمانين يوما بعد نزول هذه الآية، وهذا أمر يثير الانتباه في حد ذاته، إذ حين نرى أن وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) كانت في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول نستنتج أن نزول الآية كان بالضبط في يوم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام وهو يوم غدير

خم (٤٧).

أي اليوم الذي نصب النبي (صلى الله عليه وآله) عليا أمير المؤمنين (عليه السلام) بصورة رسمية وعلنية خليفة له، حيث غشى الكفار في هذا اليوم سيل من اليأس، بعد أن كانوا يتوهمون بأن دين الإسلام سينتهي بوفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) وأن الأوضاع ستعود إلى سابق عهدها في الجاهلية، لكنهم حين رأوا أن النبي أوصى بالخلافة بعده لرجل فريدٍ بين المسلمين في تقواه وعلمه وعدالته وقوته، وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام) وشاهدوا النبي وهو يأخذ البيعة لعلي (عليه السلام) أحاط اليأس بهم من كل جانب، وفقدوا الأمل فيما توقعوه من شر لمستقبل الإسلام وأدركوا رسوخ الإسلام وبقائه (٤٨).

ذكرت روايات كثيرة أن الآية الكريمة نزلت في يوم غدير خم بعد تبليغ النبي بولاية علي (عليه السلام) يتضح من ذلك إن الروايات والأخبار التي أكدت نزول الآية في واقعة غدير خم ليس أخبارا آحادا ليتم تجاهلها أو تضعيف سندها بل هي أخبار إن لم تكن في حكم المتواتر فهي على أقل تقدير من الأخبار المستفيضة التي تناقلتها المصادر الإسلامية المشهورة (٤٩)

وأن تقديم يأس الكفار على سبب يأسهم وهو إكمال الدين وإتمام النعمة كان لقصدية إعلامية مهمة وهي تفخيم أمر اليوم، وتعظيم شأنه، لما فيه من خروج الدين عن مرحلة القيام بالقيم الشخصي إلى مرحلة القيام بالقيم النوعي، ومن صفة الظهور والحدوث إلى صفة البقاء

والـدوام.

والنـص الـذي اسـتطاع أن يفعـل كـسر توقـع القـارئ مـن خـلال الآيـات المختلفـة السـياق هـو بلا شـك نـص اسـتثنائي وخطـاب متميـز على المستويات كافـة، فالقـارئ عندمـا يقـوم بممارسـة القـراءة للنصـوص المعتـادة المكـررة فإنهـا بـلا شـك سـتراعي (أفـق انتظـاره) لأنـه تعـود عـلى قراءتهـا مـن خـلال معايـير واليـات تحليليـة معروفـة، بيـد أنـه إذا قـام بهـذه الممارسـة لنصـوص متميـزة ومختلفـة عـن أفـق توقعـه فإنهـا بطبيعـة الحـال سـتصدمه بطرائـق فنيـة جديـدة تتجـاوز مـا ألفـه مـن مفاهيـم القـراءة التقليديـة بسـبب التبايـن الفنـي بـين الطرائـق الموجـودة في النصـوص التقليديـة والنصـوص الحديثـة.

وفي قولـه تعـالى ((وَلَـوْ أَنَّهُـمْ أَقَامُـوا التَّـوْرَاةَ وَالْإِنْجِيـلَ وَمَـا أُنْـزِلَ إِلَيْهِـمْ مِـنْ رَبِّهِـمْ لَأَكَلُـوا مِـنْ فَوْقِهِـمْ وَمِـنْ تَحْـتِ أَرْجُلِهِـمْ مِنْهُمْأُمَّـةٌ مُقْتَصِـدَةٌ وَكَثِـيرٌ مِنْهُـمْ سَـاءَ مَـا يَعْمَلُـونَ يَـا أَيُّهَـا الرَّسُـولُ بَلِّـغْ مَـا أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ مِـنْ رَبِّـكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَـلْ فَـمَا بَلَّغْـتَ رِسَـالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُـكَ مِـنَ النَّـاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْـدِي الْقَـوْمَ الْكَافِرِيـنَ)) المائـدة ٦٦-٦٧

إن هـذه الآيـة ((يـا أيهـا الرسـول بلـغ مـا أنـزل إليـك مـن ربـك)) أيضـا مـن الآيـات التـي فيهـا كـسر لتوقـع المتلقـي مـن خـلال وضـع الآيـة في نظـم يختلـف عنهـا مضمونـا أي غايـرة الآيـة لسـياق مـا قبلهـا ومـا بعدهـا، وفي هـذا الأسـلوب كـسرٌ لتوقـع المتلقـي ومفاجـأة لـه بـما يحدثـه مـن شـد المتابـع والسـيطرة عليـه وشـد انتباهـه مـن بـين يديـه قـسرا عنـه عـن طريـق الجـدة في العـرض ولفـت انتبـاه المتلقـي إلى قطـع سلسـلة المعلومـات والإتيـان بمعلومـة

جديدة تجعله يبحث عن معناها ومقصدها.

إن ((الإمعان في التدبر في نفس الآية وارتباط الجمل المنضودة فيها يزيد الإنسان عجبا على عجب فلو كانت الآية متصلة بما قبلها وما بعدها في سياق واحد في أمر أهل الكتاب لكان محصلها أمر النبي (صلى الله عليه وآله) أشد الأمر بتبليغ ما أنزله الله سبحانه في أمر أهل الكتاب، وتعين بحسب السياق أن المراد بما أنزل إليه من ربه هو ما يأمره بتبليغه في قوله «قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم» وسياق الآية يأباه فإن قوله «والله يعصمك من الناس» يدل على أن هذا الحكم المنزل المأمور بتبليغه أمر مهم فيه مخافة الخطر على نفس النبي (صلى الله عليه وآله) أو على دين الله تعالى من حيث نجاح تبليغه، ولم يكن من شأن اليهود ولا النصارى في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) أن يتوجه إليه من ناحيتهم خطر يسوّغ له (صلى الله عليه وآله) أن يمسك عن التبليغ أو يؤخره إلى حين فيبلغ الأمر إلى حيث يحتاج إلى أنن يعده الله بالعصمة منهم إن بلغ ما أمر به فيهم حتى في أوائل هجرته (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة وعنده حدة اليهود وشدتهم حتى انتهى إلى وقائع خيبر وغيرها))(٥٠).

وقد تعدد الآراء في ذكر سبب نزول هذه الآية حتى عدّ الرازي عشرة أقوال في نزولها منها إنها نزلت في فضل علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وحين نزلت هذه الآية أخذ الرسول (صلى الله عليه وآله) بيده وقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه الله والِ من والاه وعادِ من عاداه) فلقيه

عمر بن الخطاب فقال: هنيئا لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي (٥١).

وعلى الرغم من تعدد الآراء في نزولها فإن الرازي يختار رأيا ضعيفا لا ينسجم مع سياق الآية بما تحمله من تحذير لم يسبق له مثيل، بل لا يمكن أن يستقيم هذا التفسير مع السياق الذي يضعها فيه فيقول((واعلم أن هذه الروايات وإن كثرت إلا أن الأولى حمله على أن الله تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى، وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم، وذلك لأن ما قبل هذه الآية بكثير وما بعدها بكثير؛ لما كان كلاما مع اليهود والنصارى، امتنع إلقاء هذه الآية الواحدة في البين على وجه تكون أجنبية عما قبلها وما بعدها)) (٥٢).

ونلاحظ هنا أن الفخر الرازي يتجاهل تماما أنه لم يكن قد بقي في تلك الفترة وجود لليهود في شبه جزيرة العرب، بعد حوادث بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع وخيبر وفدك ونجران، ولم يكن هناك وجود للنصارى وحتى نصارى الحبشة كانوا قد دفعوا الجزية بعد يوم المباهلة.

ويوافق الرازي في الرأي محمد رشيد رضا فيرى أن ((الوصية بالخلافة لا مناسبة لها في سياق محاجة أهل الكتاب، فهي مما لا ترضاه بلاغة القرآن)) (٥٣)، ويؤكد هذا الرأي دروزة بقوله ((وما سبق الآية وما لحقها يسوغان الجزم بأنها جزء من موضوع السياق المتصل بالنهي عن موالاة أهل الكتاب ولومهم؛ لأنهم لم يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل

على رسول الله صلى الله عليه وآله)) (٥٤).

والحقيقة التي نذهب إليها إنه من غير الممكن أن يكون وجود هذه الآية وفق سياق آيات أخرى يخرجها عن معناها الحقيقي خاصة وأننا نعرف تماما أن جمع القرآن الكريم لم يكن وفق ترتيب النزول على الإطلاق، وهنا يمكن ملاحظة قصدية النص القرآني في وضع الآية مع آيات ليست من جنسها في المعنى لتحقيق غاية مقصودة وهي المحافظة على معنى الآية وذلك من خلال كسر توقع المتلقي بالسياق الجديد والالتفات الحاصل في الخطاب ليحثه ذلك على البحث عن المعنى الخاص بهذا الآية. إذ إن لهذه الآية نفسا خاصا يميزها عمّا قبلها وعمّا بعدها من آيات، إنها تتوجه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وحده وتبيّن له واجبه، فهي تبدأ بمخاطبة الرسول (يا أيها الرسول) وتأمره بكل جلاء ووضوح أن (بلغ ما أنزل إليك من ربك) ثم لكي يكون التوكيد أشد وأقوى تحذره وتقول (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) ثم تطمئن الآية الرسول صلى الله عليه وآله وكأن أمرا يقلقه وتطلب منه أن يهدئ من روعه وأن لا يخشى الناس فيقول له: والله يعصمك من الناس (٥٥).

وفي ختام الآية إنذار وتهديد بمعاقبة الذين ينكرون هذه الرسالة ثم يقول: أسلوب هذه الآية ولحنها الخاص وتكرر توكيداتها وكذلك ابتداؤها بمخاطبة الرسول يا أيها الرسول التي لم ترد في القرآن الكريم سوى مرتين، وتهديده بأن عدم تبليغ هذه الرسالة الخاصة إنما هو تقصير وهذا لم يرد إلا في هذه الآية وحدها، كل ذلك يدل على أن الكلام

يدور حول أمر مهم جدا بحيث أن عدم تبليغه يعتبر عدم تبليغ للرسالة كلها (٥٦).

ولأن الكفاءة الإعلامية لهذه الآية مرتفعة فيحتاج المتلقي إلى البحث عن مخفضات خارجية لأن المخفضات التقدمية والتراجعية غير منسجمة مع مضمون الآية إذ لا يمكن أن يكون الأمر بالتبليغ مما يخص التوحيد والشرك وتحطيم الأصنام، وهو مما أنهاه الرسول صلى الله عليه وآله قبل ذلك بسنوات، ولا يمكن أن يتعلق بالأحكام والقوانين الإسلامية التي سبق نزولها ذلك الوقت، وليس مما له صلة بشأن المنافقين لأنهم طردوا من المجتمع الإسلامي بعد فتح مكة وامتداد نفوذ المسلمين وسيطرتهم على أرجاء الجزيرة العربية وهي مخفضات سياقية اختارها بعض المفسرين الذين رفضوا أن تكون هذه الآية خاصة بتبليغ أمر الولاية، وخير المخفضات الخارجية هي أسباب النزول إذ وردت نصوص كثيرة تؤكد أن نزول هذه الآية قطعا في أواخر حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله (٥٧)، في حادثة الغدير عندما أمره بالتبليغ بولاية علي عليه السلام (٥٨).

وبذلك يكون غير المعتاد (غير المتوقع) هو المسؤول عن المفاجأة، التي تساعد المتلقي على التواصل مع النص، والحرص على استبصار مكوناته، لأن كسر التوقع إنما جاء نتيجة للطارئ المبتدع، وليس للعادي المألوف (المتوقع من النفس) لأن النفس ((إذا أنست بالمعتاد فربما قل تأثرها له، وغير المعتاد يفجؤها، بما لم يكن به له استئناس قط))(٥٩).

وقد تبين من كل ما تقدم أن وضع الآيتين الخاصتين بحادثة الغدير في سياق آيات غريبة عنها وليست من جنسها يعد أمرا مقصودا يحقق عملية التواصل مع المتلقي في أقصى حالته لأنه سيزيد من كسر أفق توقعه ويشعره بغرابة السياق حتى يبحث عن المعنى المنشود وللأمر غاية أخرى إذ لو وضعت هذه الآيتين مع أي آيات أخرى لأولت تأويلا يخرج الآية عن مرادها كما حدث مع هاتين الآيتين عند بعض المفسرين.

الهوامش

١- ظ: ظاهرة التلقي في الأدب، محمد علي الكردي، مجلة علامات في النقد، المجلد ٨، ج٣٢، ١٩٩٩م، ٢١.

٢- ظ: فعل القراءة - نظرية جمالية التجاوب (في الأدب) فولفغانغ آيزر، ترجمة د. حميد لحمداني، د. الجلالي الكدية٢١.

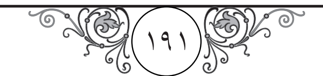
٣- معجم مصطلحات علم النفس، عربي، فرنسي، انكليزي، إعداد د. عبد المجيد سالمي، د. نور الدين خالد، ٨٢.

٤- ظ: بحوث في القراءة والتلقي، مجموعة من الباحثين، ترجمة محمد خير البقاعي ٣٥.

٥- ظ: مفاتيح الألسنية، جورج مونان، ترجمة الطيب البكوش ١٣٤- ١٣٦.

٦- ظ: اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي:د. شكري محمد عياد ٨١.

٧- فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب (في الأدب) فولفغانغ آيزر:



ترجمة د. حميد لحمداني، د. الجلالي الكدية ٩٤.

٨- ظ: جماليات الأسلوب والتلقي، د. موسى ربابعة ١٢٩.

٩- قراءة في القراءة، رشيد بنحدو، مجلة الفكر العربي المعاصر، مج١، ع٤٨، ١٩٨٨م، ٢١.

١٠- ظ: جماليات التلقي- دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت ياوس وفولفجانج آيزر، د. سامي إسماعيل ٩٥.

١١- جماليات الأسلوب والتلقي ٩٣.

١٢- ظ: نظرية اللغة الأدبية، خوسيه ايفانكوس، ترجمة حامد أبو أحمد ١٢١.

١٣- ظ: جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانس روبرت ياوس، ترجمة رشيد بنحدو ١٢٩.

١٤- ظ: علم الأسلوب مبادؤه وإجراءاته د. صلاح فضل ١٩٤-١٩٥.

١٥- نظرية التلقي والأسلوبية منهاج التقابل الدلالي والصوتي، محمد رضا مبارك، عالم الفكر، ع١، ٢٠٠٤م، ٧٤.

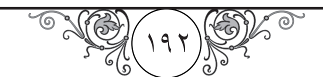
١٦- م. ن ٧٥.

١٧- ظ: الشعرية اللسانية والشعرية الأسلوبية، محمد القاسمي، مجلة فكر ونقد، ع٥٨، شبكة المعلومات، www. aleflam. net.

١٨- م. ن ٩.

١٩- ظ: نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل ٣٧٠.

٢٠- معايير تحليل الأسلوب، ميخائيل ريفاتير، ترجمة د. حميد الحمداني



٥٦.

٢١- ظ: النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن، ترجمة سعيد الغانمي ١٦٤-١٦٥.

٢٢- ظ: نظرية التلقي (مقدمة نقدية)، روبرت هولب، ترجمة د. عز الدين إسماعيل ٢١٥.

٢٣- ظ: م. ن ٢١٥.

٢٤- ظ: م. ن ٢١٥.

٢٥- ظ: جماليات الأسلوب والتلقي ٨٩-٩١.

٢٦- مدخل الى علم اللغة النصي فولفانجهاينه، تر، فالح بن شبيب العجمي ٨٠.

٢٧- علم لغة النص - المفاهيم والاتجاهات ١٤٦.

٢٨- ظ: مدخل إلى علم اللغة النصي٩٤.

٢٩- ظ:في الدراسات العربية المعاصرة- دراسات ومثاقفات، سعد مصلوح ٢٣٣-٢٣٤.

٣٠- م. ن ٢٣٤.

٣١- ظ: الإبلاغية فرع من الألسنية ينتمي إلى علم أساليب اللغة د. عفيف دمشقية، مجلة الفكر العربي ع٨-٩، ١٩٧٩م، ٢٠٦.

٣٢- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي ٥/ ١٧٠

٣٣- ظ: التفسير الكبير ٥/ ٤٦٦.

٣٤- ظ: جامع البيان في تفسير القرآن ٢/ ١٥٩



٣٥- ظ: التفسير الكبير ٥/ ٤٦٦.

٣٦- الميزان ٥/ ١٧١

٣٧- ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢/ ١٥٩

٣٨- ظ: النص والخطاب والإجراء٢٥٥-٢٥٦.

٣٩- ظ: التفسير الكبير ١١/ ١٠٧- ١٠٨ وتفسير الطبري ٦/ ٦٠-٦٣ والكشاف١/ ٦٣٩

٤٠- ظ: جامع البيان عن تأويل آي القران، الطبري ٩/ ٥١٦.

٤١- ظ: م. ن ٩/ ٥٢٤.

٤٢- ظ: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي ٥/ ١٧٤.

٤٣- ظ: م. ن ٥/ ١٧٤.

٤٤- ظ: م. ن ٥/ ١٧٥

٤٥- م. ن ٥/ ١٨٠.

٤٦- ظ: ٥/ ١٨٠

٤٧- ظ: الأمثل ٣/ ٣٥٦- ٣٥٧

٤٨- ظ: الأمثل ٣/ ٣٥٥

٤٩- ظ: الأمثل ٣/ ٣٥٦-٣٥٧

٥٠- الميزان ٦/ ٤٣

٥١-(ظ: التفسير الكبير، الرازي٦ / ١١٣ وظ: تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ٣٢ وظ: فتح البيان في مقاصد القرآن ٤/ ١٩ وظ: الكشف والبيان للثعلبي٥/ ١٣١وظ: المنار، محمد رشيد رضا ٦/ ٣٨٤ وظ: فتح القدير



٢/ ٣٣٦

٥٢- التفسير الكبير، ٤/ ٤٠١

٥٣- المنار ٦/ ٤٦٧

٥٤- التفسير الحديث ١١/ ١٥١

٥٥- تفسير الأمثل ٤/ ٨٣

٥٦- م. ن ٤/ ٨٣

٥٧- م. ن ٤/

٥٨- ظ: الأمالي للجرجاني١/ ١٩١، و ظ: الشهرستاني في الملل والنحل١/ ١٦١، وظ: مختصر تاريخ دمشق ٥/ ٣٩٤ وظ: غرائب القرآن للنيسابوري٢/ ٦١٦وظ: الدر المنثور ٣ / ١١٧ وظ: روح المعاني ٦/ ١٩٣

٥٩- منهاج البلغاء ٩٦.



الغدير في ملاحم الشعر المسيحي قراءة تداولية

أ. م. د. آلاء محمد لازم محمد الغراوي

المقدمة:

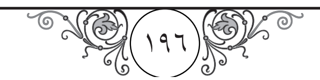
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده.

وبعد...

ظلت الملحمة على مرِّ الزمان محافظة على تألقها، وسحرها، باسطة سلطتها على نفوسِ المتلقين وعقولِهم، كونها تحمل تراثاً فنياً متنوع الرؤى، متعدد التأثير تتجاوز ذات مبدعها لتحلق في فضاءٍ إنساني رحبٍ، يجدُ فيه المتلقي ما يستجيب لأُفق انتظاره، ويحرك مشاعره، مغرياً عقله، وفكره للتأمل، والتدبر، والتساؤل الطامح إلى بلوغ دلالاتها ومقاصد مبدعها.

ويمكن إدراك ذلك إذا تتبعنا النماذج الشعرية من الملاحم القديمة، والحديثة نجد أنَّ الشعراءَ يتخذون من (الدلالة والصورة والموسيقى) وسائط لبناء فنهم، يتوسلون بها ليصوغوا تجاربهم، ويكشفوا عن رؤاهم، ويحاولون التأثير والإقناع.

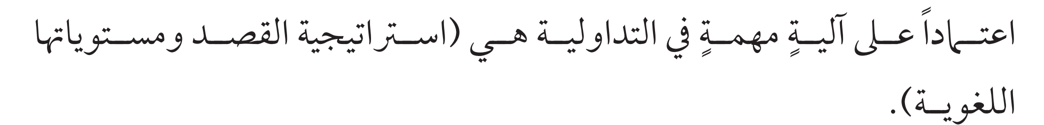
من هنا جاء اختيارنا ملاحم الشعر العربي موضوعاً للدراسة، آملاً أن أَسُدَّ بعض ما شعرت به من إهمال الدراسات لهذا النموذج المتنوع الثري من النصوص، أمَّا المتن الذي اخترته للدراسة في الشق التطبيقي تمثل بملاحم الشعر المسيحي لثلاثة شعراء هم: بولس سلامة، وجورج



شكور، وعبد المسيح أنطاكي، لسببين رئيسين: الأَوّل لأنَّ الملاحم تشكل مادةً شعريةً ثريةً، ومهمةً لم يُسلط عليها الضوء، ولم تقدم عنها دراسات أدبية تُبرز مكامن الإبداع المتجسد بين ثنايا اللغة، والدلالة، والصورة، والثاني كشف رؤيا الشعراء المسيح تجاه أهل البيت عليهم السلام، وتأثرهم ببلاغة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وأخلاقهم وما شَكَّلَه يوم الغدير من مفرقٍ مهم في الحياةِ الإنسانيةِ عامةً.

وفي تقديري أنَّ هذا الموضوع لا توجد فيه دراسة شاملة وكافية، إلَّا إذا تم الانطلاق من مفردات العنوان، وضبط مدلوله، وتحديد مفرداته، متخذين من آليات النظرية التداولية منطلقاً للتعمق في دلالاتها، ومقاصدها، وحقيقة الوظائف التي تؤديها اللغة فيها، وأهدافها التواصلية من خلال التركيز على بنية اللغة، والوظائف الأساسية التي تؤديها باعتباره خطاباً لا يتجسد إلَّا عبر اللغة كونها العصب في إحداث التواصل بين المبدع والمتلقي.

لذلك قسمنا الدراسة على محاور عدةٍ: المحور الأَوّل تناولنا فيه مصطلح الملحمة وتتبعه في الدراسات اللغوية، والنقدية حتى تخرج بتعريفٍ شاملٍ يكون قادراً على استيعاب كلِّ المفاهيم، واستثمارها، لإعطاء مصطلح الملحمة التعريف الدقيق الذي يحدد طبيعته ومكوناته، والمحور الثاني خصصناه في الحديث عن التداولية منطلقاً للقراءة، والمحور الثالث الدراسة التطبيقية لكي نبرز بشكلٍ جلي مكامنَ الإبداع في ملاحم الشعر التي اتخذت من فكرة يوم الغدير ووظفتها بقوةٍ للتأثير والإقناع، وذلك



اعتماداً على آليةٍ مهمةٍ في التداولية هي (استراتيجية القصد ومستوياتها اللغوية).

مع خاتمة وثبت المصادر والمراجع.

لذة البحث تكمن في تتبع خيوط الفكرة، وهي تنمو وتتطور، وتتزايد المتعة مع كلِّ تحليل لنصٍّ شعريٍّ زاخرٍ بالحبِّ والعرفانِ لآل البيت عليهم السلام سفينة النجاة.

المحور الأوّل:

الملاحم لغةً واصطلاحاً:

الملحمة في اللغة: تعني تلاحمُ الناس، وتداخلهم بعضهم في بعض، والملحمة الوقعة العظيمة القتل، وهي موضع القتال، وألحَمْت القوم حتى صاروا لحماً، وألحِمَ الرجل إلحاماً واستُلحِم إذا نشب في الحرب فلم يجد مُخْلصاً، والجمع الملاحم مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك الثوب بالسَّدى... وقيل هي اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها، والملحمة الحربُ ذات القتل الشديد، والوقعة العظيمة في الفتنة[1].

أمّا الملحمة في الاصطلاح الأدبي تعني نوعاً خاصاً من الشعر القصصي

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، قم ١٤٠٤هـ: ٥/ ٢٣٨. وينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، نسقه ووضع فهارسه علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ - ١٩٨٨م: ١٢/ ٢٥٤.

البطولي الذي لم تعرفْ العربية شبيهاً له، من حيث البناء القصصي المكتمل، ومن حيث الحجم العددي للآبيات الشعرية التي تبلغ الآلاف، ومن حيث الشخصيات التي تسمو فوق المستوى العادي للناس الأسوياء، وتتصف بما هو من سمات الأبطال الأسطوريين، ومن سمات الآلهة، أو أنصاف الآلهة، وفي المعتقدات الوثنية البدائية ومن حيث الوقائع، والأحداث الخارقة التي تتخللها، والوقائع الحربية التي يخوض الأَبطال الملحميون غمارها، والمأثر الخارقة التي يحققونها، إذ تدخل في صميمِ الصراع الوطني والقومي، دفاعاً عن حقٍّ مغتصب، وفي سبيل أنْ تحيا الأُمَّة التي يمثلونها بحريةٍ وكرامةٍ[1].

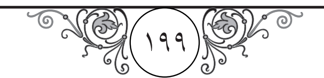
وقد قسم النقاد الملحمة على قسمين: ملحمة أدبية، وملحمة شعبية، في الأُولى: يعلن الشاعر في مستهل قصيدته عن موضوعها، ثمَّ يبتهل لربة الشعر، ويذكر القصة وأحداثها، وتتدخل الآلهة في شؤون البشرِ، مستخدماً التشبيهات الطويلة، وأسماء الأبطال، والأشياء المهمة لحياة الأبطال كالأسلحة والسفن، والثانية: يتضح فيها النقل مشافهة، وتكرار السرد الأمر الذي يدلُّ على أنَّها لم تكُ نتاجَ زمنٍ واحدٍ، أو قريحةٍ واحدةٍ[2].

ومن أبرز الملاحم الشعرية التي عرفها التاريخ ملحمة (الإلياذة)

---

(١) ينظر: المعجم المفصل في اللغة والأدب، أميل بديع يعقوب، وميشال عاصي، دار العلم للملايين -بيروت، ط١، ١٩٨٧م: ٢/ ١١٩١.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، وكامل المهندس، مكتبة لبنان - بيروت، ط٢، ١٩٨٤م: ٣٨٣.



للشاعر الإغريقي هوميروس، وهي قصة شعرية طويلة تدور أحداثها حول معارك طاحنة وحروب عظيمة، وأساطير خارقة، وأُمور تنسب بين شعبين متصارعين دفاعاً عن مُثل ومبادئ إنسانية، ويبرز من كلِّ جانبٍ جماعة من القادة، والإبطال الأسطوريين وتدخل الآلهة في حوادثها، ووقائعها الخارقة، وقد أبدع هوميروس في صياغة ملحمته صياغةً فنيةً رائعةً من حيث التسلسل القصصي المتناسق والتوالي المنتظم للأحداث، والتعبير المؤثر عن أغراضه ومراميه[1].

وعلى الرغم من أنَّ للشعر العربي قبل الإسلام مكانة وحظوة، وتأثيراً بالغ الأهمية، إلَّا أنَّهُ لم يكن للفن الملحمي انتشارٌ ملحوظٌ، ولم نجد سوى قصائد، ومقطوعات معدودة ذات نفس ملحميٍّ لا يمكن عدّها من الملاحم المعروفة، وقد علل الباحثون الأمر وعزوا أسباب القلة إلى أُمورٍ عدةٍ منها ضياع الكثير من الشعر قبل عصر التدوين، ومنها خيال الجاهلي الذي لم يتسع للملاحم والقصص الطويلة لانحصاره في بادية متشابهة الصور، محدودة المناظر، ومنها من فسَّر الأمر إلى قلةِ خطرِ الدين في قلوبهم، وقصر نظرهم عمَّا بعد الطبيعة، فلم يلتفتوا إلى أبعد من ذاتهم، ولا إلى عالمٍ غير العالم المنظور؛ لذلك لم تتولد عندهم الأساطير الخصبة، ولم يكُن لأصنامهم من الفن والجمال ما يبعث الوحي في النفوس شأن آلهة الرومان واليونان، وإنَّ مجتمعهم لم يساعدهم على التأمل الطويل، وربط

(١) ينظر: إلياذة هوميروس، سليمان البستاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت: ١/ ١٦٦. وينظر: فن الشعر أرسطو، ترجمه وشرحه: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة – بيروت، ١٩٧٣م، ط٢: ٦٧.

الأفكار وفسح آفاق الخيال لاضطراب حياتهم برحيلٍ مستمرٍ، فجاء نَفَسهم قصيراً كإقامتهم(١).

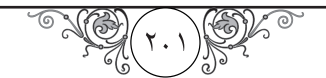
وإذا انتقلنا إلى العصر الإسلامي فإنَّنا نلمس ذلك النفس الشعريَّ الملحميَّ في القصائد الشعرية إبان الغزوات والفتوحات الإسلامية، وقد اشتهرت سبع قصائد طويلة عُرفت بالملحمات، وهي من صنع الفرزدق، وجرير، والأخطل، وعُبيد الراعي، وذي الرمة، والكميت، والطرماح، واستمرت محاولات الشعراء طرق الشعر الملحمي حتى مستهل القرن العشرين، إذ ظهرت الملحمة ملفتة للنظر وبثوبٍ جديدٍ، وبمواضيع متنوعة قلَّما تطرّق إليها الشعراء في العصور السابقة، وردَّ الأُدباء هذه الظاهرة إلى يقظة العرب والتفاتهم إلى أمجاد أسلافهم(٢).

تُعدُّ ملحمة الشاعر أحمد شوقي (دولة العرب وعظماء الإسلام) التي بلغت ١٧٢٦ بيتاً من الملاحم الشعرية الرائعة، ابتدأها من ولادة الرسول العربي الأكرم صلَّى الله عليه وآله إلى آخر الدولة الفاطمية وكتبها أيام نفيه، ونظم الشاعر عامر محمد بحيري ملحمته (أمير الأنبياء) نشرت

---

(١) ينظر: تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٩٧٤م: ٣/ ١٤٤-١٤٥. وينظر: أُدباء العرب في الجاهلية والإسلام، بطرس البستاني، دار نضير عبود - بيروت، ١٩٨٩م: ١/ ٤١-٤٢. وينظر: الشعر الملحمي تاريخه وأعلامه، جورج غريب، دار الثقافة - بيروت: ١٢.

(٢) ينظر: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، حققه وزاد في شرحه علي محمد البجاوي، د.ت: ٦٩٤. وينظر: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، أنيس مقدسي، دار العلم للملايين - بيروت، ط٥، ١٩٧٣م: ٣٩٥.





عام ١٩٥٤م، تناول فيها حياة النبيِّ الكريم صلَّى الله عليه وآله من مولده الشريف إلى استشهاده، وتقع في ألف ومئتي بيتٍ، وكانت على بحر الوافر، والتزم في كلِّ عشرة أبيات روياً واحداً، وكانت له ملحمة أُخرى صوَّر فيها الأحداث السياسية التي مرَّت بها مصر وتقع في ألفين وأربعمئة بيت على البحر الكامل وتعددت فيها القافية. أمَّا شاعرنا الكبير الزهاوي فقد كانت له ملحمة شعرية عنوانها (ثورة في الجحيم) تناول فيها حياته بعد الموت وكيف يُسأل في القبر ثمَّ يصف أخذه إلى الجحيم، ووصف الصراط. وهناك مطولات وملاحم كثيرة منها قصيدة الرصافي في نكبة بغداد وقصيدة سامي البارودي في مدح الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله، وكذلك قصيدة عبد الرزاق الهاشمي صوّر فيها بطولات الثوّار وشجاعتهم في ثورة العشرين المباركة، وللشاعر أيوب عباس ملحمة تناول فيها أحداث قيام الجمهورية العراقية وسقوط الملكية، وملحمة (الحرب المقدسة) للشاعر محمود محمد صادق صوّر فيها حرب فلسطين وغيرها، وللشيخ عبد المنعم الفرطوسي (ملحمة أهل البيت عليهم السلام) وهي موسوعة ضخمة ودائرة معارف كبرى تضم بين دفتيها ألواناً من المعارف الإسلامية الغنية بالمضامين العقائدية، والتاريخية، والفلسفية، والتربوية، وتجلت عبقرية الشيخ الفرطوسي في قدرته الفائقة على جمع، عشرات المواضيع المختلفة وتنسيقها وصبِّها في قالبٍ شعريٍّ جميلٍ وأُسلوبٍ أدبي رائع يمكّن القارئ من استيعابها بسهولة[1].

---

(١) ينظر: دول العرب وعظماء الإسلام، أحمد شوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

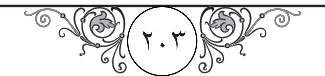


ملاحم الشعر المسيحي:

الشاعرُ المسيحي حين يكتب شعراً في أهل البيت النبويِّ الشريف عليهم السلام، ويتحدّث عن بعض المفردات التاريخية التي تُحرِّك الجدل في كثير من خطوطها العامة والتفصيلية، ليكون له رأيٌ فيها على أساسٍ تاريخيٍّ فكريٍّ.. يفعل ذلك كلَّه في حركة الثقافة في الوجدان، وفي انطلاقة الوجدان في الشعر، قد يكون شيئاً لا يتقبّله بعض الناس الذين اعتادوا أن يكون التاريخ الإسلامي خصوصيّةً للمسلمين، والتاريخ المسيحي خصوصيّةً للمسيحيين، فليس لأيّ مسيحيٍّ أنْ يعالج شأناً إسلامياً في قضايا الفكر ووقائع التاريخ، وليس لأيّ مسلم أن يمارس ذلك أيضاً في الشأن المسيحي، ولكنَّ المسيحيَّ قد يعيش الإسلام حضارةً، وروحاً، وحركةً وإنسانيّة، إذا لم يَعِشه في حالة انتماء، وقد يعيش المسلم المسيحية في عناصرها القيمية الأصيلة رسالةً يؤمن بها ويلتزمها ويخشع لها في شخصية السيّد المسيح، الرسول الإنسان الذي هو رُوح الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم، السيدة الطاهرة التي اصطفاها الله على نساء العالمين، إنّ الحقيقة لا حدود لها في الإنسان الفكر في حركتها الفكرية، وفي الإنسان الروح في امتدادها الروحي، والمعرفة إرث الإنسانيّة، في كلّ عطاءات الحياة المثقفة في ساحة الحوار وحركيّة الصراع[1].

٢٠١٢. وينظر: أمير الأنبياء، عامر محمد بحيري، مطبعة العلوم - القاهرة، ١٩٥٤م.
وينظر: ملحمة أهل البيت، عبد المنعم الفرطوسي، مؤسسة أهل البيت، لبنان - بيروت.

(١) ينظر: أهل البيت في الشعر المسيحي http://arabic. al-shia. org



إنّنا نتصوّر أنّ للمسيحي الحقَّ في أنْ يبحث القضايا الإسلامية التي يملك عناصرها المعرفية، فيعطي رأياً هنا وموقفاً هناك ممّا يمكن للآخرين أنْ يناقشوه فيه من دون عقدة، وللمسلم الحقّ في أنْ يبحث القضايا المسيحية ليحدد اتّجاه الرأي فيه، ممّا قد يتحرك الرأي الآخر نحوه في عملية مناقشةٍ وحوار. يقول الشاعر بولس سلامة:

ورُبَّ معترضٍ قال: ما بال هذا المسيحي يتصدى لملحمة إسلامية بحتة؟

أجَل، إنّني مسيحيّ، ولكنّ التاريخ مشاع للعالمين.

أجل إنّي مسيحيٌّ ينظر من أُفق رحب لا من كُوّةٍ ضيّقة، فيرى في غاندي الوثنيّ قدّيساً، مسيحي يرى (الخَلق كلّهم عيال الله)، ويرى أنْ (لا فضلَ لعربيٍّ على أعجميٍّ إلّا بالتقوى).

مسيحيٌّ ينحني أمام عظمة رجلٍ يهتف باسمه مئاتُ الملايين من الناس [أي النبيّ المصطفى صلّى الله عليه وآله]، رجلٍ ليس في مواليد حواء أعظمُ منه شأناً، وأبعد أثَراً، وأخلد ذِكراً، رجلٍ أطلّ من غياهب الجاهلية فأطلت معه دنيا أظلَّها بلواءٍ مجيد، كُتب عليه بأحرف من نور: لا إله إلّا الله! الله أكبر!

قد يقول قائل: ولِمَ آثرتَ عليّاً عليه السلام دون سواه من أصحاب محمّدٍ صلّى الله عليه وآله بهذه الملحمة؟

ولا أجيب عن هذا السؤال بكلمات، فالملحمة كلّها جواب عليه، وسترى في سياقها بعض عظمة الرجل الذي يذكره المسلمون فيقولون:

(رضيَ الله عنـه، وكـرّم الله وجهَـه، وعليـه السـلام)، ويذكـره النصـارى في مجالسـهم فيتمثّلـون بحِكَمـه ويخشـعون لتقـواه، ويتمثّـل بـه الزهّـاد في الصوامع فيـزدادون زهـداً وقُنوتـاً، وينظـر إليـه المفكّـر فيستضيء بهـذا القطـب الوضّـاء، ويتطلـع إليـه الكاتـب الألمعـيّ فيأتـمّ ببيانـه، ويعتمـده الفقيـه المـدرك فيسترشـد بأحكامـه[1].

ويطالعنـا الأدب العـربي بقائمـة كبـيرة مـن قاماتـه السـامقة مـن الشـعراء والأدبـاء المسـيحيين الذيـن اسـتلهموا مـن يـوم الغديـر الـروح الإنسـانية الكبـيرة، فكتـب الشـاعر اللبنـاني بولـس سـلامة ملحمـة (الغديـر) التـي تبلـغ أكثـر مـن ثلاثـة آلاف بيـت، كـما كتـب ملحمـة (عـلي والحسـين) التـي تبلـغ (٢٢٠) بيتـاً، وكتـب عبـد المسـيح أنطاكـي (الملحمـة العلويـة) التـي تبلـغ (٥٥٩٥) بيتـاً، وكتـب ريمـون قسـيس ملحمـة (الحسـين) التـي تبلـغ أكثـر مـن مائـة بيـت، وكتـب جـورج شـكور وهـو شـاعر مسـيحي ولـد في قريـة شـيخان قضـاء جبيـل ولـه ملحمـة اسـمها (الحسـين)، وكتـب ريمـون قسـيس وهـو شـاعر مسـيحي ولـد في زحلـة بلبنـان درس في الكليـة الشرقيـة ومـارس التدريـس والعمـل الإداري في دائـرة التربيـة الوطنيـة، وتعـدُّ ملحمته (الحسـين) التـي تبلـغ (١١٥) بيتـاً عـلى وزن واحـد وقافيـة واحـدة إشراقـة روح شـاعر تفجـرت فيهـا المشـاعر معبّقـة بدمـاء كربـلاء.

المحور الثاني:

---

(١) ينظر: الإمام علي عليه السلام في عيون الشاعر بولس سلامة، ناجي بن داوود الحرز، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ٢٠٠٥م: ١١.



التداولية منطلقاً للقراءة:

كانت لبلاغة شعراء الملاحم المسيح الدور الأكبر في استثمار قواميس اللغة التي تولدت منها لغة ملاحمهم الشعرية، والتي تراوحت بين السهولة، والبساطة أحياناً وبين القوة، والإيحاء أحياناً أُخرى، وذلك بحسب الظروف، والسياق الذي أُنتجت فيه ومنه، فاللغة كانت وسيلة فعالة في التأثير، والإقناع، والهدف في نجاح عملية التواصل، من خلال استثمار الشعراء لواقعة الغدير، ونسج خطابٍ شعريٍّ يحمل قابلية التوجيه والتأثير.

وكانت هناك تساؤلات عدّة طرحت نفسها أثناء قراءتنا... فيها:

كيف أسهمت اللغة والدلالة في تحقيق فعل التواصل؟

ما علاقة الوظائف اللغوية والاستعمال؟

ما الكفاءات اللغوية التي استند عليها الشعراء في تحقيق مقاصدهم؟

ما مدى تفاعل المتلقي مع هذه المقاصد؟

هل للسياق دور في تحقيق فعل التواصل؟

ما الوسائل والأدوات الإجرائية التي توخاها الشعراء في تحقيق هدف الإقناع والتأثير؟

للإجابة عن هذه التساؤلات كان لا بُدَّ من منطلق لتوضيح منهج القراءة التداولي.

تعطي التداولية أهمية بارزة لأقطاب العملية التواصلية اللسانية، وهي بذلك تعكس المسار في اتجاه أغلب المناهج النقدية في بحثها عن (مقاصد

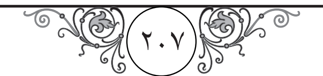
المتكلـم) كونــه عنـصراً فعــالاً في عمليــة التواصــل، وأعطــت للظــروف السـياقية أهميــة كبـيرة كونهـا تعمـل بشـكلٍ مباشرٍ في تأديـة مقاصـد المتكلـم، كـما ووضّحـت دور المتلقـي في اسـتغلال الظـروف السـياقية للوصـول إلى تلـك المقاصـد.

التداوليــة تيــار نشــأ بامتــزاج، وتقاطــع مجموعــة كبــيرة مــن الأفــكار والنظريــات، تتفــق في الطابــع الاســتعمالي للغــة، تعــددت تعاريفهــا بحســب الفائـدة التـي تقدمهـا، فهـي تهتـم بمقاصـد المتكلـمِ، والبحـث في أغـوارِ معـاني الـكلام، ومحاولــة اكتشــاف الأغــراض التــي يريدهــا المرســل مــن رســالته.

وبحسـب التنـوع في الفائـدة تنوعـت ترجمـة مصطلحهـا إلى العربيـة فسـميت بالتبادليـة، والاتصاليـة، والنفعيـة، والذرائعيـة؛ لتكـون فرعـاً مـن فـروعِ اللغـةِ يبحـث في كيفيـة اكتشـاف السـامع مقاصـد المتكلـم أو دراسـة معنـى المتكلم(١).

اهتـم الدارسـون بأثـر تفاعـل اللغـة مـع الظـروف، والمقامـات في المجتمـع وكيفيــة اســتعمال آليــات اللغــة في النظــام الاجتماعــي، وتعنــى التداوليــة بالاسـتعمال العـادي للغـة مـن خـلال العنـاصر الثلاثـة (المتكلمـون - السـياق - الاسـتعمالات العاديـة للـكلام)، إذ تهتـم بالمتكلـم، والسـامع مشـاركاً في فعـل الـكلام والحـدث التواصـلي، وتهتـم بظـروف الـكلام ومقـام الحـال، وكلّ مـا لـه صلـة بالـكلام مـن عوامـل خارجيـة، أو تناسـب حـال مـن الأحـوال،

(١) ينظر: المقابلة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ت: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي: ٤٩-٥٢. ودليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي وسعد البازغي، المركز الثقافي العربي، ط٢، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م: ١٠٢. والمدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة - مصر، ٢٠٠٤م: ١٦٥.



أو تنافر للحدث الكلامي، وتهتم بالسياقات اللغوية للمتكلمين حسب الواقع اللغوي، فتبحث في الكيفية الخطابية لتستنتج من كلِّ ذلك مقاصد الخطاب، فهي تعنى بدراسة اللغة في الاستعمال(١).

تعطي التداولية للسياق دوراً بارزاً في العملية التواصلية، والسياق هو مجموعة شروط إنتاج القول، وهذه الشروط خارجية عن القول ذاته، فالقول وليد مقصد معين يستمد وجوده من شخصية المتكلم، ومستمعيه، ويحصل كلُّ ذلك في وسطٍ معين (مكان)، وفي لحظة معينة (زمان)، ويصب اهتمامها بدراسة العلاقة بين اللغة والسياق، والمتكلم، والسامع، والظروف المكانية والزمانية، ومقاصد المتكلم، وظروفه، وكيفية وصول الكلام إلى السامعين، والظروف المحيطة بهم، ودراسة العوامل التي تؤثر على اختيار المتكلم للغة وتأثير هذا الاختيار على المتلقي، التداولية تبحث في الحقيقة الفعلية أثناء تناول الظواهر اللغوية وتحليلها في واقعها الحقيقي الذي انبثقت منه، والأبعاد التي تأخذها عند المتلقي في الزمان والمكان(٢).

وهي بذلك لا تُعدُّ علماً لغوياً محضاً، بل هي نظرية لأنَّها تستندُ إلى حقولٍ معرفيةٍ مختلفةٍ، علمٌ جديدٌ للتواصل يَدرُس الظواهر اللغوية في

---

(١) ينظر: مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، ط١، الجزائر، ٢٠٠٠م: ١٨٥.

(٢) التداولية، سحالية عبد الحكيم، مجلة المخبر - أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع٥، مارس ٢٠٠٩م:٤. وإشكالية النص في اللسانيات التداولية، حمو الحاج ذهبية، الجزائر، مجلة سمات: ٤٩. Semat ٣. No. ١ Jan. ٢٠١٥.

مجال الاستعمال متّكئاً على مشاريعَ معرفيةٍ متعددةٍ في دراسة الظواهر في مستوياتها المتداخلة كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج، والفهم اللغويين، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال؛ لذلك فهي تستند على الفلسفة التحليلية ممثلة بفلسفة اللغة العادية، وعلم النفس المعرفي، ممثلاً في نظرية الملائمة على الخصوص، وعلم التواصل واللسانيات[(١)].

ونتيجة هذا التعالق أضحى للتداولية مهام تميزها منها:

١- دراسة اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة أي كونها (كلاماً محدداً) صادراً من (متكلمٍ محددٍ) موجه إلى (مخاطبٍ محددٍ) بـ (لفظٍ محددٍ) في (مقامٍ تواصلي محددٍ) لتحقيق (غرضٍ تواصلي محددٍ).

٢- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

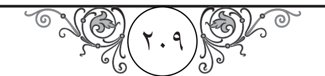
٣- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشرِ وغير الحرفي على التواصلِ الحرفي المباشرِ.

٤- شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرف في معالجة الملفوظات[(٢)].

تهتم التداولية بالاستخدام اللغوي وأثره في بناء النص الشعري؛ لذلك ارتسمت في الذهن جملة من الافتراضات المسبقة أفضت إلى ولادة مجموعة من الأسئلة حاولنا الإجابة عنها من خلال قراءة المنهج وتطبيق آلياته

(١) ينظر: التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م: ١٦.

(٢) ينظر: م. ن: ٢٦-٢٧.



الإجرائية على نصوص مختارة من الشعر الملحمي لمجموعة من الشعراء المسيح الذين استثمروا معطيات يوم الغدير في بناء نصٍّ شعري ملحمي له قابلية التوجيه والتأثير، لتكون القراءة ذاتَ بعدٍ شموليٍّ تحاول إعطاء نتائج أبعد، وأعمق، وتحليلها على وفق إجراءات النظرية التداولية لنبين القدرة، والكفاءة اللغوية والإبداعية التي ملكها الشعراء، وطريقتهم في استخدام اللغة كوسيلةٍ توصيليةٍ ذات أبعاد دلالية عميقة الغور لكشف ستار الحجب عن جملة من المقومات التي بنيت الدراسة عليها:

١- النص الشعري الملحمي يحتل جزءاً واسعاً من الفضاء التواصلي يمتد فعله إلى فضاءات تواصلية.

٢- النص الشعري الملحمي يعتمد على الجانب المجازي في اللغة اعتماداً واسعاً، وبذلك يعتمد على بناء الفعل الكلامي غير المباشر، وبذلك يحقق الجانب التداولي منه.

٣- إذا كان إنجاز الفعل في النص الملحمي متعلقاً بالأطراف المتخاطبة ما حدود هذه الأطراف؟

المحور الثالث:

استراتيجيات القصد في الملاحم ومستوياتها اللغوية

الاستراتيجية مجموعة من عمليات المعالجة الموجهة إلى هدف، والجارية عن وعي لإنتاج أهداف بعيدة المدى، وتقوم على سلسلة من عمليات اختبار القرار واتخاذه. توضع من خلالها خطوات العمل ووسائل التنفيذ

وصولاً إلى تحقيق الأهداف عبر طرقٍ محددةٍ تتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمةٍ من المهامِ، أو هي مجموعة من عمليات تهدف إلى بلوغِ غاياتٍ معينةٍ أو تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددةٍ، والتحكم بها. ويمكن القول إنَّها خطة تهدف إلى الوصول إلى الغرض المنشود وهذه الخطة تكون ذات بعدين: الأول: تخطيطي يتحقق على المستوى الذهني، والآخر: مادي ممثل بتجسيد الاستراتيجية، ويرتكز العمل في البعدين على الفاعل الرئيس (مخطط الاستراتيجية ومنفذها) الذي يخطط ويختار الإمكانات ليضمن الوصول إلى تحقيق الأهداف[١].

وأبرز استراتيجيات القصد في شعر الملاحم هي:

١- الاستراتيجية التضامنية

يحاول أنْ يجسد (المرسِل درجة علاقته بالمرسَل إليه ونوعها، وأنْ يعبّر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالاً هي محاولة التقرب من المرسَل إليه أو تقريبه)[٢].

عبر استعمال اللغة للأغراض الاجتماعية التي يودُّ الأفراد تحقيقها في المجتمع، إذ تقوم اللغة بوظيفة تفاعلية تسهم وبشكلٍ كبيرٍ في إقامة تلك العلاقات الاجتماعية وتثبيتها. إنَّ قدراً كبيراً من المعاملات التي يقوم بها

---

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب في النشيد الوطني، دراسة تداولية، يونسي فضيلة، رسالة ماجستير جامعة مولود معمري تيزي، وزو الجزائر: ٤٣.

(٢) استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م: ٢٥٧.



الناسُ تنهض بها اللغة بالدرجة الأُولى، بوصفها أداة اتصال وتعامل بين الأفراد، سواء أكان التعامل عبر المحادثات اليومية، أم ما يكتب للتعبير عن علاقاتهم كالخطبِ والأشعارِ والسيرِ، وإنَّ استعمال النصوص المكتوبة أكثر تجسيداً لصياغة الوظيفة التعاملية للغة، وهذا ما يمثله الشعر بشكلٍ كبيرٍ في التعبيرِ عن الدور التعاملي، والتفاعلي للغة معاً، يسعى المُخاطِب في تبليغ المعلومات، ووقائع تتصل بالتاريخ والدين والمجتمع، وتقوية العلاقة بينه، وبين المُخاطَب عبر إيجاد وسائل لتدعيم العلاقة، مثل الحالة الاجتماعية والخصائص المشتركة والدين، واشتراك معيار العلاقة بين طرفي الخطاب تسهم في اختيار استراتيجية ملائمة للتعبير عن المقاصد، بما في ذلك نوع العلاقة باعتبارها من العناصر المؤثرة في ذلك الاختيار، وقد تكون هذه العلاقة موجودة سلفاً وإنْ لم تكن موجودة يسعى منتج الخطاب في إيجادها وقد تكون علاقة بُعدٍ وصدٍّ بحسب نوعية المخاطب؛ لأنَّ نوعيته وحالته ومقامه تؤثر في انتقاء طريقة لإنتاج الخطاب(١).

وقد ترجم الشعراء تلك العلاقات الاجتماعية القائمة على الودِّ، والمحبة والاحترام للرسول الكريم، والإمام عليٍّ محوري خطابِ الغدير على وفق ما اقتضاه سياق الخطاب، والعلاقة المباشرة بالمخاطَب مقدمين مرتكزات، ودعائم قوية لتثبيت هذه العلاقة، ورفض شتى سبل انتهاك الدعائم التي تجلّت في افتخارهم بذلك الحبِّ وتلك العلاقة الروحية

(١) ينظر تحليل الخطاب ج ب براون، ج. بوك، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود١٩٩٤م: ٣.

التـي جمعتهـم بالرسـول صـلَّى الله عليـه وآلـه، والإمـام عـليٍّ عليـه السـلام، معززيـن سـبل الحفـاظ عـلى قوتهـا وهيبتهـا، مسـتثمرين كفاءتهـم اللغويـة مـن ألفـاظ وعبـارات لغويـة للدلالـة عـلى علاقتهـم، وتثبيـت أواصرهـا لإحـداث التفاعـل بينهـم وبـين المرسَـل إليـه، وتجلَّى ذلـك بوضـوح في أغلـب الملاحـم التـي تناولـت محـاور يـوم الغديـر مـن الأحـداث والشـخصيات والمـكان والزمـان والحـوار.

إذ يقول جورج شكور من ملحمته الإمام عليّ عليه السلام[1]:

حجَّ الرسُول، فيا ركائبُ سيري　　　حجُّ الـوداعِ، وكـان يـوم غديرِ

وافَـتهُ من شتى الجهات خلائقٌ　　　وفـدت لتشهد روعـة التكبير

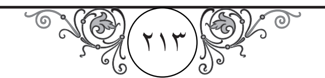
وقـد اسـتعان شـعراؤنا بمجموعـة مـن الأدوات اللغويـة لبناء اسـتراتيجيتهم منها

أ: العلم: (الاسم، الكنية، اللقب):

وهـو اسـتعمال الاسـم الأول للمرسّـل إليـه عنـد ندائـه أو التعبـير عنـه إذا كان المرسِـل أدنـى رتبـة مـن المرسَـل إليـه رغبـة في التعاطـف، إذ إنَّ لهـا قـوة في التضامـن العاطفـي بـين الشـاعر، والمخاطـب، ولـو أحصينـا نصـوص الشـعراء التـي تناولـت يـوم الغديـر ثيمـة موضوعيـة، نلمـح ذكـر كثـيرٍ مـن الأسـماء، والكنـى، والألقـاب ليكـون لهـا الأثـر الكبـير في النفـوس وليعطـي للنصـوص زخمـاً شـعورياً، وتضامنـاً يحقـق التواصـل والتأثـير.

---

(١) ملحمة الإمام علي عليه السلام، شعر جورج شكور، مكتبة الروضة الحيدرية، ط١، ٢٠٠٧م: ٥٩.



كما في قول عبد المسيح أنطاكي[1]:

والمصطفى أَسمع الحجاج خطبته ال   غـرَّا التي كـان للتوديع مُلقيها
وضجت الناس في تلك الربوع فدى   آثـامـهـا ولـقـد تـابـت أضاحيـهـا
أَفـاض أَحمد من حج الـوداعِ ومعه   الـنـاس قـد رجعت تبغي مَثاويها

الفعل المنجز من قبل المرسِل (الشاعر) مدح الرسول الكريم محمّد صلَّى الله عليه - وآله -، وقد عبّر الشاعر -بوصفه مرسِلاً- عن قصده الصريح من خلال ذكر المخاطب الذي هو أعلى منه رتبة، مرة دون كنية بقوله (أحمد)، ومرة بلقبه (المصطفى)، ويعود ذلك إلى حرص الشاعر على تقوية أواصر الحبّ، والاحترام لشخص الرسول الكريم، ويبدو أنَّ السياق النصيَّ للمقطوعة المدحية قد اتكأ على التصريح لإبراز قصد المتكلم والنطق باللقب ليكون مظهراً من مظاهر انسجامه.

أمَّا جورج شكور فقد صرّح بالاسم من بداية النصّ قائلاً[2]:

وعـليُّ مـنـي، مـا عـلي؟ مثلما   أنـا مـنـه، وهـو خليفتي ووزيـري
وسنلتقي، يوماً على الحوض   الـذي كـاسـاتـه مـن فـضَّـة وأثـير
ولـسـوف يـأتـيـهـم عـليُّ مبكراً   في الـوافـديـن وقـبـل كُـلِّ بكيرِ

ويصرح بولس سلامة بالاسم في أكثر من نصٍّ قائلاً[3]:

عيدك العيد يا عليُّ فإن يصمت   حـسـود أو طـامـس لـلـبـدور

---

(١) ملحمة الإمام علي عليه السلام أو القصيدة العلوية المباركة، عبد المسيح أنطاكي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٢، ١٩٩١م: ٢١٢.

(٢) ملحمة الإمام علي عليه السلام، جورج شكور: ٦٣.

(٣) عيد الغدير أول ملحمة عربية، بولس سلامة، مطبعة النسر، بيروت، ١٩٤٩م: ١٣١.

تكرار الاسم الصريح أصبح استعماله في النص تداولياً دليلاً على التضامن بشرط تلفظ المرسِل به بالتنغيم على المستوى بشكلٍ مناسبٍ للسياق والمعنى والقصد.

ب: المكاشفة:

يُعدُّ الكشف عن القصد عنصراً مهماً للتضامن، ودليلاً عن القرب، والاطلاع على الأشياء العامة، وكشف أدق الخصوصيات فصراحة القصد مع المرسَل إليه دليل على الثقة فيه، وأنَّه سيتضامن مع القصد[1]، وقد استثمر الشعراء هذه الاستراتيجية كثيراً في نصوصهم كما في قول عبد المسيح أنطاكي[2]:

فقال أَحمد: هلا تشهدون بأن	الله ذاري البرايا وهو مفنيها
وإنَّني لرسول الله جئتكُم	بمنزلِ الآي والرحمن مُوحيها
وإنَّ جنتهُ حقٌّ وحشركم	حقٌّ ونيرانه حقٌّ يُلظيها
قالوا بلى شهدنا قال أحمد: يا	رباه فاشهد ووالي القول تجريها
وقال: هلا أنا أولى وأجدر من	نُفُوسكم بكم هل توهبونيها
قالوا: نعم بلسانٍ واحدٍ ومحمدٌ	إجابتهم ذي راح راضيها
ومال للمرتضى الثاوي بجانبه	وكان يمسك يمناه ويعليها
وقال: من كنت مولاه عليٌّ له	مولى ورغباي ذي بالجهر أبديها

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٣٠٢.

(٢) ملحمة الإمام علي عليه السلام أو القصيدة العلوية المباركة: ٢١٤-٢١٥. وينظر ملحمة الإمام علي عليه السلام، جورج شكور: ٦٢.

ثم توجه لله القدير بوجهه ... وأصحابه تُصغي لهاديها
وقال: لا هَمَّ من والى عَليكَ ... واله وأعداؤه أنت المعاديها

في العملية التخاطبية الجارية داخل النص نجد المرسِل يفصح، ويكشف بكلِّ ما بداخله للمرسَل إليه أو مجموعة المرسلين (قالوا)، إذ يعكس التصريح بالقصد تفاعل الشاعر مع مضامين القضية، والتصديق بها ممَّا دفع به إلى استثمار هذه الاستراتيجية التضامنية لبيان قصده والإخبار به.

٢-الاستراتيجية التوجيهية:

يهدف المرسل تبليغ قصده من وراء الخطاب عبر هذه الاستراتيجية وأن يفرض قيداً على المرسَل إليه وإنْ كان قيداً بسيطاً، وأنْ يمارس فضولاً خطابياً عليه وتوجيهه لمصلحته بنفعه، وإبعاد الضرر عنه، حتى لو أدّى هذا إلى التدخل والضغط على المرسّل إليه الذي يكون هنا على صنفين، الأوّل: المتخيل وهنا يكون المرسِل على معرفة سابقة بالمرسَل إليه، ويتصف خطابه بالعمومية والديمومة والمناسبة لكلِّ زمان، والثاني هو الحاضر عند التلفظ بالخطاب فيكون التوجيه مقتصراً عليه لضيق السياق الذي يدور فيه الخطاب، ويعدُّ التوجيه في الخطاب أكثر من مجرد فعلٍ لغوي حسب تصنيف جاكبسون، إذ يسمي وظيفة التوجيه في اللغة بالإيعازية أو الندائية[1].

---

(١) ينظر: التواصل اللغوي ووظائف اللغة في الألسنية (علم اللغة الحديث قراءة تمهيدية)، رومان جاكبسون، ميشال زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت/ لبنان، ١٩٨٥م: ٥٢.

وفـرت اللغـة مجموعـة مـن الوسـائل اللغويـة التـي اعتمدهـا الشـعراء لتوجيـه خطابهـم وإثبـات كفاءتهـم اللغويـة، وبراعتهـم الأدائيـة في توجيـه الخطـاب ومنهـا:

أ: الأمر:

في شـعر الملاحـم المسـيحية، وخاصـة التـي تناولـت يـوم الغديـر دائـماً مـا يخـرج الأمـر إلى التوجيـه، ويصبـغ بالطابـع الحكمـي الـذي يحمـل بـين طياتـه التـأدب والإرشـاد، كـما في قـول الشـاعر عبـد المسـيح الأنطاكـي في ملحمته[1]:

انصرْ بحولك قوماً عن تُقى نصرت — راياتـه والألى بالـصدق تُربيها

واخـذل بعدلك يا رباه أنفس من — نـوت لـه الخذلة السُّوءى مطاويها

أعنـه لا هُـم في سامي مقاصده — أعـنْ معينيه ربي مع مُعينيها

والحـق ربي أدرهُ كيف دار — لـينـصُر أو يخـزي أعـاديهـا

وقول جورج شكور في ملحمته[2]:

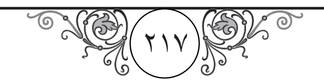
بلِّغ، فأنت رسول ربك، صادقاً — وحـي الإلـه، وأنـت خـيرُ جدير

يستشـف مـن النصـوص بقرائنهـا اللغويـة (انـصر، اخـذل، أدره، بلـغ) أنّ القصـد التواصـلي ليـس إصـدار الأمـر، بـل قصـد متضمـن معنـى اللـين والتـأدب، وبذلـك تقهقـر القصـد الإخبـاري للأمـر في النصـوص الشـعرية لتتصـدر دلالـة الدعـاء والخضـوع والعفـو.

ب: الاستفهام:

(١) ملحمة الإمام علي عليه السلام، عبد المسيح أنطاكي: ٢١٥.

(٢) ملحمة الإمام علي عليه السلام، جورج شكور: ٦٢.



وهو طلب العلم بشيءٍ لم يكن معلوماً، وذلك بإحدى أدواته، وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصيل فيستفهم بها عن شيءٍ مع العلم به لأغراض تفهم من سياق الكلام ودلالته[1]، لعب الاستفهام دوراً مهماً في المقطوعة الحوارية في ملحمة الإمام عليّ لجورج شكور إذ يقول[2]:

يا أيها الناس الكرام، لموشكٌ	أنّي سأدعى، حان يوم مسيري
فأجيبُ دعوته، وإنّي مثلكم	آمنتُ، بات ضميركم كضميري
ماذا تقولون؟انتظرت جوابكم	أتُراهُ أخطأ أم أصاب شعوري؟
قالوا سنشهدُ أن حملت رسالةً	بلغتها، وغدت حديث دهور
وعليٌّ منّي، ما عليٌّ؟مثلما	أنا منه، وهو خليفتي ووزيري
وسنلتقي يوماً، على الحوض الذي	كاساتُه من فضة وأثير
ولسوف يأتيهم عليٌّ، مبكراً	في الوافدين، وقبل كلِّ بكير
وهناك أَسألهم: تُرى حفظوا مع	الآيات مِ القرآن أمر أميري؟

أنجز الشاعر بوصفه مرسِلاً أفعالاً إنجازية باستراتيجية توجيهية، موظفاً تقنية الاستفهام الذي خرج من دلالته الأصلية إلى دلالة سياقية قصدية أُخرى، فالمحتوى القضوي للخطاب الموجه للمرسَل إليه هو توجيهه للأخذ بمضامين ما جاء في خطبة الغدير، والإيمان بالتكليف الشرعي بإمامة عليٍّ عليه السلام، وإنَّه خليفة الرسول من خلال الدلالة

(١) ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي، ضبطه نعيم زوزور، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط٢، ١٩٨٧م: ١٣٣.

(٢) ملحمة الإمام علي عليه السلام، جورج شكور: ٦٣-٦٤.

المركزية في النص، والتي تجسدت في البيت الأخير، وسألهم عن حفظ ما جاء من أمرٍ في تلك الواقعة التي حدد فيها الرسول الكريم سبل النجاة، والارتقاء حين الأخذ بها، ووصول المرسل إليه إلى مكافأته على الطاعة بلقاءِ الرسول على الحوض الذي كاساته من فضةٍ وأثير، فالمرسل لم يقصد من الاستفهام تلك الدلالة الصريحة المباشرة، وإنَّما قصد التوجيه والإنذار الذي تولّد بفعل السياق النصي والمقامي.

ج: التوجيه بذكر العواقب:

وهي من الآليات التي استثمرها الشاعر عبد المسيح الأنطاكي في ملحمته موظفاً ما فيها من أفعالٍ إنجازية للتوجيه، وهذه الآلية ليس حكراً على ميدانٍ معينٍ أو مرسِلٍ خاصٍ، بل هي ملك كلِّ من يرى أنَّها تخدم سياق خطابه(١).

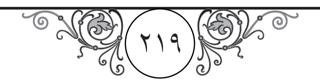
يقول(٢):

وسارت الركب في قول الرسول	**لأطراف الجزيرة ترويه لأهليها**
تقول للمرتضى أوصى الرسول على	**غدير خم بذا أولاه تجويها**
وما مضت مدة حتى الوصية شا	**عت في الأعارب في سامي معانيها**
قالوا: إرادة طه من إرادة با	**ريه فلا مسلم برٌّ يناويها**
إلَّا أُناسٌ أَكَنَّت بغضة لعلي	**ما نست أُنَّه قد كان غازيها**
فاستعظمت أمر هاتيك الوصية لم	**ترغب بها كذَّبت من راح يرويها**

---

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٣٦٠.

(٢) ملحمة الإمام علي عليه السلام، عبد المسيح الأنطاكي: ٢١٦-٢١٧.



أو أنَّها حسداً كانت تؤول ها   تيك الوصية أو تسعى لتُخفيها
والناس إذ كثرت شتى مطامعها   لا الأنبياء ولا الأملاك ترضيها
كما نرى الحارث الفهري تغضبهُ   وصية المصطفى يعنى لينفيها
ما حدثوه بها حتى امتطى عجلاً   جواده وسعى في الأرض يطويها
وإذا أتى طيبة ألفى الرسول بها   في المسجد النبوي الناس يفتيها
فجاءهُ غاضباً في زي مشتبهٍ   وسائلٍ عن أُمورٍ ليس يدريها
نادى: أ أحمدُ قد أمرتنا فأطعنا   خمسةً ما سمعنا قبل ساديها

إلى قوله:

وقلت من كنت مولاه العليُّ لهُ   مولى المقالةُ ذي قد أسمعونيها
فقل لنا جهرة هل ذي المقالة من   أوضاع نفسك أم باريك مُوحيها
فقال: أحمد بل من عند ربي ما   مني أَلِيَّةُ حقٍّ رحت آلِيها
والله والله ألقاها الإله إليَّ   مثلما كنت بين الناس مُلقيها
والحارث اغتاظ من قول الرسول وولى   في خطى ليس يدري كيف يخطيها
وقال: إن تك حقاً يا إلهي قو   لةُ الرسول وحقاً أنت باغيها
أرسل علينا جميعاً من سمائك أحجاراً   وعذب نفوساً رُمت تشقيها
وما أتمَّ خزاه الله قولتهُ   في باب مسجد طه وهو تاليها
إلَّا الحجارة من عالي السماء عليه   الله سبحانه قد كان راميها
فمات حالاً وتلك الحق معجزةٌ   بها أطاع رسول الله رائيها
وأيقنت أُمّة الهادي بأنَّ علياً   لقد فاق كلّ الناس توجيها

تحمل البنية الإخبارية في العملية التحاورية التي جسدها الشاعر بين الرسول الكريم محمد صلَّى الله عليه وآله، وبين الفهري السياق

التـداولي للأحـداث بعـد خطبـة الغديـر، والتـي تبـين تأكيـد المرسِـل التسلسـل التصاعـدي لمجرياتهـا وصـولاً إلى قمّـة الحـدث في البيـت الأخـير:

وأيقـنـت أُمَّــة الهــادي بــأنَّ عليـاً لـقـد فــاق كــلَّ الـنــاس توجيها

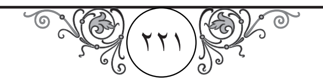
الـذي يمثـل الدلالـة المركزيـة للنـصّ بوصفـه فعـلاً إنجازيـاً كشـف عـن الأنسـاق المضمـرة المتخبئـة تحت كلِّ مجريـات الأحـداث المتنامية داخـل الحوار، ليفصـح عـن المسكوت عنـه متكئـاً عـلى آليـة (ذكـر العواقـب) التـي عُـدَّت من الآليـات المهمـة في بنيـة الخطـاب التـداولي، والتـي اسـتعان بهـا الشـاعر لتثبيـت المعنـى أولاً: بـأنَّ الإمـام عليّـاً عليـه السـلام هـو المكلـف بولايـة المسـلمين، وثبـوت حكـم المنطـوق بـه للمسـكوت عنـه ثانيـاً، وموافقتـه لـه لاشـتراكهما في المعنـى؛ لأنَّ المسـكوت عنـه هنـا موافـق للمنطـوق بـه في الحكـم، وهـذا مـا يسـمى بمفهـوم الموافقـة، ويسـميه بعـض الأُصوليـين مفهـوم الخطـاب، ويسـميه آخـرون دلالـة النـص[1].

الخاتمة:

حاولـت القـراءة الكشـف عـن فاعليـة واقعـة الغديـر ومقتضياتهـا في ملاحم الشـعر المسـيحي، مسـتعينة بإجـراءات النظريـة التداوليـة، فقـد قامـت بصـورة أساسـية عـلى الكشـف عـن اسـتراتيجية القصـد ومسـتوياتها اللغويـة، بوصفهـا مـن أساسـيات بنـاء النـص وضرورة مهمـة في ربـط أجزائهـا وتلاحمهـا.

وقد توصلت القراءة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

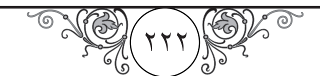
(١) ينظر معجم مصطلحات أصول الفقه، قطب مصطفى، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ: ٤٢٩-٤٣٠.





١- استطاع الشاعر المسيحي أنْ يمازج بين التجارب مزجاً محكماً يكاد يتوه معه القارئ بما أُوتي الشاعر من قدرةٍ لغويةٍ إبداعيةٍ مكّنته من توظيف التجارب الدينية، والإنسانية وإحيائها، واختزالها في لغةٍ شعريةٍ مركزةٍ ومحدودةٍ، توحي أنَّ اللغة ليست أداة اتصالٍ فحسب، وإنَّما هي أداة سحرية للسيطرة على الأشياء والكائنات، ممَّا أعطاها ذلك البعد التداولي الناتج عن المحاكاة الشعرية للتجارب الإنسانية للأنبياء والأولياء، والصالحين لجعل القارئ يعاين التجربة، ويستلهم منها العبر، والحكم فيما يخدم به نفسه ومجتمعه، وإعطائها العناية في فضاء الاستشهاد وسعة تأثيرها في المجتمع الإنساني وتداولها، وهو دليل على أهمية هذه المدونة الشعرية في تاريخ الأدب العربي والإسلامي، هذه المقومات مجتمعةً توصلنا إليها عبر قراءة هذه الملاحم الشعرية المميزة بطاقتها الفنية، واللغوية، والموضوعية، التي تجلت فيها واقعة الغدير بكلِّ ما تحمل من المعطيات الدينية، والإنسانية خدمةً للبشرية جمعاء، ممَّا حدى بشعراء الملحمة المسيح إلى استلهام مضامينها، وصبها في قالبٍ شعريٍّ مميزٍ أعطاها قابلية التداول، والتأثير في كلِّ زمان ومكان.

٢- في قراءة الملاحم تداولياً رصدنا مجموعة من الأسئلة عن المتخاطبين، وغيرها من الأسئلة التي أجابت عنها التداولية بتحليلها للكلام العادي، فكيف الحال مع نصوص ملحمية راقية بفكرتها، وطريقة نظمها، وغيرها من وسائل التشكيل التي جعلت منها نصاً خالداً بخلود الفكرة التي نظمت من أجله وهي (يوم الغدير). عبر رصدنا لبعض المعطيات

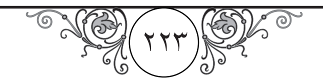


السياقية التي اختارها الشعراء، ودورها في بناء استراتيجية تخاطبية ملائمة لنقل المعنى، والمقصد المتوخى تحقيقه؛ لذلك اعتمدنا تحليل بعض الاستراتيجيات التي مكنت الشعراء من بناء مقاصدهم برصد العناصر السياقية التي جعلت من نصِّ الملحمة ممارسة تجري تداولياً، ممَّا يحول دون ثبات سماتها فالمرسَل متجدد والمرسَل إليه متجدد كذلك، ممَّا يؤكد أنَّ المتن الشعريَّ الملحميَّ المسيحيَّ ملائم للقراءة التداولية؛ وذلك لتوفر الأُسس التي يقوم عليها وهو مبدأ القصدية.

٣-اعتنى الشعراء المسيح بخطابهم الشعريِّ بمستوياته المتنوعة مدركين أهمية عناصر إنتاج الخطاب في أثناء عملية التخاطب من وظائف ومقاصد لأجل تحقيق فعل التأثير على المتلقي، من خلال استثمار مجموعة من الاستراتيجيات التي اعتمدوها في بناء خطابٍ موجه بوصفها طريقة ناجحة للإقناع وهذا ما نادت به التداولية، إذ كانت الاستراتيجية التضامنية وجهاً من أوجه انزياح أُطر الإنتاج الإبداعي الذي أعطى للوظيفة التوصيلية والتفاعلية أهميتها في تأكيد فاعلية الخطاب وتثبيت حكمه، مستثمراً الاسم العلم والكنية واللقب في بنائه وكانت المكاشفة وسيلة مهمة لكشف قصد المخاطب، وقد اتخذ الشعراء الاستراتيجية التوجيهية بمستوياتها اللغوية كأسلوب الأمر والاستفهام والتوجيه بذكر العواقب لتحقيق التأثير المرجو.

المصادر:

١-الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، أنيس مقدسي، دار العلم



للملايين-بيروت، ط٥، ١٩٧٣.

٢- أدباء العرب في الجاهلية والإسلام، بطرس البستاني، دار نضير عبود -بيروت، ١٩٨٩.

٣ - استراتيجيات الخطاب في النشيد الوطني، دراسة تداولية، يونسي فضيلة، رسالة ماجستير جامعة مولود معمري تيزي، وزو الجزائر.

٣- استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤.

٤-إشكالية النص في اللسانيات التداولية، حمو الحاج ذهبية، الجزائر، مجلة سمات، ص٤٩.

٥- إلياذة هوميروس، سليمان البستاني، دار إحياء التراث العربي.

٦- أهل البيت في الشعر المسيحي http://arabic. al-shia. org.

٧-الإمام عليّ في عيون الشاعر بولس سلامة، ناجي بن داوود الحرز، مؤسسة أُمّ القرى للتحقيق والنشر، ٢٠٠٥.

٨- أمير الأنبياء، عامر محمد بحيري، مطبعة العلوم -القاهرة، ١٩٥٤.

٩- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي -بيروت، ١٩٧٤، التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

١٠- تحليل الخطاب ج ب براون، ج. بوك، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود١٩٩٤.

١١-التواصل اللغوي ووظائف اللغة في الألسنية (علم اللغة الحديث

قــراءة تمهيديــة) رومــان جاكبســون، ميشــال زكريــا، المؤسســة العربيــة للدراســات والنــشر، ط١، بيروت-لبنــان، ١٩٨٥.

١٢- جمهـرة أشـعار العـرب في الجاهليـة والإسـلام، أبـو زيـد محمـد بـن أبي الخطـاب القـرشي، حققـه وزاد في شرحـه: عـلي محمـد البجـاوي، د-ت.١٣- دليـل الناقـد الأدبي، ميجـان الرويـلي وسـعد البازغـي، المركـز الثقـافي العـربي، ط٢، الـدار البيضـاء، ٢٠٠٠.

١٤- دول العـرب وعظـماء الإسـلام، أحمـد شـوقي، مؤسسـة هنـداوي للتعليـم والثقافـة.

١٥- عيـد الغديـر أول ملحمـة عربيـة، بولـس سـلامة، مطبعـة النـسر -بـيروت، ١٩٤٩

١٦ -الشعر الملحمي تاريخه وأعلامه، جورج غريب، دار الثقافة.

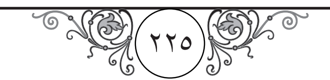
١٧- فـن الشـعر أرسـطو، ترجمـه وشرحـه: عبـد الرحمـن بـدوي، دار الثقافــة- بــيروت، ١٩٧٣، ط٢.

١٨- لسـان العـرب، محمـد بـن مكـرم بـن منظـور، نسـقه ووضـع فهارسـه: عـلي شـيري، دار إحيـاء الـتراث العـربي -بـيروت، ط١ -١٩٨٨.

١٩- مبـادئ في اللسـانيات، خولـة طالـب الإبراهيمـي، دار القصبـة للنـشر، ط١، الجزائـر، ٢٠٠٠.

٢٠- المـدارس اللسـانية المعـاصرة، نعـمان بوقـرة، مكتبـة الآداب، ط١، القاهــرة- مــصر، ٢٠٠٤.

٢١-معجـم المصطلحـات العربيـة في اللغـة والأدب، مجـدي وهبـه وكامـل



المهندس، مكتبة لبنان بيروت، ط ٢-١٩٨٤.

٢٢-المعجم المفصل في اللغة والأدب، أميل بديع يعقوب وميشال عاصي، دار العلم للملايين -بيروت، ط١ -١٩٨٧.

٢٣- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، قم ١٤٠٤هـ.

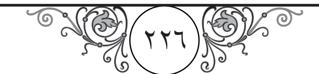
٢٤-مفتاح العلوم للسكاكي، ضبطه نعيم زوزور، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ط٢، ١٩٨٧

٢٥- المقابلة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ت: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي.

٢٦- ملحمة الإمام علي عليه السلام، شعر جورج شكور، مكتبة الروضة الحيدرية، ط١- ٢٠٠٧.

٢٧ - ملحمة أهل البيت، عبد المنعم الفرطوسي، مؤسسة أهل البيت، لبنان-بيروت.

٢٨- ملحمة الإمام علي أو القصيدة العلوية المباركة، عبد المسيح أنطاكي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢-١٩٩١.



مقاربة تداولية للمسكوت عنه في آية التبليغ

أ. م. د. محمد عامر محمد

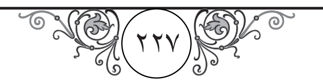
مفهوم المقاربة التداولية

هذه المقاربة في بحثنا تتناول أهم ما توصلت إليه التداولية من مناهج لمقاربة المعنى المسكوت عنه في المنطوق اللغوي، وقد تحدث غرايس: عن التناقض القائم بين الكلام البين والكلام المضمر، قائلا: يقصد من التكلم بشكل بيّن «أن نتحدث عن أمر ما»، في حين يراد من التحدث بشكل مضمر «أن نوحي لأحد الأشخاص بالتفكير في أمر ما»[1].

وإن آية التبليغ مشبعة بالمسكوت عنه وغير المصرح به، فهي من الآيات المعضلة على رأي الطاهر بن عاشور، بسبب الاختلاف الكثير في نزولها وتأويلها، وقد بذل الباحث جهدا في تحديد منهجا لغويا حديثا لمقاربة هذه الآية، والتفكير في المسكوت عنه فيها، ويرى الباحث أن اللسانيات المعاصرة اهتمت بقضية تحليل الخطاب والمناهج المتنوعة التي توصل المعنى للمتلقي.

وإن تحليل الخطاب يتضمن دراسة القوالب اللغوية ومظاهر الانتظام في توزيعها من جهة، كما يقتضي من جهة أخرى مراعاة المبادئ العامة التي تقوم عليها عملية الفهم، تلك العملية التي يضع الناس بواسطتها معنى

(١) ينظر: المضمر: ص ٤٠.



لما يسمعون ويقرأون [1].

ولعل من أهم المناهج اللسانية، المنهج التداولي الذي يركز على المستعملين للغة، وسياق استعمالها في عملية التفسير اللغوي بجوانبها المختلفة، واتفق مع الدكتور طه عبد الرحمن وأعتقد أن لا سبيل الى تقويم الممارسة التراثية ما لم يحصل الاستناد الى مجال تداولي متميز عن غيره من المجالات بأوصاف خاصة ومنضبط بقواعد محددة [2].

وبما أن التداولية تختص بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم (أو الكاتب)، ويفسره المستمع (أو القارئ)، فهي مرتبطة بما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة [3]، لذا ترجموا التداولية بعدّة ترجمات نذكر منها: علم الاستعمال، وعلم التخاطب، وعلم المقاصد، والإفعالية، والسياقية، والذرائعية وحتى النفعية [4].

وقد ارتبطت التداولية بحقل التواصل والأداء، ففي مجال الأداء يقول ماري دير، وفرانسوا زيكاناتي: التداولية استعمال اللغة في الخطاب [5]، وفي مجال التواصل يقول جورج يول: التداولية هي دراسة كيفية ايصال

(١) ينظر: تحليل الخطاب براون ويول: ك في المقدمة.

(٢) ينظر: تجديد المنهج في تقويم التراث: ص ٢٤٣.

(٣) ينظر: التداولية: جورج يول: ص ١٩.

(٤) ينظر: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب: ص ٥، والمرجعية اللغوية في النظرية التداولية (بحث): ص ٩ - ١٠.

(٥) ينظر: المدارس اللسانية المعاصرة: ص ١٦٦.

أكثر مما يقال [1]، ولهذا يمكن القول أن التداولية هي العلم الذي يُعْنى بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية «مقبولة وناجحة وملائمة» في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم [2]، أي أنها تبحث في العلاقة بين النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظم.

وقد ارتبطت التداولية بالمعنى شأنها شأن علم الدلالة، وهي لا تتوانى عن الغوص في متاهات المعاني؛ لأن المعنى يضطرنا في بعض الصيغ اللغوية إلى العودة لدراسة الطريقة التي قام من خلالها المتحدث بناء الجملة، فحينما يقوم المتحدث بلفظ جملة معينة، فإنه يحيل - شيئنا أم أبينا - إلى واقع أو إلى حالة الأشياء أو الموضوعات التي يتحدث عنها، وقد لا يكون الواقع ممثلا بالضرورة في الجملة، وبالتالي يجب أن يأخذ بعين الاعتبار سياق اللفظ والعناصر الداخلة في تركيب الجملة لكي يتم التمكن من فهم ما يريد المتحدث قوله [3]، وكما يرى جورج يول أن التداولية: دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم [4]، بل هي دراسة المعنى السياقي.

هب أن الام سألتك يوما ما: هل تريد مزيدا من القهوة، وكان جوابك: القهوة تبقيني منتبها، هنا نجد أن هذا الجواب يمكن أن يفهم بمعنيين: المعنى الأول: هو أنك لا ترغب في مزيد من القهوة لأن موعد النوم قد اقترب، والمعنى الثاني: أنك تريد مزيدا من القهوة لأنك تود مواصلة

(١) ينظر: التداولية جورج يول: ص ١٩.

(٢) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: ص ٢٤.

(٣) ينظر: المدارس اللسانية المعاصرة: ص ١٦٩.

(٤) ينظر: التداولية جورج يول: ص ١٩.

العمل وتحتاج إلى أن تظل منتبها.

وفي هذا المثال يكون الاختلاف واضحا أذن بين المعنى الحرفي الاصطلاحي للجملة (القهوة تبقيني منتبها)، والمعاني الإضافي التي تفهم منها في سياقات معينة، والتمييز بين المعنى الحرفي للجملة، والمعنى الاضافي الذي يمكن ان يتولد عنها هو التمييز بين علم الدلالة وعلم الاستعمال (التداولية).

ولعل أهم مقومات الحدث التداولي متكلم وسامع والعلاقة بينهما، وما يرافق الكلام من حركات وتعبيرات الوجه، ومن يشاركون في الاتصال اللغوي، وبيئة الحدث المكانية والزماني، أما التأويل فيهتم بقدرة السامع على الكشف عن مقاصد المتكلم واستجابته لها، وما يستلزمه التواصل من معان مقامية [1]. والتداولية بوصفها علم استعمال اللغة تسعى إلى استكشاف العناصر الإجرائية التي يحتكم إليها في تحديد الدلالة المقصودة من الملفوظات من خلال التركيز على ثنائية المتكلم والمخاطب في سياق الاستعمال، وبيئة الحدث، وقدرة المخاطب ومدى استجابته لهذه المقاصد، وما يتطلبه التواصل من معان مقامية.

ونصل من ذلك أن مفهوم التداولية مرتبط بالمعطيات السياقية، وإن لكل نص سياقه الخاص الذي يحكم وضعه التداولي ويوجه مقاصد المتفاعلين وأساليبهم الاتصالية ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة «مقتضى

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص ٥٧ - ٥٨.

الحال» وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربي «لكل مقام مقال»[1]، أي أن التداولية تغطي حضور المتلقي في سياق الخطاب.

والمقاربة التداولية تلك المنهجية التي تدرس الجانب الوظيفي والتداولي والسياق في النص أو الخطاب، وتدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلم والمخاطب[2]، علماً أن المقاربة التداولية تستند إلى تخصصات عدة فهناك مثلا: تداولية تحليلية، وتداولية تلفظية، وتداولية نفسية - اجتماعية، وتداولية نصية، وتداولية سوسيو لغوية، علما أن المقاربة التداولية قامت على أسس وضعتها فلسفة اللغة مع كل من أوستين وسيرل وغرايس، وقد عمل كل واحد من جهته على تقديم رؤية لمقاربة اللغة في إنجازاتها المختلفة[3].

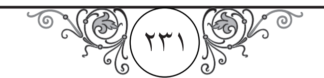
وإن كل جملة عند التلفظ بها في نظر أوستين توافق على الأقل إنجاز عمل قولي، وعمل متضمن في القول، وأحيانا توافق القيام بعمل تأثير القول، وقد استبدل غرايس مفهومي عمل القول، وعمل متضمن القول، بمفهوم الدلالة الطبيعية، والدلالة غير الطبيعية، معتبرا أن الدلالة غير الطبيعية تقوم على التأويل وتتأسس على الاستدلال، ومن خلالها ينوي المتكلم وهو يتلفظ بجملته إيقاع التأثير في مخاطبه بفضل فهم هذا المخاطب لنيته، ولهذا فمنطق المحادثة بين المتحاورين يقتضي ضرورة عمل

---

(١) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم لغة النص: ص ٢٥.

(٢) ينظر: التداوليات وتحليل الخطاب: ص ٩

(٣) ينظر: المقاربة التداولية للأدب: ص ٨.



كل واحد منهما من أجل تمكين الآخر من فهم مقصوده ونيته، وهذا المنطق في نظر غرايس يقوم على مبدأين أساسيين: مبدأ التعاون، ومبدأ الاستلزام الخطابي، ويحدد من خلال التمييز في القول الواحد بين ما قيل وما تم نقله أو ما تم تبليغه فالدلالة هي ما قيل، والاستلزام الخطابي هم ما تم تبليغه[١] .

إذن الجهاز المفاهيمي للمقاربة التداولية يبحث في الجوانب الآتية: الإشاريات والافتراض المسبق والاستلزام الحواري، وشيفرن يقصر التسمية (مقاربة تداولية) على تيار مخصوص في دراسة الخطاب يقتفي أثر غرايس ويتأسس على مبدأ التعاون والقواعد التحادثية[٢]، وسنعرف بمفاهيم المقاربة التداولية الآنفة الذكر.

أولا: الإشاريات (Deictics)

كان شارل بريس أول واضع لمفهوم الإشارة في اللغة، وإن الإشاريات واحدة من الصيغ المرتبطة بسياق التكلم الذي تستعمل فيه، ولا يُستطاع انتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه؛ لأنها تعابير مبهمة تستعمل بشكل أساس ومتزايد في التواصل المنطوق وجها لوجه حيث يكون فهم لفظ، في مثل القول: سأضع هذا هنا، يسير المعرفة جدا على الحاضرين، ولكن الغائب يحتاج إلى ترجمة لفهمه، وأنت بالتأكيد تفهم أن (زيد) أخبر (زينب) أنه

---

(١) ينظر: المقاربة التداولية للأدب: ص ٩.

(٢) ينظر: معجم تحليل الخطاب: ص ٤٤٣.

سيضع مفتاحا للمنزل في أحد أدراج المطبخ [1]، لا يمكن أن تتم عملية التلفظ بالخطاب دون حضور هذه الأدوات الإشارية الثلاثة وهي (الأنا، والهنا، والآن)) ويمثل كل منها نوعا من الإشاريات [2].

وإذا قرأت جملة مقتطعة من سياقها مثل: (سوف يقومون بهذا العمل غدا لأنهم ليسوا هنا الآن)، وجدتها شديدة الغموض؛ لأنها تحتوي على عدد كبير من العناصر الإشارية التي يعتمد تفسيرها على السياق المادي، والمرجع الذي تحيل عليه، وهذه العناصر هي (واو الجماعة، وهم، وهذا، وغدا، والآن، وهنا).

إلا أن المبهمات عامل هام في تكوين بنية الخطاب من خلال القيام بدورها النحوي، ووظيفتها الدلالية، ويستثمر المرسل هذه الصفات في الخطاب الذي يجري بينه وبين المرسل إليه عند ما يمده في نسيج يتجاوز في كليته الجملة الواحدة فتصبح فائدتها الإحالة إلى المعلومات القديمة التي تلفظ بها أحدهم، والتي أصبحت جزءا من المعلومات المشتركة [3].

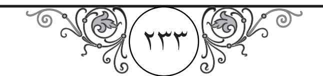
والإشاريات أقوال مبهمة إن دُرست خارج السياق الذي قيلت فيه، وإن دُرست حسب إحالتها ومرجعيتها في السياق الذي وردت فيه، فإنها تعطي دلالات على توظيفها في ذلك السياق، والإشاريات ترتبط جليا بأهداف المتكلم (مثلا تعريف شيئا ما)، وبمعتقدات المتكلم (أي هل

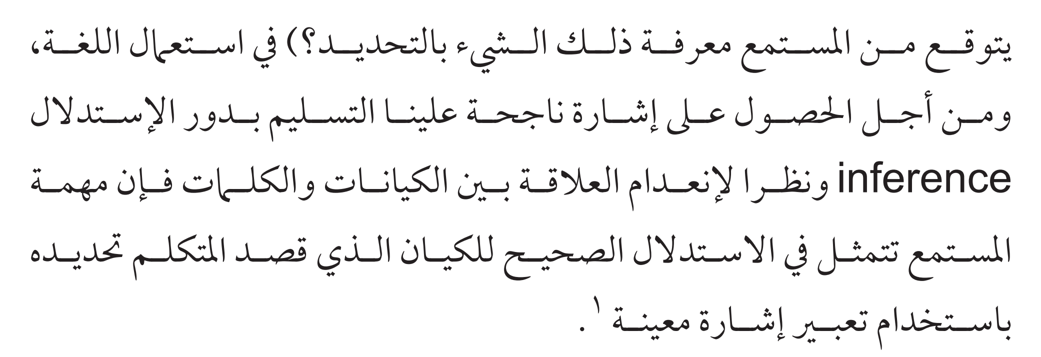
---

(١) ينظر: التداولية جورج يول: ص ٢٧.

(٢) ينظر: استراتيجية الخطاب: ص ٨١.

(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ص ٨١، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص ١٩.





يتوقع من المستمع معرفة ذلك الشيء بالتحديد؟) في استعمال اللغة، ومن أجل الحصول على إشارة ناجحة علينا التسليم بدور الإستدلال inference ونظرا لإنعدام العلاقة بين الكيانات والكلمات فإن مهمة المستمع تتمثل في الاستدلال الصحيح للكيان الذي قصد المتكلم تحديده باستخدام تعبير إشارة معينة [١].

والإشاريات من الوحدات اللغوية التي تتطلب أكثر من غيرها معلومات عن السياق ليتيسر فهمها، فإذا أردنا أن نفهم مدلول هذه الوحدات - إذا ما وردت في مقطع خطابي - استوجب منا على الأقل معرفة هوية المتكلم، والمتلقي، والإطار الزمني، والمكاني للحدث اللغوي [٢]، والإشاريات تقسم على ما يأتي: -

١ - الإشاريات الشخصية: وتتمثل في (الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة)، وتتمثل الضمائر في (الضمائر الدالة على المتكلم وحده، والدالة على المخاطب، والدالة على الغائب) [٣]. وهذه الإشاريات لا ترتبط بمدلول معين؛ لأن معناها يتحدد من خلال المعجم الذهني للمتكلم.

٢ - الإشاريات الزمنية: وهي الملفوظات التي تدل على زمان يحدده السياق، وذلك بالقياس إلى زمان التلفظ الذي هو مركز الإشارة الزمنية في القول، وتكمن قيمة التداولية في تحديد زمن التكلم الذي قد يلتبس

---

(١) ينظر: التداولية جورج يول: ص ٤٠.

(٢) ينظر: تحليل الخطاب براون ويول: ص ٣٥.

(٣) ينظر: استراتيجية الخطاب: ص ٨٢.

على المتلقي، فيصعب عليه الفهم؛ ذلك أن المرجع في الزمان يختلف حسب الحامل الدلالي فقد يشير إلى الزمان الكوني الذي يشمل السنين والأشهر والأيام، أو يشير إلى الزمن النحوي الذي يتحدد معناه من الكلمة في حالتها التركيبية[1].

وهناك طائفة من الأفعال يتحدد معناها الجهوي في إطار العلاقة الزمانية والمكانية بين المتكلم والمخاطب، كما أن صيغ الأفعال تخضع لتفسير مرتبط بزمن التكلم، فالفعل الماضي عادة يضع الحدث في نقطة زمنية سابقة على زمن التكلم، بينما الفعل المضارع في العادة يضع الحدث في نقطة زمنية ليست سابقة على زمن التكلم[2].

٣ - الإشاريات المكانية: وهي تحيل على أماكن استعمالها وتفسيرها يعتمد على معرفة المتكلم وقت التلفظ أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو المتلقي ولتحديده يستلزم معرفة العنصر الإشاري من جملة القرب أو الجهة ثم الوقوف على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان أي السياق المادي الذي قيلت فيه[3].

ثانيا: الافتراض المسبق (Presupposition)

كانت دراسة الافتراض المسبق مثار اهتمام الباحثين منذ أوائل العقد السابع من القرن العشرين[4]، وقد تعددت ترجمة هذا المصطلح،

(١) ينظر: استراتيجية الخطاب: ص ٨٣.

(٢) ينظر: علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية: ص ١٦٥.

(٣) ينظر: استراتيجية الخطاب: ص ٨٤.

(٤) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللساني المعاصر: ص ٢٧.

فهو يترجم في كتاب بالمر (علم الدلالة في إطار جديد) بـ(الافتراض الضمني)[1]، وفي كتاب جورج يول (التداولية) بـ(الافتراض المسبق)[2]، وعند محمود أحمد بـ(الافتراض السابق)[3]، وعند مسعود صحراوي (الافتراض المسبق)[4]، وسنعتمد ترجمة الافتراض المسبق؛ وهي أقرب إلى الطبيعة اللسانية، بمعنى أنه يتم إدراكه عن طريق العلامات اللغوية التي يتضمنها القول بين المتكلم والسامع، وهو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام، أي أن الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين وليس في الجمل، أي تتضمنه في المقام الذي ترد فيه من حيث المعلومات المشتركة لدى المتكلم والمخاطب[5]، ويمكن أن نطلق عليه البنية العميقة للجملة.

ينطلق أصحاب نظرية التواصل من المعطيات الأساسية التي تنتقل من المتكلم إلى المتلقي[6]، وفي كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن سياقات البنى التركيبية العامة، فإذا كان المعنى المستنتج من

---

(١) ينظر: علم الدلالة في إطار جديد: ص ٢٢٤.

(٢) ينظر: التداولية جورج يول: ص ٥١.

(٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص ٢٦.

(٤) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: ص ٣٠.

(٥) ينظر: التداولية جورج يول: ٥١، وينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص ٢٦ وما بعدها.

(٦) ينظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب: ص ١٣٩.

المعلومات المشتركة بين المتكلم والمخاطب، فإن هذا الاستنتاج يدخل في إطار الافتراض المسبق أي خلق خلفية مشتركة بين المتكلم والمتلقي.

فإذا قال رجل لآخر: أغلق النافذة، فالمفترض سلفا أن النافذة مفتوحة، وأن هناك مبررا يدعو إلى إغلاقها، وأن المخاطب قادر على الحركة، وأن المتكلم في منزلة الآمر، وكل ذلك موصول بسياق الحال، وعلاقة المتكلم بالمخاطب[1].

والافتراض المسبق يهتم بدراسة المعارف المشتركة بين المتكلم والسامع أو بين ما ينبغي أن يكون معروفا أو يفترض العلم به سابقا قبل إجراء الخطاب، ولذلك فالمتكلم يوجه حديثه إلى السامع على أساس أنه معلوم لديه.

ثالثا: الاستلزام الحواري (Conversational implicature)

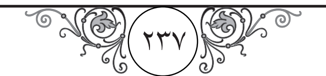
كانت الخطابات والحواريات مثار اهتمتم غرايس، وقد تعدد استعمال المصطلح الذي وضعه غرايس، فمنهم من يستعمل مصطلح الاستلزام التخاطبي، ومنهم من يستعمل الاستلزام الحواري، والاستلزام: هو كل المعلومات التي يمكن للكلام أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحدث، فهو شيء ينبع منطقيا مما قيل في الكلام، أي أن الجمل هي التي تحوي الاستلزام، وليس المتكلمون[2].

ويرى الباحث إن الإستلزام يرتبط بوضعية الخطاب ومقامه، على

---

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢٦.

(٢) ينظر: التداولية جورج يول: ص ٥١.



عكس الافتراض المسبق الذي يحدد على أساس معطيات لغوية، وإذا كان المعنى المستنتج غير معروف للمخاطب مسبقا، فإن الاستنتاج يدخل في إطار الاستلزام الحواري، أي أن الفرق بين الاستلزام وبين الافتراض المسبق أن الأول وليد السياق الكلامي المتنامي تدريجيا، والثاني وليد ملابسات الخطاب.

ومثال ذلك قول القائل: إن السماء ممطرة، فالسامع لهذا الملفوظ قد يعتقد أن القائل أراد أن يدعوه إلى المكوث في البيت، أو الإسراع إلى عمله حتى لا يفوته الموعد، أو الإنتظار والتريث حتى يتوقف المطر، أو عدم نسيان مظلته عند الخروج، وقائمة التأويلات مفتوحة مع تعدد السياقات، والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها الخطاب.

وفي الاستلزام هناك شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه ولا يكون جزءا مما تعنيه الجملة بصورة حرفية، ويتعلق بالجوانب الضمنية والخفية من قوانين الخطاب، وتحكمه ظروف الخطاب العام كسياق الحال مثلا، وهو في هذا يكون مفهوما تداوليا إجرائيا يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامة.

مثال على الاستلزام: (محمد: أين يمكن أن أحصل على البانزين؟ أحمد: هناك محطة بنزين عند ناصية الشارع)، إن جواب أحمد على سؤال محمد يوحي بأن محمد يستطيع أن يحصل على البنزين من المحطة الموجودة عند ناصية الشارع، ولكننا نلاحظ أن أحمد لم يقل بالفعل أن محمد يستطيع

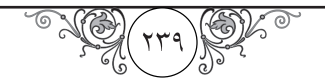
الحصول على البنزين هناك.

ولا يعني غرايس بالقول مجرد نطق كلمات معينة وإنما يريد قول أن شيئا ما هو الواقع، وما قاله أحمد في هذه الحالة يرتبط ارتباطا وثيقا بالمعنى الاتفاقي لكلمات الجملة التي نطق بها أكثر من ارتباطه بالمعنى لدى المتكلم، فالاقتضاء بأن محمد يستطيع الحصول على البنزين من المحطة الكائنة عند ناصية الشارع ليس جزءا من المعنى الحرفي أو الاتفاقي للجملة هناك محطة بنزين عند ناصية الشارع [1].

والاستلزام التخاطبي يقوم على أن جمل اللغة تدل في أغلبها على معان صريحة، وأخرى ضمنية تتحدد دلالتها داخل السياق الذي وردت فيه، وقد لاحظ بعض الفلاسفة واللسانيين التداوليين وخصوصا الفيلسوف (غرايس) أن جمل اللغات الطبيعية في بعض المقامات تدل على معنى غير محتواها القضوي (الحرفي).

ويتضح ذلك من خلال التخاطب الآتي بين الأستاذين (زيد وعبيد). الاستاذ (زيد): هل الطالب (عمرو) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟ الاستاذ (عبيد): إن الطالب (عمرو) لاعب كرة ممتاز. في هذا المثال قد لاحظ الفيلسوف غرايس أننا اذا تأملنا الحمولة الدلالية لإجابة الاستاذ (عبيد) وجدنا أنها تدل على معنيين اثنين في الوقت نفسه أحدهما حرفي، والآخر مستلزم، ومعناها الحرفي أن الطالب (عمرو) من لاعبي الكرة الممتازين، ومعناها الاستلزامي أن الطالب المذكور ليس

(١) ينظر: تحليل الخطاب براون ويول: ص ٤١.



مستعدا لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة هذه الظاهرة اللغوية سماها الفيلسوف غرايس بـ(الاستلزام التخاطبي).

لذا قسم غرايس الاستلزام إلى نوعين: استلزام عرفي، واستلزام حواري، فأما الاستلزام العرفي فقائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب، وأما الاستلزام الحواري فهو متغير دائما بتغير السياقات التي يرد فيها [1]. فلو سألنا أحدهم عن المدة التي تستغرقها السيارة من (ميسان) الى (كربلاء)، وأجاب بقوله: بعضا من الزمن، لكانت إجابته وفق هذه القواعد غير كافية؛ لانه اجاب باقل من المطلوب خلافا للقاعدة الأولى الكمية، وغير دقيق خلافا لقاعدة العلاقة، ومبهم وغير واضح خلافا للأخير.

ويقترح غرايس تنميطا للعبارات اللغوية يقوم على المقابلات الآتية التي تنقسم الحمولة الدلالية للعبارة على أساسها إلى معان صريحة ومعان ضمنية، فالمعاني الصريحة هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها وتشمل (المحتوى القضوي (العرفي) + القوة الانجازية)، والمعاني الضمنية هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة ولكن للسياق دخل في تحديدها والتوجيه إليها [2].

ويميز غرايس بين المعاني العرفية أو المعجمية، والمعاني الحوارية أو

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللساني المعاصر: ص ٣٣.

(٢) ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: ص ٢٨، وينظر: التداولية عند العلماء العرب: ص ٣٤.

الخطابية، تُعد معاني عرفية المعاني المرتبطة بالجملة ارتباطا يجعلها لا تتغير بتغير السياقات، في حين تُعد معاني حوارية المعاني التي تتولد طبقا للسياقات أو المقامات التي تنجز فيها الجملة [1].

إن نظرية غرايس تجعلنا بين أمرين اثنين: إما ان نتبع القواعد المتفرعة على مبدأ التعاون، وإما ان نخرج عنها فان اتبعناها حصلنا فائدة قريبة هي اقرب الى ما أسماه الأصوليون بـ(المنطوق) وان خرجنا عن هذه القواعد حصلنا فائدة بعيدة هي أقرب الى ما سماه الأصوليون بـ(المفهوم) أو (المسكوت عنه) أو (دلالة الدلالة) [2].

يوجد اختلاف بين ما يقال وما يقصد، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية **face values**، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال [3]، والمقاصد تتحدد من خلال الدلالة غير الطبيعية فهي دلالة تقوم على مقصدية مزدوجة إخبارية وهي ما يقصد إليه المتكلم من حمل مخاطبه على معرفة معلومة معينة، ومقصدية تواصلية وتتعلق بحمل المخاطب على معرفة مقصده الإخباري [4]، فالقصد أو المقصدية إذن تحدد كيفية التعبير والغرض المتوخى، وهي البوصلة التي توجه تلك العناصر

(١) ينظر: المقاربة التداولية: ص ٥٣، واللسانيات الوظيفية مدخل نظري: ص ٢٨.

(٢) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص ٢٣٩.

(٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللساني المعاصر: ص ٣٣.

(٤) ينظر: المقاربة التداولية للأدب: ص ١١.

وتجعلها تتضام وتتضافر وتتجه إلى مقصد عام [1]، ومقصدية المعنى في اللغة غير المباشرة أو المسكوت عنه تكتسي مسألة القصد كما بين ذلك ج سيرل أهمية جوهرية في نجاح أفعال الكلام أو عدم نجاحها [2].

يقول طه عبد الرحمن: ولما كان التخاطب يقتضي اشتراك جانبين عاقلين في إلقاء الأقوال وإتيان الأفعال، لزم أن تنضبط هذه الأقوال بقواعد تحدد وجوه فائدتها الإخبارية أو قل «فائدتها التواصلية»[3].

وقد بلور غرايس التخاطب في مبدأ سماه مبدأ التعاون، ويقصد به ذلك المبدأ الذي يرتكز عليه المرسل للتعبير عن قصده مع ضمان قدرة المرسل إليه على تأويله وفهمه، وتتمثل الفكرة الأساسية في أن المتخاطبين عندما يتحاورون إنما يقبلون ويتبعون عددا معينا من القواعد الضمنية اللازمة لاشتغال التواصل والمبدأ الأساسي هو «مبدأ التعاون» [4]، الذي يقول فيه غرايس: قم بمساهمتك في التواصل، بالطريقة التي يتخذها الهدف التواصلي المخوض في الفترة اللازمة، أي أن تجعل مساهمتك في المحادثة كما هو مرجو منك من حيث اختيار التوقيت المناسب، وأن تكون تلك المساهمة متماشية مع الهدف والتوجه المسلم بهما للتبادل

---

(١) ينظر: في سيميائية الشعر القديم دراسة نظرية وتطبيق: ص ٥٣.

(٢) ينظر: المقاربة التداولية للأدب: ص ٤٧.

(٣) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص ٢٣٧.

(٤) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان: ص ٨٤، وينظر: استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ص ٢٣٨، وينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص ٣٢ وما بعدها

الخطابي الذي تقع ضمنه[1].

وتعتمد نظرية غرايس في الاستلزام على النظر إلى استعمال اللغة بوصفه ضربا من الفاعلية العقلية والتعاونية والتي تروم تحقيق هدف الاتصال بين الناس[2]، ولكي ينجح هذا الاتصال لا بد من أن تتوافر له درجة معينة من التعاون والتقارب في الاغراض بين المتخاطبين، ولوصف هذه الظاهرة يقترح غرايس نظريته المحادثية التي تنص على ان التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) وبقواعد حوارية، وينهض مبدأ التعاون على أربع قواعد يبنى التخاطب فيها بين أطراف التكلم على هذه المجموعة من القواعد، وهو يستعمل معايير كانط[3]:

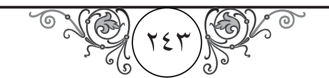
١ - قاعدة الكمية: تقول ما هو ضروري بالضبط، ولا تزيد أكثر من الضروري، أي تكلم على قدر الحاجة فقط ولا تتجاوز بإفادتك القدر المطلوب، ويعني هذا الابتعاد عن الاستقصاء المفصل وتفادي الإطناب والاستطراد في الكلام أو التخاطب، وتخص هذه القاعدة كمية الأخبار الذي يجب ان تلتزم به المبادرة الكلامية في التواصل.

٢ - قاعدة النوعية: تقول ما ينبغي على أحسن وجه، أي أن تتوخى أساسا النزاهة وعلى أساس المعلومات الكافية، هنا لا تقل ما تعتقد كذبه، ولا تقل ما يعوزك فيه دليل بّين، أي بمعنى كن صادقا، حتى لا

(١) ينظر: المقاربة التداولية: ص ٥٣، وتحليل الخطاب براون ويول: ص ٤٠.

(٢) ينظر: المقاربة التداولية: ص ٥٣.

(٣) ينظر: التداولية من أوستن إلى عوفمان: ص ٨٤، وينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص ٢٧٣



تفتقد البراهين الكافية.

٣ - قاعدة المناسبة أو الملائمة: تقول أشياء مفيدة للتفاعل، أشياء لها علاقة بالمحادثة، أي تجنب إبهام التعبير، وتجنب اللبس، وليكن كلامك أيضا كلاما مرتبا ودقيقا.

٤ - قاعدة الهيئة أو الجهة: تكلم بوضوح، ونبرة ملائمة، أي ليكن كلامك مناسبا لسياق الحال، فالكلام هو مراعاة مقتضى الحال أو مناسبة المقال للمقام [١].

ويُفترض في اللغة الشفوية أن يخضع المتحاورين إلى مبدأ التعاون: أن المتكلم لا يقول أكثر ولا أقل مما هو مطلوب للحديث (قاعدة الكمية)، وأنه سيكون صادقا ومخلصا (قاعدة النوعية)، وأن ما يقوله سيكون ملائما لغرض الحدث (قاعدة المناسبة)، وأنه سيكون واضحا (قاعدة الجهة)، فالجملة: ان الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز، تستلزم حواريا معنى العبارة: ليس الطالب (ج) مستعدا لمتابعة دراسته الجامعية بقسم الفلسفة؛ لأنها خرق للقاعدة الثالثة قاعدة العلاقة او المطابقة ذلك انها جواب غير ملائم للسؤال المطروح هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة [٢].

---

(١) ينظر: المقاربة التداولية: ص ٥٤، ومبادئ التداولية جيوفري ليتش: ص ١٧ وما بعدها، وتحليل الخطاب براون ويول: ص ٤٠، واللسانيات الوظيفية مدخل نظري: ص ٢٦ وما بعدها، وينظر: التداولية وتحليل الخطاب نحو تحليل جديد لجنس المقامة في الأدب العربي: ص ٢٢٣، والتداولية عند العلماء العرب: ص ٣٣ وما بعدها.

(٢) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: ص ٣٣.

وتحصل ظاهرة الاستلزام التخاطبي إذا تم خرق أحدى القواعد الأربع السابقة، ويفترض المتخاطبون الإحترام المتبادل لهذه القواعد، بما يسمح للمتقبل بأن ينشيء دلالة وهذه هي حالة الأعمال اللغوية غير المباشرة [1]، ويذكر بالمر أن مخالفة مبدأ التعاون وقواعد السلوك المنبثقة عنه هي التي تثير الاهتمام أكثر من الالتزام بها في كثير من مناسبات الحدث الكلامي المتنوعة[2]. ويرى غرايس: أن المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد ولو أنهما يدومان على حفظ مبدأ التعاون، فإذا وقعت هذه المخالفة فإن الإفادة في المخاطبة تنتقل من ظاهرها الصريح والحقيقي إلى وجه غير صريح وغير حقيقي، فتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين معاني ضمنية ومجازية [3].

وغرايس بوصفه لهذه الضوابط التي تتحكم في استعمالات المتكلمين للغة أثناء المحادثة قد أتاح الإمكان لوصف أنواع الدلالات التي يمكن لمتكلم أن يوحي بها، وفي حالة «عدم التزامه» بأحد الضوابط فذلك يؤدي إلى إيحاء المتكلم بالإضافة إلى المعنى المباشر لمقولته بمعنى إضافي هو المعنى الضمني للمحادثة [4].

والمهم هنا أن المتلقي يستقرئ المعنى لا من مدلول الكلمات بل مما يتضمنه الخطاب في إطار مبدأ التعاون وقواعد السلوك التي يفترض أن

---

(١) ينظر: المقالابة التداولية: ص ٥٤، والتداولية من أوستن إلى غوفمان: ص ٨٥.

(٢) ينظر: علم الدلالة السمانتيكية في اللغة: ص ١٧٤.

(٣) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص ٢٣٩.

(٤) ينظر: تحليل الخطاب براون ويول: ص ٤١.

تتقيد بها الأطراف المشاركة في الحدث الكلامي [1].

ومن هذه المفاهيم التداولية سينطلق البحث في مقاربته التداولية لآية التبليغ من سورة المائدة، في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَّ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)))، للوقوف على المسكوت عنه فيها، ويكون ذلك في ثلاث مقاربات هي: (مقاربة شكل الخطاب، ومقاربة العلاقة بين طرفي الخطاب، ومقاربة هدف الخطاب).

أولا: مقاربة شكل الخطاب

إن الحدث اللغوي المنطوق يتجلى في الخطاب بشكل لغوي، ولا شك أن هناك علاقة بين شكله اللغوي ومعناه مما يلزم عنه الربط بين قصد المرسل الذي يتوخى التعبير عنه في خطابه، وشكل اللغة الدالة عليه وذلك بالنظر إليه من خلال سياق التلفظ بالخطاب، والانطلاق من افتراض عام هو أن لكل معنى شكلا لغويا يدل عليه وفق مواضعة اللغة؛ لأنه أصبح مستقرا في كفاءة الناس اللغوية [2].

ويتوفر للمرسل استراتيجيتان للخطاب في هذا الشكل هما: الإستراتيجية المباشرة، الإستراتيجية التلميحية (غير المباشرة)، فالاستراتيجية المباشرة: هي التي يتواخاها ليدل على قصده أو ينجز بها فعله اللغوي من خلال دلالتها الحرفية، في حين يتجاوز دلالة الخطاب الحرفية في الاستراتيجية

---

(١) ينظر: علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية: ص ١٧٠ – ١٧١.

(٢) ينظر: استراتيجية الخطاب: ص ١١٤.

التلميحية [1].

إن لكل دال مدلول مرجع يحيل إليه المرسل عند التلفظ بالخطاب، وهذا ما يساعد على تأويل الخطاب ومعرفة قصد المرسل إلا أن هناك بعض الدوال التي لا تختص بمرجع معين ثابت ومنها الإشاريات وهذه الخصيصة هي التي يستغلها المرسل في بعض خطاباته [2].

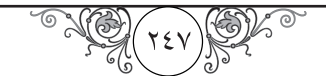
وتحمل آية التبليغ مجموعة من الإشاريات التي لا يمكن تفسيرها بمعزل عن السياق الذي جاءت فيه والمرجع الذي تحيل إليه، وفيها الخطاب القرآني استعمال أدواته اللغوية للتعبير عما يريد إيصاله إلى المتلقي من خلال النداء الذي تكرر في سورة المائدة [3].

إن النداء بـ(يا أيها) للدلالة على نداء البعيد، و(أي) وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام، هو اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه، فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجرى مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء، وفي هذا التدرّج من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد، وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين: معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه، ووقوعها عوضا مما يستحقه

(١) ينظر: استراتيجية الخطاب: ص ١١٧.

(٢) ينظر: استراتيجية الخطاب: ص ١٢٦.

(٣) ينظر: سورة المائدة: ستة عشر نداء (يا ايها الذين آمنوا)، وخمسة (يا أهل الكتاب)، وثلاثة (يا عيسى)، واثنان (يا ايها الرسول)، واثنان (يا موسى)، واثنان (يا قوم)، وواحدة (يا بني اسرائيل)، وواحدة (يا أولي الألباب)، وواحدة (يا ويلتي)



أي من الإضافة [1].

وقد يرد السؤال الذي طرحه الزمخشري: فإن قلت: لم كثر في كتاب اللهَّ النداء على هذه الطريقة (يا أيها) ما لم يكثر في غيره؟ ويجيب: قلت: لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة؛ لأن كل ما نادى اللهَّ له عباده – من أوامره ونواهيه، وعظاته وزواجره ووعده ووعيده، واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم، وغير ذلك مما أنطق به كتابه – أمور عظام، وخطوب جسام، ومعان عليهم أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم عنها غافلون، فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ [2].

وهل نداء (يا أيها الرسول) يشمل الأمة أم الرسول فقط؟ يقال: انه نداء خاص يراد به الخصوص؛ لأن النداء في القرآن بالنسبة إلى النبي ثلاثة أقسام: قسم لا يصلح إلا للنبي، وقسم لا يصلح إلا لغيره، وقسم له ولغيره [3]، في بيان الخصوص والعموم يقول ابن فارس: وقد يكون الكلامان متصلين ويكون أحدهما خاصا، والآخر عاما؛ وذلك قولك لمن أعطى زيدا درهما: أعط عمرا، فإن لم تفعل فما أعطيت، تريد: إن لم تعط عمرا فأنت لم تعط زيدا أيضا، وذلك غير محسوب لك، ومثله في كتاب الله جل ثناءه ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ))

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأوي: ج ١ / ص ١٢١.

(٢) ينظر: الكشاف: ج ١ / ص ١٢١ – ١٢٢.

(٣) ينظر: النداء في اللغة والقرآن: ص ١٣٥.

فهـذا خـاص، يريـد هـذا الأمـر المحـدد بلغـه ((وَإِن لَّمْ تَفْعَـلْ)) ولم تبلـغ هـذا ((فَـمَا بَلَّغْـتَ رِسَـالَتَهُ))، يريـد جميع مـا أرسـلت بـه [1]، ويقـول عـن هـذا الـرأي الزركـشي: هـو وجـه حسـن [2].

مـا الموصولـة في قولـه تعـالى: ((مَـا أُنـزِلَ إِلَيْـكَ مِـن رَّبِّـكَ)) مـا الاسـمية: والاسـميَّة ضربـان: معرفـة ونكـرة؛ لأَنَّـه إِذا حسـن موضعهـا (الَّـذي) فهـي معرفـة أَو (شيء) فهـي نكـرة، وإِنْ حسـنا معـا جـاز الأَمـران كقولـه تعـالى: ((وَيَغْفِـرُ مَـا دُونَ ذَٰلِـكَ لِمَـن يَشَـاءُ))[3]، و((هَٰـذَا مَـا لَـدَيَّ عَتِيـدٌ))[4]، والنكـرة: ضربـان ضرب يلـزم الصفـة وضرب لا يلزمـه والـذي يلزمـه الاسـتفهامية والشرطيـة والتعجـب ومـا عداهـا تكـون منه نكـرة فـلا بـد لهـا مـن صفـة تلزمهـا [5].

وقـال السُّـهيلي: كـذا يقـول النحويـون إنهـا بمعنـى (الـذي) مطلقـا، وليس كذلـك بـل بينهـما تخالـف في المعنـى وبعـض الأَحـكام، أَمَّـا الْمعنـى فـلأن (مـا) اسـم مبهـم في غايـة الإِبهـام حتَّـى إِنَّـه يقـع عـلى المعـدوم نحـو: (إِنَّ اللهَّ عـالم بـما كان وبـما لم يكـن)، وأَمَّـا في الْأَحـكام فإِنَّهـا لا تكـون نعتـا لمـا قبلهـا ولا منعوتـة لأَنَّ صلتهـا تغنيهـا عـن النَّعـت ولا تثنَّـى ولا تجمـع [6]. وينسـب إلى الموصـلات

(١) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة: ٣٤٤.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ج ١ / ص ١٤١.

(٣) سورة النساء: آية ٤٨.

(٤) سورة ق: آية ٢٣.

(٥) ينظر: البرهان في علوم القران: ج ٤ / ص ٢٤٢.

(٦) ينظر: البرهان في علوم القران: ج ٤ / ص ٢٤٢.

بصفة عامة أنها تدل على الغيبة، وأن الموصولات (من وما وأي) تدل على العموم في الأشخاص والنوع والعدد[1].

ولما كان إبلاغ ما يخالف الأهواء من الشدة على النفوس بمكان لا يعلمه إلا ذوو الهمم العالية والأخلاق الزاكية، كان المقام شديد الاقتضاء لتأكيد الحث على الإبلاغ، فدل على ذلك بالاعتراض بين الحال والعامل فيها، بالتعبير بالفعل الدال على داعية هي الردع بأن قال: ((وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ)) أي وإن لم تبلغ جميع ذلك، أو إن لم تعمل به ((فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ))؛ لأن من المعلوم أن (ما) تقع على كل جزء مما أنزل، فلو ترك منه حرف واحد صدق نفي البلاغ لما أنزل، ولأن بعضها ليس بأولى بالإبلاغ من بعض، فمن أغفل شيئاً منها فكأنه أغفل الكل، كما أن من لم يؤمن ببعضها لم يؤمن بكلها، لإدلاء كل منها بما يدليه الآخر، فكانت لذلك في حكم شيء واحد[2].

وإنَّ براعة الابتداء بالنداء فيه بلاغة تومئ إلى التكريم وإعلاء الشأن المنادى تنبيها لما سيتلى عليه من أمر، والنداء إذا تبعه أمر كان دالا على شدة اهتمام المتكلم بهذا الأمر وحرصه على تنفيذه من جهة، وعلى أن الأمر به مقرر على المنادى من جهة أخرى.

وإن بناء الفعل للمعلوم والمجهول في آية التبليغ من الآليات اللغوية التي استعملها الخطاب القرآني، فقد ورد في سورة المائدة الفعل الماضي

(١) البيان في روائع القران: ج ٢ / ص ٢٣.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج ٢ / ص ٥٠٢.

(أَنْـزَلَ) مسـندا إلى الله (أَنْـزَلَ الله)[1] مبنـي للمعلـوم، و(أُنْـزِل) متصـل بحـرف الجـر (إلى) مـع الضمير(مـا أُنـزل إليـك)[2] مبنـي للمجهـول، ففـي البنـاء للمجهـول استحضار المشاهد الغيبيـة غـير المرئيـة حتـى تصبـح كأنها مرئيـة؛ لأن مـن طبيعـة البـشر الميـل إلى المحسـوس، فضـلا عـن دلالـة الخطـاب القـرآني عـلى أن مرسـل الخطـاب ذات واحـدة هـي الـذات الالهيـة وتـدل عليها قرينـة إضافـة كاف الخطـاب، ليصـل الخطـاب في شـكله اللغـوي إلى مرجعيـة الخطـاب الكـبرى هـي علـم الله تعـالى، فـما دام الخطـاب منسـوبا إليـه كان علمه مرجعـا لـكل معرفـة يتـم توصيلهـا مـن خـلال التبليـغ، ومـن لطيـف البلاغـة القرآنيـة في صياغـة الفعـل إلى المبنـي للمجهـول في تشريـع القصـاص والوصيـة والصيـام إن ذلـك كان للتشريـع الشـاق، أمـا مـا كان مـن الأمـور التـي فيهـا استبشـار ورحمـة فقـد بنيـت للمعلـوم، وفي ذلـك يقـول أبي حيـان: بنـاء (كُتب) للمفعـول في هـذه المكتوبـات الثلاثـة، وحـذف الفاعـل للعلـم بـه، إذ هـو: الله تعـالى، لأنهـا مشـاق صعبـة عـلى المكلـف، فناسـب أن لا تنسـب إلى الله تعـالى، وإن كان الله تعـالى هـو الـذي كتبهـا، وحـين يكـون المكتـوب للمكلـف فيـه

(١) ينظر: سورة المائدة: إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ... أَنزَلَ اللَّهُ... (٤٤)... أَنزَلَ اللَّهُ... (٤٥)... بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ... بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ... (٤٧) وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ... (٤٨)... بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ... مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ (٤٩)... مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ... (١٠٤)

(٢) ينظر: المائدة:... وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ (٥٩)... مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ... (٦٤)... وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ (٦٦)... مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ (٦٧) وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ... مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ... (٦٨)... وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ... (٨١)... مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ... (٨٣)



راحة واستبشار يبني الفعل للفاعل[1].

إن ما توصل إليه الشكل اللغوي للخطاب في آية التبليغ من الإبهام في نوع التنزيل، وإضافة هذا الإبهام إلى علم الله، وما فيه من مشاق على المكلف يشي بنوع من الحوار جرى بين الله والرسول، ولمعرفة طبيعة هذا الحوار يجب معرفة العلاقة بين طرفي الخطاب في آية التبليغ.

ثانيا: مقاربة العلاقة بين طرفي الخطاب

إنَّ الحدث اللغوي غير المنطوق يتجلى في المعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب، ويتشكل المعنى وفق هذه العلاقة، فهو نتيجة من نتائج تلك العلاقة مما يفضي إلى اضطلاع المعرفة المشتركة بدور في افتراضات المرسل المسبقة، وإن المعرفة المشتركة والافتراضات المسبقة من العناصر التي تسهم في اختيار استراتيجية الخطاب فعلى هذين العنصرين، وعلى غيرهما ينبني مزيد من العلاقة التي تؤثر في المرسل لانتقاء استراتيجية الخطاب[2].

وإن الخطاب القرآني لا يعتمد في خطابه على الأقوال الصريحة بل يلجأ في بعض الحالات إلى الخطاب التلميحي الذي يدفع المتلقي إلى التفكير في الشي غير المصرح به والمسكوت عنه، وقد تبين أن الافتراض المسبق يتضمن المعطيات والافتراضات المعترف بها والمتفق عليها من طرف المشاركين في العملية التواصلية، وتشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية لتحقيق نجاح عملية التواصل وهي محتواة في القول، ولعل

---

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط: ج ٢ / ص ٣٥.

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ص ٨٨.

الافـتراض المسـبق يكـون مسـتقلا عـن السـياق الـذي قيـل فيـه.

فالافـتراض المسـبق في آيـة التبليـغ يُفهـم منـه أن هنـاك حـوار بـين الله والرسـول كانـت نتيجـة هـذا الحـوار أمـر الرسـول بالتبليـغ، وهـذا الحـوار ليـس الحـوار الأول بينهـما، فقـد تجسـد هـذا الحـوار في بـدأ التنزيـل في قولـه تعـالى ((اقْـرَأْ بِاسْـمِ رَبِّـكَ الَّـذِي خَلَـقَ))[1]، يقابلـه الحـوار الـذي جـرى في ختـم التنزيـل في (يـا أيهـا الرسـول بلغ)، إذ لا نقـول بـأن ملفوظـا مـا يقتـضي غـيره إلا إذا كانـت حقيقـة هـذا الأخـير شرطـا مسـبقا لحقيقـة الأول[2].

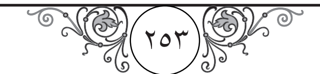
وإن هـذا التبليـغ فيـه أبعـاد تلميحيـة، تظهـر بشـكل أقـوال مضمـرة أو فتراضـات مسـبقة ممـا يجعـل القـارئ يفـترض عـدة افتراضـات مسـبقة، لأن صيغـة (مـا أُنـزل) بالبنـاء للمجهـول كـما مـر تعنـي أن الأمـر قـد قـضي وانتهى، وأن سريـان أمـر التبليـغ مفـروغ منـه، وبنـاء الفعـل للمجهـول جـاء عـلى وتـيرة حـوار بـين الله والرسـول، ولإن التداوليـة تـرى أن في مقابـل العبـارات التـي يثبـت بهـا المتكلـم أقوالـه يوجـد في اللغـة عبـارات تسـمح بتمريـر بعـض الأحـداث دون إثباتهـا[3].

يقـول الطباطبائـي في افـتراض مسـبق: كان مـن الممكـن أن يكـون تبليـغ بعـض الأحـكام ممـا يوقـع في الوهـم انتفـاع النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) بتشريعـه وإجرائـه يسـتوجب أن يقـع في قلوبهـم أنـه مُلـك في صـورة النبـوة،

(١) سورة العلق: آية ١.

(٢) ينظر: المقاربة التداولية: ص ٥٢.

(٣) ينظر: من اللسانيات إلى اللسانيات التداولية في إشكالية التحول والتطور: د. حمو الحاج ذهبية: ص ١٧٢، ضمن كتاب التداوليات وتحليل الخطاب



وقانـون ملكـي في هيئـة الديـن.

ونتيجـة هـذا الإفـتراض: أن هـذه شـبهة لـو كانـت وقعـت هـي أو مـا يماثلهـا في قلوبهـم ألقـت إلى الديـن مـن الفسـاد والضيعـة مـالا يدفعـه أي قـوة دافعـة، ولا يصلحـه أي تدبـير مصلـح فليـس هـذا الحكـم النـازل المأمـور بتبليغـه إلا حكـما فيـه توهـم انتفـاع للنبـي (صـلى الله عليـه وآلـه)، واختصـاص لـه بمزيـة مـن المزايـا الحيويـة لا يشـاركه فيهـا غـيره مـن سـائر المسـلمين[1].

وهـذا الانتفـاع خـص بـه ابـن عمـه عـلي (عليـه السـلام)، وهـذا يقودنـا إلى الافـتراض الآتي:-

افتراض التبليغ

١- إن قومـه حديثـي عهـد بالجاهليـة ومواقـف عـلي عليـه السـلام معهـم معروفـة

٢- كثرة المؤذين له واللائمين لملازمته لعلي (ع)

٣- يقال له أنه حابى ابن عمه علي عليه السلام

٤- يشق ذلك على جماعة من أصحابه تولية علي (ع)

فقـد ظهـر مـن جميـع مـا تقـدم أن الآيـة تكشـف عـن حكـم نـازل فيـه شـوب انتفـاع للنبـي (صـلى الله عليـه وآلـه)، عـن طريـق عـلي (عليـه السـلام) واختصاصـه بمزيـة حيويـة، وهـذا الموقـف قـد يعـرض حيـاة النبـي صـلى الله عليـه والـه وسـلم إلى الخطـر.

وهنـاك مواقـف مفترضـه لعـلي عليـه السـلام مـع العـرب وقريـش، أنهـم

---

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ج ٦ / ص ٤٨.

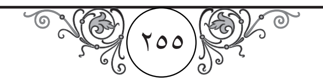
كانـوا في أمـره عـلى طبقـات: منهـم رجـل قـد قتـل عـلي عليـه السـلام أبـاه أو أبنـه أو أخـاه أو ابـن عمـه أو حميمـه أو صفيـه أو سـيده أو فارسـه؛ ولأنهـم حديثـي عهـد بالجاهليـة، هـذا الأمـر يشـكل خطـر عـلى حيـاة الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه.

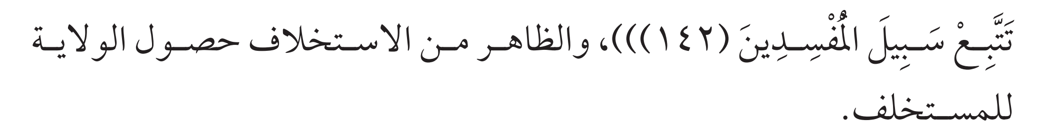
ومنهـم رجـل قـد زمـل غيظـه وأكمـن ضغينتـه يـرى أن سـترهما في نفسـه ومـدارة عـدوه أبلـغ في التدبـير، وأقـرب مـن الظفـر؛ لأنهـم يعتقـدون أن الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه كان ملازمـا لعـلي عليـه السـلام، فقـد يحابيـه في أمـر الولايـة، وهـذا أيضـا يشـكل خطـر عـلى الرسـول [1].

إن هـذه الموقـف مـن الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه، قـد سـبق بموقـف مـن أهـل الكتـاب مـع أنبيائهـم، فصّلتـه سـورة المائـدة، في ذكـر قـوم موسـى، وحـواره معهـم، قـال تعـالى: ((قَالُـواْ يَـا مُوسَـى إِنَّـا لَـن نَّدْخُلَهَـا أَبَـدًا مَّـا دَامُـواْ فِيهَـا فَاذْهَـبْ أَنـتَ وَرَبُّـكَ فَقَاتِـلا إِنَّـا هَاهُنَـا قَاعِـدُونَ (٢٤) قَـالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِـكُ إِلاَّ نَفْسِـي وَأَخِـي فَافْـرُقْ بَيْنَنَـا وَبَـيْنَ الْقَـوْمِ الْفَاسِـقِينَ (٢٥)))، أي أن قومـه لم يمتثلـوا أمـر القتـال مـع موسـى (عليـه السـلام)، وتُـرك هـو وأخـاه، الـذي كان وزيـرا لموسـى عليـه السـلام في سـورة الفرقـان قـال تعـالى: ((وَلَقَـدْ آتَيْنَـا مُوسَـى الْكِتَـابَ وَجَعَلْنَـا مَعَـهُ أَخَـاهُ هَـارُونَ وَزِيـرًا (٣٥) فَقُلْنَـا اذْهَبَـا إِلَى الْقَـوْمِ الَّذِيـنَ كَذَّبُـوا بِآيَاتِنَـا فَدَمَّرْنَاهُـمْ تَدْمِـيرًا (٣٦)))، وفي سـورة الأعـراف قولـه تعـالى: ((وَوَاعَدْنَـا مُوسَـىٰ ثَلَاثِـينَ لَيْلَـةً وَأَتْمَمْنَاهَـا بِعَشْرٍ فَتَـمَّ مِيقَـاتُ رَبِّـهِ أَرْبَعِـينَ لَيْلَـةً وَقَـالَ مُوسَـىٰ لِأَخِيـهِ هَـارُونَ اخْلُفْنِـي فِي قَوْمِـي وَأَصْلِـحْ وَلَا

---

(١) ينظر: رسائل الجاحظ: ج ٤ / ص ٢١٠.





تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢)))، والظاهر من الاستخلاف حصول الولاية للمستخلف.

وهذه الافتراضات تقودما إلى الإنصات إلى السيرة النبوية التي ورد فيها قول الرسول صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، فاقتضى هذا الظاهر أن له كل منازل هارون من موسى؛ لأنه أطلق ولم يخصص ما دل عليه العقل، والاستثناء المذكور، ولولا أن الكلام يقتضي الشمول لما كان للاستثناء معنى، وإنما نبه عليه السلام باستثناء النبوة على أن ما عداه قد دخل تحته إلا ما علم بالعقل أنه لا يدخل فيه نحو الأخوة في النسب أو الفضل الذي يقتضيه شركة النبوة إلى ما شاكله، وقد ثبت أن أحد منازله من موسى عليه السلام أن يكون خليفته من بعده، وفي حال غيبته، وفي حال موته، فيجب أن يكون حال أمير المؤمنين عليه السلام من بعد النبي صلى الله عليه واله[1].

وأن تقاطع المعلومات بين ما ورد من تفصيلات في سورة المائدة، وما ورد في السيرة النبوية من الحديث الآنف يدفعنا إلى البحث عن علاقة الله مع الرسول صلى الله عليه وآله في هذه السورة بالذات، وعلاقة الرسول صلى الله عليه وآله مع علي عليه السلام.

ومِنْ تدبر هذه السورة تبيّن أن بناء ما أُنزل إلى الرسول للمجهول يختلف عن ما أَنزل الله للرسول في القرآن الكريم، أي ما بين الدفتين، كما

(١) ينظر: الشافي في الإمامة: ج ٣/ ص ٥ - ٦.

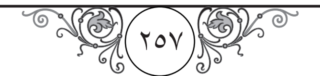
أن ما في التوراة والإنجيل يختلف عن ما أُنزل إلى موسى وعيسى عليهما السلام، بدلالة العطف بينهم في سياق الآية الذي يدل على التغاير، أي أن ما أُنزل إلى موسى عليه السلام غير التوراة، فما أنزل مجموعة من الوصايا، هذه الوصايا تلقاها موسى عليه السلام شفاها عن الله، يقول صاحب قصة الحضارة: وأما ما بقي من شريعة موسى فيدور كله حول الوصايا العشر (سفر الخروج الآيات ١ - ١٧ من الإصحاح العشرين) التي قدر لها أن يرددها نصف سكان العالم[١]، هذه الوصايا هي غير التوراة أكيدا.

والحاصل أنه تبين من آية التبليغ أن هناك وصايا تلقاها الرسول محمد عن الله شفاها أُمر بتبليغها، وكانت هذه الوصايا ما قاله الرسول صلى الله عليه واله وسلم في حجة الوداع، وما أخذ على الناس من الامتثال والطاعة والإتباع لعلي عليه السلام.

وهنا نصل إلى السؤال الجوهري عن آية التبليغ: ما الهدف من الخطاب بهذه الآية بولاية علي عليه السلام بين آيات تتحدث عن اليهود والنصارى؟ أو بمعنى أخر ما الهدف مِنْ ذكر الولاية في هذه السورة بالتحديد؟ إذا أخذنا بقول صاحب المنار: إن سياق الآيات السابقة واللاحقة بشأن أهل الكتاب لا تنسجم مع قضية الولاية والخلافة والإمامة، ولا تتناسب هذه الاثنينية في الخطاب مع بلاغة وفصاحة القرآن

---

(١) ينظر: قصة الحضارة: ج ٢ / ص ٣٧١.



.[1]

ثالثا: مقاربة هدف الخطاب

أهم شيء يركز عليه غرايس في مبدأ التعاون هو قدرة هذا المبدأ على توجيه أفعال المتكلم إلى هدفه حيث يمارس ضغطا على المتلقي وقيدا خطابيا من أجل توجيهه لفعل معين في المستقبل؛ لأن غاية ما يهم المتكلم هو تحقيق هدفه من الخطاب، ولا ينتج المرسل خطابه عبثا، ولكنه ينتجه من أجل تحقيق هدف معين، وتتفاوت الأهداف من حيث أهميتها الخطابية، ومن حيث ما تتطلبه من عمل ذهني ومخزون لغوي لتحقيقها[2].

والهدف من عناصر السياق التي تسبق إنتاج الخطاب، وله بذلك دور في التأثير على المرسل وتوجيهه في اختيار الإستراتيجية الخطابية من حيث أدواتها وآلياتها اللغوية المناسبة التي تكفل تحقيقه[3].

ويتكون الهدف من مستويين: هدف نفعي، وهدف كلي، فالمستوى النفعي يقع خارج الخطاب وهو الغاية الفعلية التي يريد المرسل أن يحققها، أما المستوى الكلي فيتجسد في الفعل اللغوي الذي يمارسه المرسل من خلال عملية التلفظ بالخطاب[4].

---

(١) ينظر: تفسير المنار: ج ٦ / ص ٤٦٦.

(٢) ينظر: استراتيجية الخطاب: ص ١٤٩.

(٣) ينظر: استراتيجية الخطاب: ص ١٤٩.

(٤) ينظر: استراتيجية الخطاب: ص ١٤٩ - ١٥٠.

والناظر في سورة المائدة يرى الهدف النفعي يتجلى في قوله تعالى: ((وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ))[1]، وهي الآية التي تسبق آية التبليغ، وقد ورد عن أبي عمرو الجوني: قال سلمان الفارسي حين بويع أبو بكر: لو بايعوا عليا لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم[2].

أما الهدف الكلي في سورة المائدة فيتجلى في قوله تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ))[3]، أي الالتزام بالمواثيق والعهود، وهذه الآية التالية لآية التبليغ.

وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ — تشابه — قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ

↕

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ

فلو عدنا إلى مبدأ التعاون الذي صاغه غرايس عند حديثه عن الخطاب الذي يكون الغرض منه هو التبليغ[4]، وحاولنا أن نشرح كيف

(١) سورة المائدة: آية ٦٦.

(٢) ينظر: أنساب الأشراف: ج ٢ / ص ٢٧٤.

(٣) سورة المائدة: آية ٦٨.

(٤) ينظر: استراتيجية الخطاب: ص ١٢٢.





(بواسطة قواعد مشتركة أو تحادثية) يقدر مستخدمو اللغة الأكفاء على أن يفهم بعضهم البعض[1]، لوجدنا أن مبدأ التعاون يشكل حجر الزاوية في آية التبليغ؛ لأن السياق الحاف بهذه الآية يبرز أن الآية لا تشارك الآيات السابقة عليها واللاحقة لها في سياقها، وهو خرق لمبدأ المناسبة، أو أنها تشاركها في سياقها وسردها ولكنها ليس فيها وضوح المعلومة وهو خرق لمبدأ الكم، ونوضح مشاركتها عن طريق التشابه بين الآيات السابقة واللاحقة.

وإذا سلمنا بوجود خرق لقواعد التخطاب، سنصل المسكوت عنه في آية التبليغ، ونجيب عن السؤال الذي طرحناه آنفا عن موقع آية التبليغ في سورة المائدة، ويجب نستحضر في ذهننا أن لسورة المائدة وضعا يختلف عن سائر سور القرآن، فهي آخر سورة نزلت على الرسول صلى الله عليه واله وسلم أو من أواخر السور أي أنها آخر لبنة من بناء الأحكام والتشريعات، يقول الطاهر بن عاشور: وقد احتوت هذه السورة (يعني المائدة) على تشريعات كثيرة تنبئ بأنها أُنزلت لاستكمال شرائع الإسلام ولذا افتتحت بالوصاية بالوفاء بالعقود[2]، ومن هذه التشريعات الولاية التي ختم بها مبلغ الرسالة صلى الله عليه واله رسالته، حتى قيل أن الرسول لم يعمر بعد نزول سورة المائدة إلا أحد وثمانين يوما أو اثنين

(١) ينظر: المعنى في لغة الحوار مدخل إلى البراجماتية (التداولية): ص ٧٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ج ٦ / ص ٧٢.



وثمانين يوما[1]، ولعل أكثر خطر سيواجه الدولة الإسلامية بعد رحيل الرسول هو وجود اليهودية والنصرانية.

وقد عرفنا في ما مر آنفا أن هناك موقف متصلب تجاه علي عليه السلام من قريش، في الافتراضات المسبقة التي ذكرناها، وقد يكون هذا الموقف نفسه عند أهل الكتاب، وخاصة اليهود من موقعة خيبر التي كان لعلي عليه السلام دورا فيها، وكما قلنا أن حياة النبي صلى الله عليه واله وسلم قد تعرضت للخطر بسبب هذا الموقف، فهنا إيضا تتعرض لنفس الخطر من أهل الكتاب؛ لأن تعيين خليفة لرسول الله صلى الله عليه واله قد يترك أثره على قومه، ويترك أثره على قضايا أهل الكتاب أيضا؛ لأنه سيؤدي إلى يأسهم من انهيار الإسلام برحيل النبي صلى الله عليه واله[2].

وإن علي عليه السلام الامتداد الطبيعي للرسول صلى الله عليه وآله، أو بعبارة أخرى أن الإمامة والولاية هي الامتداد الطبيعي للنبوة والرسالة، وقد كانت الديانة اليهودية نموذجا حيا للتحريف والانسياق وراء نزوات الذات فكان النبي الجديد بالنسبة إليها تهديدا للسلطة التي كانت تملكها المؤسسة الدينية، وعليه نجد إن العداء لنبي الإسلام تحصيل حاصل، فتحوّل النبوة من الجماعة اليهودية إلى قبيلة عربية مسّ بكرامة الأنبياء، وتجاوز للشرائع اليهودية، وهو أيضا ضربة للمؤسسة الدينية النصرانية،

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ج ١١ / ص ١٣٩.

(٢) ينظر: نفحات القرآن أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقران الكريم: ج ٩ / ص ١٧٦.



وتحدٍّ يهدد الكيان الوجودي للمسيحية[1].

ومن الواضح أن أصل العداء اليهودي للدعوة المحمدية في المدينة كان شعورا بالازدراء يغذيه إحساس بالتفوق الديني تجاه ما يمكن أن يظهر كتلفيق للتقليد التوراتي، إلا أن هذا التفوق كان يستند أيضا على إرث كتابي عتيق، وعلى غرور قومي وثقافي، إن ما رفضه اليهود في دعوة يسوع، ذلك الشخص المتطور داخل اليهودية، ويرفضونه كذلك لمحمد، ذلك العنصر الغريب والخاجي[2].

نتائج البحث:

١ - إن آية التبليغ (٦٧) في سورة المائدة مشبعة بالمسكوت عنه وغير المصرح به وهي من الآيات المعضلة، لمن لم يتدبرها ويفكر فيها.

٢ - إن الجهاز المفاهيمي للمقاربة التداولية يبحث في الجوانب الآتية: الإشاريات والافتراض المسبق والاستلزام الحواري، وهي المفاهيم التي اعتمدناها في البحث للوصل إلى المسكوت عنه في آية التبليغ.

٣ - إن آية التبليغ تحمل مجموعة من الإشاريات التي لا يمكن تفسيرها بمعزل عن السياق الذي جاءت فيه والمرجع الذي تحيل إليه، وفيها الخطاب القرآني استعمال أدواته اللغوية للتعبير عما يريد إيصاله إلى المتلقي من خلال النداء وتكراره، وإبهام (ما) الموصولة، وبناء الفعل (أنزل) إلى

---

(١) ينظر: عداء النبي صلى الله عليه واله وسلم من الشخص إلى العقيدة (بحث): شريف الدين بن دوبة: ص ٦٧.

(٢) ينظر: أوربا والإسلام: ص ١٠.

المجهول وإبهام دلالته.

٤ - إن الخطاب القرآني بصورة عامة، وفي آية التبليغ بشكل خاص لا يعتمد في خطابه على الأقوال الصريحة بل يلجأ في بعض الحالات إلى الخطاب التلميحي الذي يدفع المتلقي إلى التفكير في الشي غير المصرح به، وممكن استنطاق النص بشكل افتراضات للوصول إلى المسكوت عنه فيه.

٥ - إن لسورة المائدة وضعا يختلف عن سائر سور القرآن، فهي آخر سورة نزلت على الرسول صلى الله عليه واله وسلم أو من أواخر السور، وهناك وضع آخر يخص آية التبليغ فهي متزامنة مع حجة الوداع، وما حدث فيها من وصايا بلغها الرسول صلى الله عليه واله لمن حضر، ومن أهم هذه الوصايا التأكيد على الولاية لعلي عليه السلام.

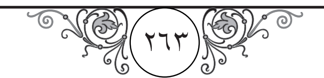
٦ - إن تعيين خليفة لرسول الله صلى الله عليه واله يترك أثره على قضايا أهل الكتاب، وخاصة في الحفاظ على الرسالة؛ لأنه سيؤدي إلى يأسهم من انهيار الإسلام برحيل النبي صلى الله عليه واله.

المصادر والمراجع

١ - استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط ١، لسنة ٢٠٠٤ م.

٢ - آفاق جديدة في البحث اللساني المعاصر: الدكتور: محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، لسنة ٢٠٠٢ م.

٣ - أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تحقيق: فيلفرد ماديلونغ، مطبعة مؤسسة البيان، بيروت - لبنان، ط ١، لسنة ٢٠٠٣ م.



٤ - البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٣، لسنة ٢٠١٠ م.

٥ - البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت - صيدا، لسنة ٢٠٠٦ م.

٦ - بلاغة الخطاب وعلم لغة النص: الدكتور: صلاح فضل، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط ١، لسنة ١٩٩٦ م.

٧ - البيان في روائع القران: الدكتور: تمام حسان، عالم الكتب، ط ٢، لسنة ٢٠٠٠ م.

٨ - تجديد المنهج في تقويم التراث: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط ٢.

٩ - التحرير والتنوير: سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس لسنة ١٩٨٤ م.

١٠ - تحليل الخطاب: تأليف ج. ب. براون و ج. يول، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزليطي، ود. منير التريكي، النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود.

١١ - التداوليات وتحليل الخطاب: الدكتور: جميل حمداوي، ط ١، لسنة ٢٠١٥ م.

١٢ - التداولية: جورج يول، ترجمة الدكتور قصي العتابي، الدار العربية



للعلـوم نـاشرون، الربـاط، ط ١ لسـنة ٢٠١٠ م.

١٣ - التداوليـة عنـد العلـماء العـرب:، دراسـة تداوليـة لظاهـرة (الأفعـال الكلاميـة) في الـتراث اللسـاني العـربي: د. مسـعود صحـراوي، دار الطليعـة للطباعـة والنـشر- بـيروت، ط ١، لسـنة ٢٠٠٥ م.

١٤ - التداوليـة مـن أوسـتن إلى عوفـمان: فيليـب بلانشـيه، ترجمـة: صابـر الحباشـة، دار الحـوار للطباعـة والنـشر، سـوريا - اللاذقيـة، ط ١، لسـنة ٢٠٠٧ م.

١٥ - التداوليـة وتحليـل الخطـاب نحـو تحليـل جديـد لجنـس المقامـة في الأدب العـربي: د. محمـود طلحـة، ضمـن كتـاب التداوليـات وتحليـل الخطـاب، بحـوث محكمـة، ط ١، لسـنة ٢٠١٤ م.

١٦ - تفسـير المنـار: السـيد محمـد رشي رضـا، دار المنـار، ط ٢، لسـنة ١٩٤٧ م.

١٧ - رسـائل الجاحـظ: لأبي عثـمان عمـرو بـن بحـر الجاحـظ (ت ٢٥٥ ه) تحقيـق وشرح: عبـد السـلام محمـد هـارون، مكتبـة الخانجـي بمـصر، ط ١، لسـنة ١٩٧٩ م.

١٨ - الشـافي في الإمامـة: الشريـف المرتـضى عـلي بـن الحسـين الموسـوي، حققـه وعلـق عليـه: السـيد عبـد الزهـراء الحسـيني الخطيـب، مراجعـة: السـيد فاضـل الميـلاني، مؤسسـة الصـادق للطباعـة والنـشر، طهـران - إيـران، ط ٢.

١٩ - الصاحبـي في فقـه اللغـة: أبـو الحسـين أحمـد بـن فـارس بـن زكريـا، تحقيـق: أحمـد صقـر، مكتبـة ومطبعـة، دار إحيـاء الكتـب العربيـة.

٢٠ - علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية: شاهر الحسن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، لسنة ٢٠٠١ م.

٢١ - علم الدلالة في إطار جديد: ف. ر. بالمر، ترجمة: دكتور صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، لسنة ١٩٩٥ م.

٢٢ - في سيميائية الشعر القديم دراسة نظرية وتطبيق: محمد مفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع، لسنة ١٩٨٩ م.

٢٣ - قصة الحضارة: ول وايريل ديورانت، ترجمة: محمد بدران.

٢٤ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأوي: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث، ط ٢، لسنة ٢٠٠١ م.

٢٥ - اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط ١، لسنة ١٩٩٨ م.

٢٦ - لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب: حمو الحج ذهبية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المينة الجديدة - تيزي وزو.

٢٧ - اللسانيات الوظيفية مدخل نظري: أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ٢.

٢٨ - مبادئ التداولية: جيوفري ليتش، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق - المغرب.

٢٩ - المدارس اللسانية المعاصرة: الدكتور: نعمان بوقرة، مكتبة الآداب - القاهرة.

٣٠ - المضمر: كاترين كيربرات - أوريكيوني، ترجمة: ريتا خاطر، مراجعة: جوزيف شريم، المنظمة العربية للترجمة، ط ١، لسنة ٢٠٠٨ م.

٣١ - معجم تحليل الخطاب: باشراف: باتريك شارودو - دومينيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري - حمادي صمود، المركز الوطني للترجمة، تونس، لسنة ٢٠٠٨ م.

٣٢ - المعنى في لغة الحوار مدخل إلى البراجماتية (التداولية): د. جيني توماس، ترجمة: د. نازك إبراهيم عبد الفتاح، دار الزهراء - الرياض، ط ١، لسنة ٢٠١٠ م.

٣٣ - مفاتيح الغيب، المشتهر بالتفسير الكبير: الإمام محمد الازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، دار الفكر للطباعة والنشر.

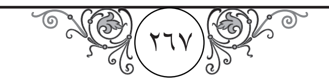
٣٤ - المقاربة التداولية: فرانسواز أرمينكو، ترجمة: د. سعيد علوش، مركز الإنماء القومي.

٣٤ - المقاربة التداولية للأدب: إلفي بولان، ترجمة: محمد تنفو، وليلى أحمياني، مراجعة وتنسيق وتقديم: سعيد جبار، رؤية للنشر والتوزيع، لسنة ٢٠١٨ م.

٣٥ - مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب: الدكتور محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١، لسنة ٢٠٠٤ م.

٣٦ - من اللسانيات إلى اللسانيات التداولية في إشكالية التحول والتطور: د. حمو الحاج ذهبية:، ضمن كتاب التداوليات وتحليل الخطاب

٣٧ - الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي،





مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١، لسنة ١٩٩٧ م.

٣٨ - النداء في اللغة والقرآن: الدكتور: أحمد محمد فارس، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، ط ١، لسنة ١٩٨٩ م.

٣٩ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، ط ٣، لسنة ٢٠٠٦ م.

٤٠ - نفحات القرآن أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقران الكريم: آية الله العظمى مكارم الشيرازي، المطبعة الحيدرية، مؤسسة أب صالح للنشر والثقافة.

جماليات المعنى النثريِّ في مرويات عيد الغدير

أ. م. د. ساهرة عدنان وهيب العنبكي

مقدمة

دأبت الدراسات العربية للأدب وتاريخه على دراسة النصوص النثرية والمرويات عن حديث الغدير لما فيه من أهمية تركيبية ودلالية وإيقاعية، ففي الخطاب النثري تتحول المفردات إلى مفردات شعرية من خلال اكتسابها للدلالات الفنية وكأنَّها في نصٍّ شعريٍّ ما خلا الوزن والقافية، فتنقل تجربة الكتاب النثريين في سياقات شعرية على وفق نظريات تداخل الأجناس الأدبية في العصر الحديث، فمصطلح الجمالية لم يعد مقصوراً على النصِّ الشعري، بل تعدّاه إلى النص النثري، فقد وظف الرسول الكريم صلَّى الله عليه وآله النصَّ الغديريَّ مملوءاً بالدلالات المتشعبة والعميقة والشعرية لتؤدي وظيفتها الإبداعية، على الرغم من غياب العنوان الذي يمكن عن طريق عتبته الولوج إلى متن النص، الذي يسهم في إصدار توقع المتلقي أو عدم توقعه، فالعنوان ثيمة شحذ للمتلقي في فهم النص، وفك شفرته، بل ويجعله مشاركاً فعّالاً للنص كونه عنصراً إيجابياً فيه، ومن ثمَّ يتحول العنوان سيميائية خصوصية تكشف عن المقصدية، فالمكان هو (غدير خم) على الرغم من عدم ذكره في نصِّ الرسول صلَّى الله عليه وآله، لكن أجمعت المرويات التي سيتم ذكرها على أنَّ الخطبة قيلت في هذا

المكان الذي يفتح للقارئ دلالات السكون والسكينة والوقار والهدوء إنْ صحَّ التعبير، كون المتحدث هو رسول الله صلَّى الله عليه وآله.

وتوجب بذلك أنْ يدرس النص تركيبياً ودلالياً وإيقاعياً للبوح عن مكنوناته الجمالية بعد أنْ عدت النظرية الجمالية من النظريات الأدبية والنقدية التي ظهرت في العصر الحديث في تسعينيات القرن العشرين، وهي بعيدة كلَّ البُعد عن المفاهيم السياقية للنص الأدبي والتي تعنى بالتاريخية أو النفسية، أو المادية، أو الفلسفية، فهي نظرية ثقافية ترجع في تحليل النص إلى النص ذاته ولا تعوّل على السياقات الخارجية له، وتتجاوز طروحات النقد الثقافي الذي يعول على الأنساق المضمرة في الخطاب الأدبي، فنجد في تلك التراكيب دلالات وموسيقى وفنيات ذات مقصدية جمالية تأثيرية في المتلقي للخطاب، وهي إقناعية بما تحمله من طاقة تأثيرية ضمن سياقها الذي نظمت فيه، ولا سيما المجازية التي تعطي لمفهوم الاتساع دوراً في الخطاب بسبب العمق الدلالي.

التمهيد

ورد حديث الغدير في كتب وروايات كثيرة منها مسند أحمد بن حنبل، لَمَّا أخذ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله بيد عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: «**ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»، فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة[1].

(١) ينظر: الروض النضير في معنى حديث الغدير: ١٤ نقلًا عن مسند احمد بن حنبل: ٤/ ٢٨١.

وإنّ حسان بن ثابت نظم واقعة الغدير شعراً بإجازة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وورد تصريح بالخلافة والإمامة:

فقال له قم يا عليُّ فإنّني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له أتباع صدق مواليا[1]

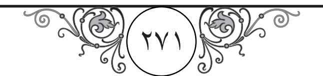
ويوم الغدير هو اليوم الذي أعلن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله للمسلمين نبأ دنو أجله وأنه مفارق قريبا، وأن حجةُ ذاك هو آخر حج وأنه في مقام الوصية، وتثبيت العهد والولاية من بعده وهو اليوم الذي عهد فيه الرسول صلَّى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام واستخلفه على أُمَّته من بعده وأخذ منهم البيعة وأمرهم بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين وتهنئته بالتنصيب الإلهي المقدس وبإكمال الدين وإتمام النعمة.

وهو اليوم الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[2]، وسمي بيوم الغدير نسبة إلى غدير خم وهو موضع يقع على مفترق الطرق المؤدية إلى مكة المكرمة من أنحاء الوطن الإسلامي آنذاك في أواخر حياة الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله[3]، إذ خطب النبيُّ خطبة سياسية مطولة وبموجبها عهد العهد للإمام عليٍّ عليه السلام، وهو اليوم الثامن عشر

(1) ينظر: الروض النضير: ٧٧ ويذكر صاحب الكتاب أكثر المصادر من السنة والشيعة التي ذكرت الحديث وتجاوزت ٢٢٥ مصدراً.

(2) سورة المائدة، الآية: ٣.

(3) ينظر: الروض النضير: ٤٣٧.



مـن ذي الحجـة الحـرام.

وكان آخـر سـنة مـن عمـر الرسـول صـلَّى الله عليـه وآلـه وفي آخـر حجّـة حجّهـا وفي السـنة العـاشرة مـن الهجـرة، وهـي أَوّل سـنة تتحقـق فيهـا الولايـة الكاملـة عـلى الحـجِّ للرسـول وللمسـلمين، وأَوّل سـنة يبسـط الإسـلام نفـوذه وسـلطانه عـلى معظـم أطـراف الجزيـرة العربيـة.

١. المحور الأوّل مفهوم الجمالية:

وهـي نظريـة نقديـة أدبيـة ظهـرت مـا بعـد الحداثـة كـردٍّ فعـل عـلى مجموعـة النظريـات السـياقية كنظريـة مـا بعـد الاسـتعمار، والنظريـة العرفيـة والنظريـة الثقافيـة، والتاريخيـة الجديـدة، فأعطـت الجماليـة الأولويـة للإحسـاس والجـمال والفـن والشـعور والـذوق والشـعرية، لكنَّهـا أهملـت المعطيـات الأُخـرى كالسـياق المرجعـي، والبعـد الثقـافي، والتاريخـي والاجتماعـي والآيديولوجـي والخطـاب الاسـتعماري، فكانـت الجماليـة مقاربـة بلاغيـة وفنيـة وشـعرية في الوقـت نفسـه[1]، فهـي علـم يعنـى بالـذوق والجـمال والفـن والإبـداع، وممَّـا يدعـم كلام أصحـاب النظريـة عـودة منهـج الفـن مـن أجـل الفـن، شريطـة الإحسـاس الجديـد بالشـكل الجـمالي مـع وعـي السـياق الاجتماعـي والشـواغل السياسـية، عـلى الرغـم مـن كـون النـص يبقـى قـاصراً، إذ لا بُـدَّ مـن الانفتـاح عـلى المعطيـات السـياقية والعنـاصر الخارجيـة والاهتـمام بالمؤلـف والمتلقـي، والاسـتعانة بالسـياق الثقـافي والاجتماعـي والآيديولوجـي والتاريخـي لفهـم

(١) ينظر: الجمالية الجديدة، د. جميل حمداوي، شبكة الالوكة، ٢٠١٢. www. alakah. net.

النـص الأدبي.

ويوصـف النـص بأنَّـه رسـالة بـين يـدي المؤلـف المرسِـل فتنتقـل إلى يـد القـارئ والمتلقـي المستقبل، ليتحـول إلى رسـالة جديـدة بحكـم تجربـة التلقـي، إذ تتفاعـل النصـوص الجديـدة المبتدعـة وتشـكيلاتها الخاصـة لتخـرج حاملـة معـاني جديـدة تنسـجم مـع أبعـاد التجربـة الخاصـة فيتحـول المتلقـي إلى منتج جديـد للنـص بأبعـاد جديـدة، فتتعـدد القـراءات المنتجـة[١].

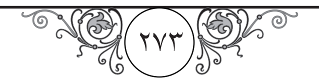
وصرح بتواتـر حديـث الغديـر أكثـر مـن أربعـة عـشر كتابـاً راويـاً للحديث، وأكثـر في كتـب عديـدة ذكرهـا صاحـب كتـاب الـروض النضـير في معنـى حديـث الغديـر[٢]، منهـا الروضـة النديـة في شرح التحفـة العلويـة للسـيد محمـد بـن إسـماعيل بـن صـلاح الديـن الأمـير، وكتـاب درايـة حديـث الولايـة لأبي سـعيد مسـعود بـن نـاصر السجسـتاني، وغيرهـم كثـير.

والجماليـة مفـرد مؤنـث منسـوب إلى جمـال، ودراسـة جماليـة تُعنـى بالقيمـة والعنـاصر التـي تكسـب العمـل جمـالاً فنيـاً، وشـعار هـذا الاتجـاه الفـن للفـن [معجـم اللغـة العربيـة المعـاصرة].

فقـد نظـرت الأفلاطونيـة في مذهبهـا المعـرفي جمـالاً مطلقـاً خالـداً وعـدّت جمـال الأشـياء يرجـع إلى أنَّهـا تحـوي انعكاسـاً للمثـل ويسـتهدف الفـن عندهـا إعـادة خلـق ذلـك الجـمال المتعـالي المطلـق والإبـداع داخـل نطاقـه، وصـواب القـول إنَّ أدبيـة الأدب وإضافتـه الجماليـة ماثلـة في علاقاتـه بـما هـو خارجـه

(١) ينظر: جمالية المعنى الشعري (التشكيل والتأويل) د. عبد القادر الرباعي، الأردن، ١٩٩٨م: ١٠.

(٢) ينظر: الروض النضير، فارس حسون كريم: ١٠-١٢.





من طبيعة حولها الإنسان وصنعتها الإنسانية عبر تاريخها.

وأجمعت تفاسير الشيعة الإمامية على كون آية التبليغ نزلت في خصوص إعلان تنصيب الإمام عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام إماماً وخليفة في سورة المائدة (الآية: ٣)(١)، ونص الآية: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾(٢)، وموضوعها ولاية أمير المؤمنين (عليّ) بعد الرسول صلَّى الله عليه وآله.

وهناك أدلة ومرويات أثبتت ولاية الأمير صراحة في الأحاديث النبويّة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام كونها أمراً إلهيّاً منها قوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا بنيَّ بعدي»(٣)، ومنهُ قوله صلَّى الله عليه وآله: «أنت وليّ كلِّ مؤمن بعدي»(٤)، ومنهُ قوله صلَّى الله عليه وآله: «هذا إمام البررة، قاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله»، ثم مدَّ بها صوته(٥)، ومنه قوله صلَّى الله عليه وآله: «إنَّه سيد

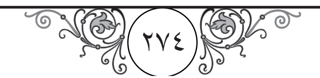
(١) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة السبطين العالمية. وتفسير الدر المنثور:٢/ ٢٩٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة تبوك: ٥/ ١٢٩، ط دار الفكر، وباب مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: ٤/ ٢٠٨، دار الفكر. والمستدرك للحاكم: ٣/ ١٠٩.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ٥/ ٢٥، برقم٣٠٦٢، سند صحيح، ط دار المعارف مصر. وينظر: المستدرك للحاكم النيسابوري: ٣/ ١٣٤، ط أفست. وتاريخ دمشق لابن عساكر: ١/ ٣٨٤، برقم ٤٩٠.

(٥) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، ابن المغازي الشافعي: ٨٤، و١٢٠، و١٢٥. وتاريخ



المسلمين وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجلين»[١].

وقوله صلَّى الله عليه وآله: «**يا معشر الأنصار ألا أدلّكم على ما إنْ تمسكتم به لن تضلوا بعده أبداً، هذا عليٌّ فأحبّوه بحبِّي، وأكرموه بكرامتي، فإنَّ جبرائيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عزَّ وجلَّ**»[٢]، وقوله صلَّى الله عليه وآله: «**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد العلم فيأت الباب**»[٣].

وعن ابن عباس يقول: قال صلَّى الله عليه وآله واله: «**ذكر الله عزَّ وجلَّ عبادة، وذكري عبادة، وذكر عليٍّ عبادة وذكر الأئمة من ولده عبادة...**»[٤]، وجمالية الخطاب للمرويات تتأتى من معطيات وخصائص فنية، علائقية، كونها تختص بشخصية واحدة ومن بعدها النسل العلوي المطهر للأئمة الاثني عشر.

٢. المحور الثاني في المستوى التركيبي:

ومن خلال الأحاديث الواردة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، كان حريصاً على حُسن اللفظة المفردة وسياقها داخل التركيب بحملها

دمشق لابن عساكر الشافعي: ٢/ ٢٧٦، برقم ٩٩٦.

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي: ٢/ ٢٥٧ و٧٧٣-٧٧٤، في ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩/ ١٧٠، ط مصر، تحقيق: أبي الفضل، وحلية الأولياء لأبي نعيم: ١/ ٦٣، ط السعادة مصر.

(٣) ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي: ٢/ ٤٦٤، ح٩٨٤-٩٨٥ وينظر: في الحاكم في المستدرك: ٣/ ١٢٧-١٢٧.

(٤) بحار الأنوار: ٩١/ ٦٩، ب٢٩، ح٥٨.

خصائص جمالية ممَّا جعل التراكيب تحمل أساساً أدبياً في حسن اللفظة وعدم قبحها وتلاؤمها مع أخواتها داخل السياق، كما هي الحال في تقديم الظرف (يوم غدير خم) على الاسم في قوله صلَّى الله عليه وآله قال: «**يوم غدير خم أفضل أعياد أُمَّتي**»، وتكرار صيغة أفعل التفضيل في كثير من الأحاديث كما ورد في (أفضل أعياد أُمَّتي)، وتكرار الحديث عن الصادق عليه السلام في أفضل أعياد المسلمين من الفطر والأضحى والجمعة ويوم عرفة، فقال: «**نعم أفضلها وأعظمها وأشرفها عند الله منزلة**»، وردت (أفضل وأعظم وأشرف)، وهي متلائمة متناسبة داخل سياقها، وأكمل الصادق عليه السَّلام قائلاً: «**وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأنزل على نبيّه محمّد صلّى الله عليه وآله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾**[1]»، فقد جاءت آيتان من سورة المائدة، وأوّل سورة المعارج: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[2]، وكذلك النداء الذي ابتدأت به الآية ينضم تحت خانة الأساليب الطلبية التي تحتوي دعوة الرسول إلى التبليغ، فابتدأت به الآية والشرط الذي حوى شيئاً من التهديد ﴿**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾، واستدراك الكلام بالعصمة من الناس، ثمَّ توكيد الكلام بالخبر الطلبي الذي يدفع الشك والتردد

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) سورة المعارج، الآية: ١.

في الخطاب مؤكّداً بالأداة (إنّ) ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِين﴾.

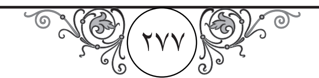
ومن التقديم أيضاً تقديم الجار والمجرور الدال على المعيّن في الخطاب الذي يستحق الولاية في قول الرسول صلَّى الله عليه وآله: «**بكَ يا علي يُعرف المؤمنون**»(١)، فقد قدّم الخبر (بك) جاراً ومجروراً على النداء (يا عليّ) والجملة الفعلية المبنية للمجهول.

إنَّ ظاهر النص الشريف قوله تعالى: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُون﴾(٢)، وقوله صلَّى الله عليه وآله: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه**»، وهو مفاده ولاية الأمير عليٍّ عليه السلام وثبوت ولايته بالفعل، مضافاً إلى حجيّة ما يصدر منه قولاً وفعلاً وتقريراً، فالإمامة مساوية للولاية، وليس معنى ذلك أنَّ له الولاية في المستقبل، ما يصدر منه من أمر أو نهي في جميع الشؤون يعدُّ نافذاً، فهو إمام في عهد الرسول صلَّى الله عليه وآله، كذلك السبطان عليهما السلام ولكنْ لا ولاية لهما، وكذلك التركيب اللغوي للفعلية (يقيم الصلاة، يؤتي الزكاة، يركع لله)، أي وليّكم له هذه الصفات الثلاث فعلاً وليس مستقبلاً، مضافاً لقرينة السياق الذي وردت به، فولاية الله عزَّ وجلَّ بالفعل وولاية الرسول صلَّى الله عليه وآله بالفعل، وولاية الذين آمنوا بالفعل أيضاً، أي والياً عليه بالفعل.

---

(١) الأمالي، الشيخ للصدوق، يوم الغدير.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.



ومن المرويات قول الرضا عليه السلام: «**حدثني أبي عن أبيه قال: إنَّ يوم الغدير في السماء أشهر منه في الأرض**»(١)، فقد أكد الخبر بالأداة (إنَّ) مع وجود صيغة التفضيل التي شرفت بها أغلب الأحاديث، ومنها هذا الحديث في قوله (أشهر)، وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «**يا معشر المسلمين ليبلّغ الشاهد الغائب، أُوصي من آمن بي وصدّقني بولاية عليٍّ، ألا إنَّ ولاية عليٍّ ولايتي، وولايتي ولاية ربّي، عهداً عَهّدَهُ إليّ ربيّ، وأمرني أن أُبلغكموه**»(٢). فقد وردت صيغة الطلب (ليبلغ) الدالة على الأمر، ثمَّ قوله (أُوصي من آمن بي) توجيه الخطاب للمسلمين تبعه بعرض وتكرار وتحضيض.

وترد صيغة الأمر وتراكيب الأفعال الطلبية كخصيصة أُسلوبية وجمالية في تحقيقها سمة التفرد في كثير من الأحاديث، فعن أمير المؤمنين قال: «**إذا تلاقيتم فتصافحوا بالتسليم، وتهابوا النعمة في هذا اليوم، وليبلّغ الحاضر الغائب والشاهد الباين، ولِيعُد الغني الفقير، والقوي على الضعيف، أمرني رسول الله بذلك**»(٣)، فوردت (فتصافحوا، وتهابوا، وليبلّغ، وليعُد) صيغة تفرد بها النص داخل السياق الواحد للحديث، وتكرار صيغة الأمر مدعاة للالتزام، والإنجاز، إذ حققت كمية الانحراف عن المألوف خصيصة أُسلوبية تميزت بها النصوص والنص الأخير، ممَّا يجعلنا نميز بين

---

(١) مصباح المتهجد.

(٢) بحار الأنوار.

(٣) وسائل الشيعة.

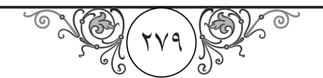
تعبير اعتيادي وتعبير مزخرف يطغى عليه التكرار في الصيغة، ممَّا يدلل على اختيار واعٍ يسلطه المؤلف على ما توفره اللغة من سعة وطاقات[1]، ومن ثمَّ كانت المرويات لغة مخصوصة، حققت فرادة بذاتها.

وهناك حقوق الفردية في اختيار الألفاظ، وتحديد الموقع المناسب لها والمبرّز لطاقاتها، ومن ثمَّ الانتهاء إلى مقصدية التركيب، باختيار الألفاظ ووضعها في مواضعها التي تحقق لها الفرادة الأدبية في نظمها وتأليفها، كما يذكر ذلك جاكوبسن أثناء عمليتي الاختيار والتأليف أو التوزيع، أو مستوى التركيب بشكل ينسجم مع الألفاظ وتتلاحم مع بعضها[2]، فتجدها متآلفة المخارج وجارية على العُرف العربي وليست وحشية أو وعرة، ولطيفة في موضعها، وليست عامية أو سوقية، أو غير مأنوسة الاستعمال، فتوليها موسيقية السمع أهمية كبرى لأنَّها المقام الأول في الحكم.

ولو رجعنا إلى هذه المرويات فهي في أغلبها لم تغادر النصَّ الأصل الذي رواه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله في يوم غدير خم، فقال: «**أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟**»، قالوا: بلى، فقال: «**من كنت ملاه فهذا عليّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدِرِ الحق معه حيث دار، فإنَّه منّي وأنا منه، وهو منّي بمنزلة**

(١) ينظر: الأسلوب والأسلوبية، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٧٧م: ٧١-٧٢.

(٢) ينظر: الأسلوب والأسلوبية، عبد السلام المسدي: ٩٢.



هـارون مـن موسـى إلَّا أنَّـه لا نبـيَّ بعـدي»[1].

فالنـص حافـل بالأسـاليب الطلبيـة المهيمنـة عـلى التراكيـب، ولا سـيما النداء والاسـتفهام وصيغـة الأمـر المتفاعلـة مـع الحـدث كونهـا أحـد الأفعـال الكلامية التـي تسـتلزم الاسـتجابة وإلـزام الطاعـة والـولاء، أي فعـلاً إنجازيـاً واضحـاً وهـو الاقتنـاع، كـما هـي الحـال في «**أيهـا النـاس، ألسـت، والِ، عـاد، انـصر، اخـذل، أدر**» فضـلاً عـن الحواريـة بـين النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه والقـوم التـي تسـتلزم السـؤال والإجابـة، كنـوع مـن أنـواع التقريـر والاعـتراف بـأنَّ الـولي وصاحـب الولايـة والأخ وابـن العـم هـو (علـيّ بـن أبي طالـب عليـه السـلام)، فضـلاً عـن اختيـار النـصّ القـرآني في الأخـوّة (بمنزلـة هـارون مـن موسـى) ممَّـا جعـل اللفـظ يميـل نحـو الرقـة والسلاسـة التـي تمـسّ العواطـف الإنسـانية، فقـد شـدَّ الله عضـد موسـى بأخيـه هـارون كـما في القصـة التاريخيـة المعروفـة، وإثـارة هـذه الثيمـة يعـدُّ الوجـه الأنسـب للمألـوف في الذاكـرة واسـترجاعها مـن جديـد، فالمعجـم القـرآني خـادم لمتطلبـات العـصر، ناهيـك عـن البُعـد الصـوتي للترديـد في قولـه: «**فإنَّـه منِّـي أنـا منـه، وهـو منِّـي...**»، فالألفـاظ جزلـة متلائمـة تمنـح الحـسّ الإيقاعـي للألفـاظ ومـن ثـمّ الحـسّ الجمالي.

ومـن روايـات النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه: «**يـا معـشر المسـلمين ليُبلّـغ الشـاهد الغائـب، أُوصي مـن آمـن بي وصدّقنـي بولايـة علـيٍّ، ألا إنّ ولايـة علـيٍّ**

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي في تفسير سورة المائدة ورواه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٦٣١ حديث ٦٢٧٢. ورواه الترمذي في السنن في مناقب علي بن أبي طالب: ٥/ ٥٩١ ح٣٧١٣.

ولايتـي وولايتـي ولايـة ربِّي، عهـداً عَهّـدَهُ إليّ ربي وأمـرني أن أُبلغكمـوهُ»[1].

نجـد تكـرار النسـق والألفـاظ بتراتـب واضـح يدلّـل عـلى الاختيـار مـن النبـيِّ المختـار، فالعـبرة والمزيـة والفضيلـة في التركيـب والسـبك الـذي يعـدُّ مكمـلاً ضروريـاً لـشرط اختيـار الألفـاظ التـي لا تجـدي نفعـاً إذا لم يُحسـن النظـم والتركيـب وهنـا مكمـن التفـرد في اسـتخدام الألفـاظ ذاتهـا بأنسـاق معكوسـة كـما هـي الحـال في «**ولايـة عـليٍّ ولايتـي وولايتـي ولايـة ربي عهـداً عهـده إليّ ربي**»، إذ تحـاط المفـردات بأجـواء دلاليـة داخـل النسـيج الخطـابي يضفـي عليهـا تحـولاً في شـحنتها الدلاليـة، سـلباً أو إيجابـاً، وضوحـاً وحسـناً، أو غموضـاً وتقبيحـاً، مـن خـلال (وضـع الألفـاظ في سـياقات متجـددة غـير مألوفـة الاسـتعمال أو منحرفـة عـن النمـط الأصـلي للمواضعـة)[2]، فهـي لا تفيـد حتـى تؤلـف ضربـاً خاصـاً مـن التأليـف، كـما في جمعـه للجملـة الفعليـة المتكاملـة مـن الفعـل والفاعـل والمفعـول قولـه (أُبلغكمـوه)، ممَّـا يدلـل عـلى حسـن التأليـف وإتقـان العربيـة وقواعدهـا وقوانينهـا، وأشـار إلى ذلـك التنظيـم في التأليـف عبـد القاهـر الجرجـاني (٤٧١هـ) في كتابيـه أسرار البلاغـة ودلائـل الإعجـاز، لأنَّ تأسـيس نظريـة النظـم وإرسـاء دعائمهـا كنظريـة في مجـال الدراسـات الأدبيـة يعـود للجرجـاني، إذ إنّ اللفظـة ليـس لهـا قيمـة جماليـة قبـلاً حتـى تدخـل حيـز التركيـب والنظـم[3]، ومـن ثـمَّ فـإنَّ كلَّ جنـس

(١) بحار الأنوار.

(٢) البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب: ١٥٥-١٥٦.

(٣) ينظر: أسرار البلاغة، تحقيق محمد رشيد رضا: ٢.



نثري رسالة، أو خطابة، أو مقامة، له من الحسن والنظم ما يخصه ويفضي به إلى تحقيق الوظيفة التأثيرية الجمالية إلى جانب الوظيفة الإبلاغية كونها تحمل فكرة الإقناع والإمتاع والإثارة، وقد يتقدم الإقناع بسبب من التأثير والإنجاز وتحقيق الغاية.

٣. المحور الثالث: المستوى الإيقاعي:

إنّ الوظيفة الإبلاغية أو المعرفية هي الغاية الأساس التي ينشدها الأديب في المقام الأول، ولا يعني ذلك أعمال الوظيفة الجمالية أو الانفعالية في النص كتقسيم العبارات، وموازنة الجمل، وتعادل الألفاظ وازدواج الجمل في تنظيم وتنسيق معين، كالتسجيع الذي يعدّ تعادل الفقرات في نهايات الجمل ومن الضروري عدم التقيد بالتقفية، وورد السجع المتوازن والازدواج في الفقرات وموازنة وتعادل بعضها في كثير من المواضع، وعرفه الخطيب القزويني (٧٣٩هـ): هي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية كقوله تعالى: ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ في سورة الغاشية[١]، فتعطي إيقاعاً وجرساً موسيقياً وصوتياً أقرب إلى النفوس ومحبب لها، كما أنَّ الاعتدال في الفقرات ووزنها سبب في قبول حسنها وجمالها.

قال عليٌّ عليه السلام: «**إنَّ هذا يومٌ عظيم الشأن، فيه وقعَ الفرجُ ورُفعت الدُّرجُ، ووضحت الحَجَجُ، وهو يوم الإيضاح والإفصاح من المقام الصِّرَاح، ويوم كمال الدين، ويوم العهد المعهود**»[٢].

(١) الغاشية: ١٥-١٦.

(٢) بحار الأنوار.

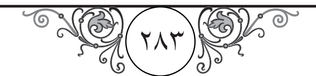
نلحظ أنَّ للتوازن وظيفة إيقاعية في تلوين التعابير والترادف المعنوي، وتناغم العبارات والقرائن وتناسقها وانسجامها بحيث تتداعى الألفاظ، وأجزاء الكلام مع بعضها (رفعت الدّرج ووضحت الحجج)، وقد عدّ القدامى كأبي هلال العسكري التوازن أو الازدواج من الصفات الحميدة في النثر البليغ مثل الإيضاح والإفصاح والصراح، وظاهرة التسجيع والقافية المقيدة مذهباً في النثر العربي منذ أواخر العصر الأُموي، واعتمدهُ كتّاب النثر الفني ومنهم الجاحظ وأبو حيان التوحيدي وغيرهم(١).

وكان التكرار من أبرز الظواهر الخالقة لشعرية الصوت والإيقاع لما يمتلكه من تنغيم داخلي وخارجي، فضلاً عن نسق السجع والجناس المزدوج اللذين يحركان فاعلية النص الشعرية ويؤكدان دورهما في تضمينات جمالية دلالية متعددة الظهور، وتنبثق شعريتها بمكمن اللغة التي تتراوح بين الحقيقة والمجاز، فضلاً عن التناصات القرآنية، فدلالتها عنصر رئيس في شعريتها وتكوينها كونها مرجعاً ثقافياً ودينياً حديث عهد في عهد الرسول صلَّى الله عليه وآله.

وكان التأنق في انتقاء الألفاظ التي تعبر عن الجزئيات الصغيرة من الجمل تعبيراً دقيقاً بانتقائها من القصير إلى الطويل تصاعدياً أو بالعكس من الطويل إلى القصير بالجمل تنازلياً بشكل متناسق، وهو بذلك يستوحي أُسلوب القرآن الكريم في ذلك، ولا سيما في الآيات القصار، وإنَّ السجع وتواطؤ الفواصل في الكلام المنثور له جماليته الإيقاعية التأثيرية

---

(١) ينظر: جماليات الأسلوب في النثر العربي، قحطان صالح الفلاح، مجلة المعرفة مايو ٢٠٠٧م.



كالمرصع والمتوازن والمشطر... إلخ.

فالقيمة الفنية لأُسلوبٍ ما تبدو أكثر وضوحاً ضمن السياق الذي ترد فيه، ولا يمكن عدُّها سمة مطلقة، وإنّما تظهر من تآزر النص وتلاحمه شكلاً ومضموناً، لفظاً ومعنى، ومتانة السبك وقوة التركيب والتعبير السهل الممتنع وسعة الأُفق، ودقة المعاني. ومن أحسن السجع ما كان في بعض الكلام وليس كلّه كما هي الحال في المثال السابق كونه عنصراً أسلوبياً بارزاً يستمد قيمته الجمالية من السياق الذي ينتظم فيه، وروى السيد ابن طاووس: بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في خطبة يوم الغدير: «**إنَّ هذا يوم عظيم الشأن، فيه وقع الفرج، ورفع الدرج، ووضعت الحجج، وهو يوم الإيضاح والإفصاح عن المقام الصراح، ويوم العهد المعهود، ويوم الشاهد والمشهود، ويوم تبيان العقود عن النفاق والجحود، ويوم البيان عن حقائق الإيمان، ويوم دحر الشيطان، ويوم البرهان، هذا يوم الفصل الذي كنتم توعدون، هذا يوم الملأ الأعلى الذي أنتم عنه معرضون، هذا يوم الإرشاد، ويوم محنة العباد، ويوم الدليل على الرّواد، وهذا يوم إبداء الصدور ومضمرات الأُمور، هذا يوم النصوص على أهل الخصوص، هذا يوم شيث، هذا يوم إدريس، هذا يوم يوشع، هذا يوم بلوى السرائر**»[1]، فكأنَّ الإيقاع إحساس تجسده المادة التي يرتبط بها فيتخذ شكلاً مادياً، وهو الشعر أو النثر المتمثل بالحركات اللفظية

(١) مصباح الزائر: ١٥٧ مناقب ابن شهر آشوب باب قصة يوم الغدير: ٣/ ٤٣. مصباح المتهجد: ٦٩٦.

والموسيقى المجسدة بالحركات الصوتية وفي الرسوم المنتظمة في أشكال هندسية، إذ يظهر الحس الإنساني التعبوي للامتثال والاقتناع الذي يشعر به متلقي الخطاب، فضلاً عن اللّذة والأُلفة والجمال، إذ تعدّ هذه الرسوم المنتظمة قوالباً للحركة اللفظية والصوتية واللونية(١).

فنجد التوازن في الجمل وكأنَّ الواحدة تستدرج الأُخرى وزنياً وإيقاعياً (يوم البيان عن حقائق الإيمان، يوم دحر الشيطان ويوم البرهان)، (يوم الإرشاد، عن محنة العباد)، (الدليل على الرواد)، (إبداء الحدود ومضمرات الأُمور)، (يوم النصوص على أهل الخصوص)، ويذكر الدكتور عزّ الدين إسماعيل في كتابه الأُسس الجمالية في النقد العربي ظاهرة الانتظام والانسجام والتناسب الداخلي بين عناصر الخطاب النثري وفاعلية البنيات البلاغية قائلاً: (إنَّ النظام والتغيّر والتساوي والتوازي والتلازم والتكرار، هي القوانين التي تتمثل في الإيقاع.. كما تتمثل في الفن القولي)(٢)، فضلاً عن الترادف الذي يرد في المفردات التي حققت هي الأُخرى توازناً إيقاعياً كما في قوله: (هذا يوم إظهار المصون المكنون)، ومن البديهي في جمالية هذه التوازنات من السجع والترادف والتوازن والتكرار أنْ تكون خالية من التكلف والتعسف، وأنْ يكون اللفظ تابعاً للمعنى، ولا تكون الدلالة مبتذلة، كما أورد ذلك وأكده عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ): لا

---

(١) ينظر: الدلالة الصوتية، كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٩٢م: ٢٠-٢١.

(٢) الأسس الجمالية في النقد العربي، عز الدين إسماعيل، دار الفكر، القاهرة، د. ط، ٢٠٠٠م: ١٨٧.



تجد تجنيساً مقبولاً، ولا سجعاً حسناً، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه، وساق نحوهُ، وحتى تجده لا تبتغي به بدلاً، ولا تجد عنه حِوَلاً وأجود أنواع السجع ما امتاز بقصر ألفاظه، وتعادلها؛ لقرب الفواصل من سمع السامع، ويتألف من لفظتين قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾[1]، فهو ليس زخرفاً لفظياً يزين الكلام وشكله الخارجي كما صنفه البلاغيون القدامى، بل هو قيمة جمالية يتطلبها المعنى والدلالة[2]، فهو جزء من بنية النص ونسيجه، بل هو غاية فكرية وعقلية فضلاً عن موسيقيته الجمالية في تعادل الفقرات وتوازنها، وارتبط بالثقافة الشفهية وبالذكاء والفطنة واللسن والجواب، واتسم بتضمينه النصح والإرشاد والوعظ والتهديد والوعيد في الموضوعات، فقد اقترن كثيراً بالخطب والرسائل والمقامات.

٤. المحور الرابع: المستوى الدلالي:

وقد أشار (ابن الأثير)[3] إلى قضية التوسع في الدلالة على الرغم من جعله قسماً قائماً بذاته في باب المجاز، وسبب العدول عن الحقيقة إلى المجاز حدّاً فاصلاً بين التوسع والاستعارة أو التشبيه، فالتوسع غير مقيد بعلاقة المشاركة والمشابهة بين المنقول والمنقول إليه كما هي الحال في الاستعارة

(١) سورة المرسلات، الآيتان: ١-٢.

(٢) ينظر: أسرار البلاغة، الجرجاني (٤٧١هـ)، محمد محمود شاكر، مطبعة المعارف بالقاهرة، دار المدني بجدة.

(٣) ينظر: المثل السائر: ٢/ ٧١.

والتشبيه اللذين يكونان على علاقة مشاركة قائمة بين طرفيهما، وإنَّما أراد بالتوسع في المجاز المرسل، فمن دلالات التوسع قوله صلَّى الله عليه وآله: « **أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي** » ومعنى الأُخوّة هنا (حقيّة) فالمفردة تجاوزت معناها المعروف برابطة الدم التي يشترك فيها اثنان، والحقيقة الاعتقاد بولاية عليٍّ عليه السلام وبإمامته، أي يجري المؤمن مع أخيه المؤمن عقد الإخاء، ليبرز الأُخوَّة الحقيقية التي تجمع الطرفين في ولاية الإمام عليٍّ عليه السلام ويصافحهُ ويقول كما ورد في المرويات: « **وآخيتك في الله وصافيتك في الله، وعاهدت الله وملائكته وكتبه ورسله وأنبيائه والأئمة المعصومين عليهم السلام على أنّي إنْ كنت من أهل الجنة والشفاعة، وأُذن لي بأنْ أدخل الجنة، لا أدخلها إلَّا وأنت معي، فيقول الأخ المؤمن: قبلت، فيقول: أسقطت عنك جميع حقوق الأُخوّة ما خلا الشفاعة والدعاء والزيارة** »(1)، وتكررت مفردة الحق والحقيقة والأحقيّة في قول الرسول صلَّى الله عليه وآله: « **عليٌّ مع الحقّ، والحق مع عليّ، اللهم أدر الحق مع عليٍّ حيثما دار** »(2).

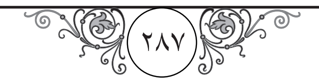
وورد في صفة يوم الغدير تشبيهات عدة كتصوير الأئمة المعصومين عليهم السلام فيه قول أبي عبد الله عليه السلام: « **ويوم غدير بين الفِطر، والضحى، ويوم الجمعة، كالقمر بين الكواكب**»(3)، فالصورة التشبيهية

---

(1) ينظر: مستدرك الوسائل: ٦/ ٢٦٩.

(2) فتح الباري: ٨/ ١٣٦.

(3) الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السنة.



عنصر أساسي في الإبداع النثري، وقد اتضحت الصورة وقربت كثيراً في هذا التشبيه ذي الطابع الكلاسيكي فهو أكثر كلام العرب، لأنَّهم لمسوا فيه القدرة على توفير الومضة الجمالية السريعة التي أحبوها[1]، فقد حرص الأُدباء ومن قبلهم الخطباء على أنْ يكون للتشبيه قيمة فنية جمالية في الخطاب وأنْ يكون جامعاً لصفات المبالغة والبيان والإيجاز.

ولعلَّ مسألة الوضوح في التشبيه لإعطائه مكانة مرموقة بالتوسع والتفصيل والتجسيد كما في الحديث، إذ جعل اليوم مجسداً مثل كوكب بين الكواكب في صورة بصرية تبدو مألوفة على الرغم من العدول عن المستوى العادي للغة إلى المستوى الجمالي كصورة تبدو أكثر تنميقاً بانزياح الدلالة عن المعنى العادي إلى المعنى الأدبي، فضلاً عن الوظيفة التأثيرية للخطاب المبني على التخيل والانسجام والتوافق بين طرفي التشبيه؛ لأنَّ الخيال يجعل من الأشياء المعنوية مدركة حسيّة بصريّة وهو ما جسده الحديث.

الخاتمة

١. تناولت جميع الدراسات اللغوية والفقهية والأدبية حديث الغدير من حيث اللغة والأسلوب والمضمون، لكنَّ هذه الدراسة تتناول موضوعة حديث الغدير من حيث جماليات المعنى والأداء وما قيل في مروياته المسندة والصحيحة في الكتب الدينية، فكان لا بُدَّ من المرور بآية

(١) ينظر: الصورة الفنية في النقد الشعري، عبد القادر الرباعي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٩٨٤م: ٤٢.

التبليغ التي تعدُّ نصاً مرجعياً وموروثاً قرآنياً، بتبليغ ما أُنزل إلى الرسول صلَّى الله عليه وآله من ربِّ العالمين، فضلاً عن أصل الحديث المتواتر والمدون في مرويات العلماء والفقهاء والأدباء ورجال الدين المحدثين، ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾.

٢. وردت في النصوص الأساليب الطلبية والتراكيب البلاغية التي شكلت هيمنة جمالية ذات مقصديات تأثيرية وإبداعية على مرّ العصور ولا سيما أُسلوب الأمر المنتزع من السورة القرآنية، ثم حديث الغدير الذي حثّ وأرشد المؤمنين على التمسك بولاية عليٍّ عليه السلام، فضلاً عن تكرار صيغة (أفعل) التفضيل في أغلب الأحاديث النبويّة المتعلقة بغدير خم، حتى أصبحت مهيمنة أُسلوبية واضحة في حديث النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وحديث أهل البيت عليهم السلام.

٣. أمَّا على مستوى الإيقاع فقد حقق أُسلوبا الجناس والسجع كمية وافرة في النصوص كخصيصتين أسلوبيتين متواترتين، فقد اعتادت العرب على الإيقاع والتوازن في كلامهم الشعري والنثري كخصيصة سادت في أغلب مروياتهم؛ لحسن تقبلها من الآخر المتلقي الذي تستسيغ الأُذن العربية فيه لهذه التوقيفات الإيقاعية.

٤. من جانب الصورة والدلالة فقد تنوعت الدلالات والمعاني التي أشارت في أغلبها إلى موضوعة الحديث على الرغم من تعدد المرويات، إلَّا أنّ القالب الدلالي واحد ويصب في موضوع الولاية المطلقة للإمام عليٍّ



عليه السلام، فكانت الصورة التشبيهية هي الغالبة على تلك المرويات لقربها من الذائقة العربية التي اعتادت على توصيفات التشبيه الذي جاء بصورة مبسطة يمكن إدراكها وفهمها فلا تحتاج إلى التأويل أو التخييل.

٥. فكانت المرويات من النصّ الأوّل الخطبة إلى أقوال أهل البيت ونقلها في الكتب وتثبيتها، استنطاقاً للنصوص وتعريتها من الداخل وفهمها من الآخر (المتلقين) لذلك الخطاب من أجل البوح بمكنوناته الداخلية وتأويلها، إذ يضعها المرسِل أمام المرسَل إليهم المشاركين بالانفعالات والأحاسيس والمشاعر، ومن ثمَّ الاقتناع بالمروي. وعنوانات تلك المرويات تتخذ طابع الاسمية في أغلبها التي تنوعت بين المفرد والمضاف والصفة والموصوف، فالاسم يتخذ صفة الثبات والسكون بعيداً عن الحركية والاضطراب فكانت مفارقة واضحة في تلك المرويات؛ كونها جمعت طابع الاسمية على الرغم من كون سياقاتها الداخلية اتجهت نحو الفعلية التي تحثّ على الحركة والتغيير والاضطراب.

٦. اكتسبت النصوص خصوصيتها الجمالية لما فيها من قيم فنية وإبداعية جملتها المفردات في سياقاتها بما تكسبه من صفات جديدة متألقة تجعلها أكثر بهاءً، وكأنَّها مسبوكة في نصٍّ مقدس لا يمكن تجاوزه «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه**»، وكأنَّها تتردد وتتكرر في أُسلوب شرطي تتدفق معه معاني الموالاة الحقة والطاعة الموجبة للرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله، فهذا الترديد يمنح الألفاظ قيمة شعورية متجددة باستمرار التكرار، ممَّا يمنح النصَّ حركية دائمة وحية



بدلاً عن الثبات، ممَّا يُخرج النصّ من طابع النثرية التقريرية المباشرة إلى حقل الإبداعية والفرادة.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

١. أسرار البلاغة، تحقيق: محمد محمود شاكر، مط. المعارف بالقاهرة، دار المدني، جدة.

٢. الأُسس الجمالية في النقد العربي، عزّ الدين إسماعيل، دار الفكر، القاهرة، د. ت، ٢٠٠٠.

٣. الأُسلوب والأُسلوبية، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٧٧.

٤. الأمالي، الشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة قم المقدسة، ط١، ١٤١٧.

٥. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (١١١١هـ)، مؤسسة دار الكتب الإسلامية ومؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٦. البلاغة والأُسلوبية، محمد عبد المطلب، ط١٩٩٤، مكتبة لبنان - ناشرون.

٧. تاريخ دمشق، ابن عساكر الدمشقي(٥٧١هـ)، دار الفكر.

٨. تفسير الميزان في القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة السبطين العالمية.

٩. جماليات الأُسلوب في النثر العربي، قحطان صالح الفلاح، مجلة المعرفة، ٢٠٠٧.



١٠. الجمالية الجديدة، د. جميل حمداوي، شبكة الألوكة، ٢٠١٢ www.alakah.net.

١١. جمالية المعنى الشعري (التشكيل والتأويل)، د. عبد القادر الرباعي، الأردن،١٩٩٨.

١٢. الدلالة الصوتية، كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١،١٩٩٢.

١٣. الروض النضير في معنى حديث الغدير، فارس حسون كريم، ط١، ١٤١٩، نشر مؤسسة أمير المؤمنين عليه السلام للتحقيق، قم المقدسة.

١٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط. مصر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٥. صحيح البخاري، كتاب المغازي، ط. دار الفكر.

١٦. الصورة الفنية في النقد الشعري، عبد القادر الرباعي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٩٨٤.

١٧. مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي (١٣٢٠هـ)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٨، قم المقدسة.؛

١٨. مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر، ط دار المعارف مصر، ط٣، ٢٠٠٩.

١٩. مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ)، تصحيح وإشراف: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي بيروت.

٢٠. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط٢، ١٤١٤.

حديث الغدير في شعر مهيار الديلمي قراءة تحليليّة

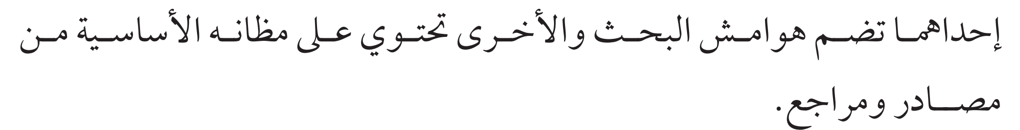
أ. م. د. حيدر زوين، د. عبد الكريم جعفر الربيعي

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على خير خلقه أجمعين محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين وسلّم تسليماً كثيرا.

وبعد فالذي يريد الخوض في معترك البحوث الخاصة بالإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) لا يمكنه أن ينصف هذه الشخصية الفذة الفريدة العجيبة التي أثبتت بكل مصداقية تفانيها في الدفاع عن الإسلام المحمدي الأصيل وإنه من دواعي الفخر والاعتزاز أن يخوض الدارسون والأكاديميون الصراع البحثي في هذا المضمار ويؤكد ذلك قول الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام): ((أخلص لمن تخدم؛ فإن المخدوم قد أخلص لك بدمه))(١) ولذا يجدر بالباحثين أن ينهلوا من هذا التراث الإسلامي العذب ألا وهو عبق الإمامة ووارث النبوة والشفيع يوم المحشر سيدنا ومولانا أسد الله الغالب علي بن أبي طالب(عليه السلام).

والبحث يكمن في قراءة مستفيضةٍ ثرّة في ديوان شاعر عباسي في عصره الأدبي الثّاني إذ أسلم في سن الثلاثين من عمره وقد تتلمذ بين يدي نقيب الطالبيين الشاعر الشريف الرضي(ت ٤٠٦هـ)، وقد قسم البحث على ثلاثة مباحث سبقت بمقدمة ومهادٍ تنظيري وانتهت بخاتمة فضلاً عن قائمتين



إحداهما تضم هوامش البحث والأخرى تحتوي على مظانه الأساسية من مصادر ومراجع.

ووسم المبحث الأول: بـ((الأثر الديني للإمام علي عليه السلام في ديوان مهيار الديلمي)).

فيما حمل المبحث الثاني عنوان: ((الأثر التاريخي للإمام علي عليه السلام في ديوان مهيار الديلمي)) وأطلقت على المبحث الثالث عنوان: ((الأثر العقائدي للإمام علي عليه السلام في ديوان مهيار الديلمي)). وقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي في اثناء دراسته لهذا الموضوع

ومستعيناً بمجموعة من المصادر التاريخية والقرآنية والأدبية والعقائدية من أجل إنجاز هذا البحث وما قام به الباحث يعد محاولة منه لقراءة نصوص شعرية قراءة أدبية وهو بتوفيق من لدن الباري عز وجل وعطفه وعنايته لأن الباحث لا يدعي الكمال في كل هذا، فالبشر ليسوا بمعصومين من الزلل والخطأ والشطط والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين وسلم تسليماً كثيرا.

الباحث

مهاد تنظيري: (الشاعر مهيار الديلمي، ولادته، نشأته، أساتذته، أغراضه الشعرية، وفاته)

وهو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي وكانت ولادته في كيلان جنوب غرب إيران سنة ٣٦٧ه (٢)، وقد لحقت كنيته

بـه بعـد اعتناقـه الديـن الإسـلامي الحنيـف(٣) كان مجوسـياً فأسـلم ويقـال أن اسـلامه جـاء عـلى يـد الشريـف الـرضي أبي الحسـن محمد الموسـوي وهو شـيخه وعليـه تخـرج في نظـم الشـعر وقـد وازن كثـيراً مـن قصائـده وكان شـاعراً جـزل القـول مقدمـاً عـلى أهـل وقتـه ولـه ديـوان شـعر كبـير في أربـع مجلـدات وهـو رقيـق الحاشـية طويـل النفـس في قصائـده ذكـره الحافـظ أبـو بكـر الخطيـب في تاريـخ بغـداد وأثنـى عليـه (٤).

وقـال فيـه الدارسـون: ((شـاعر لـه في مناسـك الفضـل مشـاعر - وكاتـب تجـلى تحـت كل كلمـة مـن كلماتـه كاعـب ومـا في القصيـدة مـن قصائـد بيـت يتحكـم عليـه بلـو وليـت. فهـي مصبوبـة بقوالـب القلـوب، وبمثلهـا يعتـذر الزمـان المذنـب عـن الذنـوب ويتـوب))(٥)

انتقـل الشـاعر مهيـار الديلمـي الى بغـداد ليتعلـم أسـاليب العربيـة وأفانينهـا وتعاليـم الإسـلام بـين يـدي الشـاعر الشريـف الـرضي ومـن ثـم انتقـل الى دراسـة عقائـد الإماميـة، وكان يعمـل كاتبـاً في البـلاط العبـاسي خلفـاً لوالـده مرزويـه الديلمـي الكاتـب المعـروف فجمـع مهيـار بـين فنّـي الكتابـة والشـعر(٦).

نظـم الشـاعر في أغـراض شـعرية متعـددة منهـا: المديـح والرثـاء والفخـر والهجـاء فضـلاً عـن الوصـف ومديـح أهـل البيـت (عليهـم السـلام) (٧).

كانت وفاته في سنة ٤٢٨ه ودفن في مقابر قريش(٨)

ويعـد الشـاعر في مصـاف الشـعراء البارزيـن في هـذا العـصر لمـا جـادت بـه قريحتـه الشـعرية فضـلا عـن كونـه أحـد الكتـاب المهـرة الذيـن زخـرت بهـم

قصور الخلفاء فقد أتقن ممارسة هذا الفن النثري من أبيه

المبحث الأول: ((الأثر الديني للإمام علي عليه السلام في ديوان مهيار الديلمي))

: والمقصود به الأثر الديني للإمام (سلام الله عليه) وقد اقتبسه الشاعر في ديوانه الشعري وهو مختلف فيه لدى الدارسين إلا أن الأرجح يتمثل في (القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف) فضلاً عن القيم الإسلامية التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف(٩)

القرآن الكريم: ويطلق عليه أيضاً بالاقتباس القرآني وهو لدى الدارسين على صنفين أحدهما مباشر والآخر غير مباشر ويفضل أصحاب البلاغة النمط الثاني؛ لأنه الأحب الى النفس والأكثر إثارةً للشعور ومن ذلك قول قيس بن الملوح ت(٦٨هـ) إذ وظّف مفهوم ليلة القدر والوارد في القرآن الكريم مرادفاً لتفضيل عشيقَتهِ ليلى، (١٠):

لقَد فضَّلتُ ليلى على النّاسِ مثلما   على ألف شهر فُضِّلَت ليلةُ القَدرِ[١١]

وقد أخذ ذلك من قوله تعالى: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)(١٢)

ومن خلال قراءة مستفيضة في ديوان الشاعر نستنتج استعمال الشاعر للاقتباس غير المباشر للآيات الآتية:

آية المباهَلة: ((المباهلة من الملاعنة: أي أن يجتَمع القوم إذا اختلفوا في شيءٍ فيقولوا: لعنة الله على الظّالم مِنّا))(١٣)، ومنه قوله تعالى: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِين) (١٤)، ويذهَبُ أكثر المفسَّرين إلى أنّها نزلَت في النبِّي محمَّد صلى الله عليه

وآلـه والإمـام عـلي عليـه السـلام والزهـراء والحسـن والحسـين عليـه السـلام (١٥) بعـد أن باهـلَ الرسـولُ صـلى الله عليـه وآلـه بهـم نصـارى نجـران في السـنة العـاشرة للهجـرة، (١٦) وفيـه يقـول مـن المتقـارب:-

بـمـن بـاهـلَ اللهُ أعـداءَهُ فـكـان الـرسـولُ بهم أبهـلا(١٧)

ويشـير مهيـار إلى أن نفـس الإمـام عـلي عليـه السـلام مـع الله عـزَّ وجـلَّ، وهـو لا يـترك الحـق وقـد اسـتقى هـذا المفهـوم مـن آيـة المباهلـة، وفيـه يقـول مهيـار مـن بحـر الطويـل:

بنفسي مـن كـانـت مـع الله نفسُهُ إذا قلَّ يوم الحقِّ من لم يجازفِ(١٨)

قولـه تعـالى (فِي بُيُـوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَـعَ وَيُذْكَـرَ فِيهَـا اسْـمُهُ...) (١٩)، ويذهـب أكثـر المفسَّريـن إلى أن الآيـة نزلـت في بيتَـي الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه والإمـام عـلي عليـه السـلام، (٢٠) وفيـه يقـول مـن المتقـارب:

وهـــذا الـكـتـاب وإعــجـازهُ على من؟ وفي بيتِ من؟ نُـزِّلا(٢١)

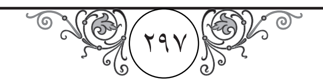
ويشـير مهيـار في قصيدتـه الداليـة إلى هـذا المضمـون نفسـه، فميَّـز بيـت الإمـام عـلي عليـه السـلام لشرفـه وأصبـحَ الإمـام مشرفـاً عـلى النجـوم لمنزلـة هـذا البيـت المقَّـدس عنـد الله، وفيـه يقـول مـن المتقـارب:

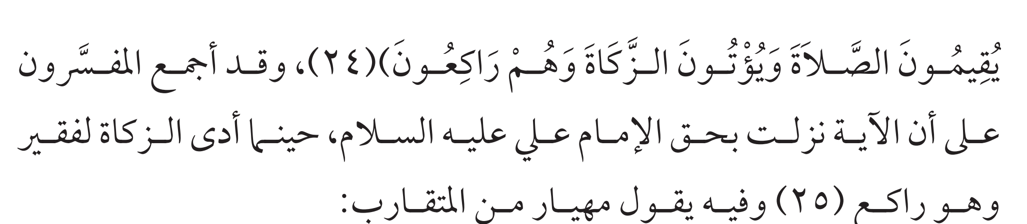
وبـيـتٌ تـقـاصرَ عـنـه الـبـيـوت وطـالَ عـليّـاً عـلى الـفـرقـدِ(٢٢)

وفي هـذا المضمـون يشـير مهيـار إلى أنّ وراثـة الأمـام عـلي عليـه السـلام هـي نـص معصـوم، وفيـه يقـول مـن البسـيط:

وقـائِـلُ لي عـليٌ كـان وارِثَـهُ بالنَّصِ منهُ فهل أعطوه أم منعوا(٢٣)

آيـة الولايـة: قولـه تعـالى: (أنـما وَلِيُّكُـمْ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِيـنَ آمَنُـوا الَّذِيـنَ





يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)(٢٤)، وقد أجمع المفسَّرون على أن الآية نزلت بحق الإمام علي عليه السلام، حينما أدى الزكاة لفقير وهو راكع (٢٥) وفيه يقول مهيار من المتقارب:

وسّماه مولىً بَإقرارِ مَنْ؟ لو اتبعَ الحق لم يَجْحَدِ(٢٦)

آية الأعراف: قوله تعالى:(... وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ...)(٢٧)، ذكر المفسّرون أن الأعراف: موضعٌ عالٍ على الصراط عليه: حمزة وعلي والعباس وجعفر يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه(٢٨)، وفيه يقول مهيار من بحر البسيط:

فكن بها منقذاً من هولِ مطَّلعي غداً وأنتَ من الأعرافِ مُطَّلِعُ(٢٩)

آية الوزارة: قوله تعالى: (وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي) (٣٠)، أشار معظم المفسَّرين بأن الآية نزلت بحق النبي محمَّد صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام، (٣١) وإلى ذلك يشير مهيار في قوله من البحر نفسه:

وأبوكمُ المفضي إليهِ جدَّكم ما كانَ من موسى إلى هارونِ(٣٢)

الحديث النبوي: ويطلق عليه بالحديث تارة وبالسنّة تارةً أخرى ويمكن تعريف السنّة بـ((أنها أعمال الرسول صلى الله عليه وآله وكلامه وتقريره)) (٣٣)، وكانت السنَّة تُتناقل على ألسنة الناس شفاهةً حتى مطلع القرن الثاني الهجري، فدُوّنت وجُمعت في الحديث النبوي الشريف(٣٤): ((وهو نفس محفوظ يدور على عمل أتاهُ النبي صلى الله عليه وآله أو أمرٍ أقَّرهُ أو كلامٍ قالَهُ))(٣٥)، ويبدو أثرهما وفق النحو الآتي:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((أن أخي ووزيري، ووصيي، علي بن أبي طالب))(٣٦)،

إذ يشير في هذا الحديث الى أحقيَّة الإمام علي عليه السلام بالخلافة، وتفضيلهِ على الصَّحابة، وأكثر ما يستعين الشاعر بمعاني الوصاية والأخوّة، التي كان الرسول صلى الله عليه وآله قد منحها الإمام علي عليه السلام وفيهِ يقول من بحر الرجز:

وادِّ عني مبَّلغاً تحيَّتي خيرَ الوصيينَ أخا خيرِ الرسل(٣٧)

ومن هذا المعنى ينطِلق مهيار لبيان أن الدنيا أقبلت عليهِ وصارَ الحظُّ ملك يمينه لأنهُ من الموالين للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفي ذلك يقول:

يا بنَ الوصيَّ أخي النبيَّ عنت لي الـ دنيا وصار الحظُّ ملك يميني(٣٨)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسِهم، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذلْ من خذله...، إلا فليبلّغ الشاهد الغائب))(٣٩)، وفي مديحه للإمام علي عليه السلام أشار إلى خطبة الوداع التي ذكرها الرّسول صلى الله عليه وآله في أواخر سنة (١٠هـ) وفيه يقول مهيار:

وقد جعلَ الأمرَ من بعدهِ لحيدرَ بالخبرِ المسنَدِ(٤٠)

وفي موضع آخر يشير مهيار إلى أن الله عَّز وجلَّ هو الذي اختارَ الإمام علي عليه السلام لينال هذا الشرف العظيم وان هذهِ الأمَّة لا تتبع الحق

وفيـه يقـول:

وسّـــمّاهُ مـــولىً بـــإقــرارِ مَـــنْ؟ لــو اتبــعَ الحــقُ لم يجحَــدِ(٤١)

فالشاعر يستفسر بفعل الأمر مذهولا:

واسألهم يـومَ خـمٍ بعـدَ ما عقَـدوا لَهُ الولايةَ لِمْ خانوا ولِمْ خلعوا(٤٢)

ويذكـر الـرواة حديـث أمـرة المؤمنـين: ((وعقـد الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه خيمـةً لـهُ، وأخـرى لابـن عمَّـهِ، أمـرَ أصحابـه أن يسـلّموا عـلى عـليٍّ بإمـرةِ المؤمنـين))، فسـألَهُ الخليفـة الثاني:أمِـنَ اللهَ أم مِـن رسـوله: فقـالَ صـلى الله عليـه وآلـه: ((بـل هـو مـن اللهَ ورسـوله))(٤٣)، وفي ذلـك يقـول الشـاعر:

سـمعـاً أمــيرَ المـؤمـنـينَ أنهـا كنايةٌ لم تـكُ فيها منـتَحْل(٤٤)

ويشـير الدَّيلمـي إلى حديـث الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه: ((... والـذي نفـسي بيَّـدِهِ لتقيمُـنَّ الصـلاة، ولتؤتـنَّ الـزكاةَ أو لأبعثـنَّ عليكُـم رجـلاً منّـي أو كنفـسي فليضربـنَّ أعنـاقَ مقاتِليهـم))(٤٥) وفي هـذا المعنـى يقـول مهيـار:

الـصنـوُ أنـتَ والــوصيُّ دونَهُـم ووارِثُ العِلمِ وصاحبُ الرّسل(٤٦)

وفي الشـأن نفسـهُ يتحـدّى مهيـار الصحابـة أن يكـون أحدهُـم حامـلاً لتلـك القرابـة وتلـك المنزِلـة الرفيعـة التـي يمتـاز بهـا الإمـام عـلي عليـه السـلام دونَهـم، وفيـه يقـول:

وإلاّ كـما كـنـتَ ابـنَ عـمٍ ووالـيـاً وصهراً وصنواً كأن لم يقارفِ(٤٧)

القيـم العربيـة والاسـلامية: المقصـود بهـا القيـم التـي جـاء بهـا الإسـلام الحنيـف ورسـخها في النفـوس وبعـض منهـا وجـدت في الجاهليـة واعتـاد العـرب عـلى بعـض آخـر منهـا مثـل: الكـرم والشـجاعة حمايـة الجـار وذب

الأذى عن الغير ومن القيم التي وجدها مهيار في أمير المؤمنين عليه السلام:

الشَّجاعة: ويصف مهيار شجاعة الإمام علي عليه السلام يوم بدرٍ وقد قتَلَ ثلاثين فارساً من أشرافِ قريش، (٤٨) بأنهُ كان جميل البلاء:

وبدرٌ وبدرٌ به الدين تم ومنْ كانَ فيهِ جميل البَلا(٤٩)

ويذكر مهيار شجاعَة الإمام يوم أُحد وقَد دافَعَ عن النبي محمَّد صلى الله عليه وآله، (٥٠) وفيه يقول:

ومن جمعَ الدينَ في يومِ بدر وأحدٍ بتفريقِ تلك الصفوفِ(٥١)

وقوله:

بدراً وأحداُ أختها من بعدها وحنينَ وقاراً بهنّ نصاليا(٥٢)

وفي مضمون الشجاعة يصف الإمام علي عليه السلام بأنّه كالأسد المتوثّب في رمال الصحراء:

أغيرُ أبيكَ إمامَ الهدى ضيّاءُ النَّديّ هزبر العزيف(٥٣)

وفي ذلك يشير مهيار إلى الإمام علي عليه السلام وهو يقتل عمرو بن عبد ود العامري (٥٤) في معركة الخندق:

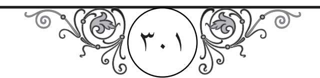
وتفكَّروا في أمرِ عمروٍ أوّلاً وتفكَّروا في أمرِ عمروٍ ثانيا

أسدانِ كانا من فرائِسَ سيفهِ ولَقلَّما هابا سِواهُ مدانيا(٥٥)

وفي واقعة خيبر يصف الشاعر شجاعة الأمام علي عليه السلام ويجعل من مرحب شاهداً فيسألَهُ عن تلك البسالة:

وتدبَّروا خبر اليهود بخيبرَ وخرضصمٌ اقبماضرحيبَ وا(٥٦)

وفي هذهِ المعركة يحمل الإمام علي عليه السلام باباً ثقيلاً ويجعلها





جسراً(٥٧)، فيعبر جيش المسلمين عليه:

هل كانَ ذاكَ الحصنُ يرهبُ هادِماً　　　أو كانَ ذاكَ الباب، يغَرقُ داحيا(٥٨)

وينتَقل الشاعر إلى ذكر شجاعة الإمام علي عليه السلام وقد فدى رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسِهِ في يوم الهجرةِ(٥٩)، وفيه يقول:

وأبــرَّهــمُ مــن كــان عـنــهُ مـوقـيّـا　　　[illegible]

ويصف مهيار شجاعةِ الإمام علي عليه السلام في واقعةِ صفين، وأنّ الدين قد سُدّ مسكنَهُ(٦٢) بفضِل هذهِ الشجاعة:

بكم بصفين سدَّ الدينُ مسكنَهُ　　　وآل حربٍ لَهُ تحتال في الحُرَبِ(٦٣)

ومهيار لم يتجاهل مقام الإمام علي عليه السلام في صفين، وإنّ مقامَهُ عظيم لأنهُ أرهبَ الخصوم:

لم يَعُدْ في كوفانَ خصمُكَ إنْ رأى　　　فيهِ مقامَ أبيكَ في صفينِ(٦٤)

وينقل الشاعر شجاعة الإمام علي عليه السلام عندما طلَب من معاوية المبارزة، وقد رفض الثاني خشيةً من شجاعة الإمام علي عليه السلام (٦٥):

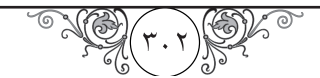
ولخطبِ صفينَ أجلَّ وعندك الـ　　　ـخبرُ اليقين إذا سألت معاويا(٦٦)

ومن مواقف الشجاعة موقف الإمام علي عليه السلام يوم دخول مكَّة وقد صعدَ على منكبي النبَّي صلى الله عليه وآله وهدم الأصنام(٦٧):

وهــدَّم في الله أصنامَهمُ　　　بمرأى عيونٍ عليها عكوف(٦٨)

وفي صعود الإمام علي عليه السلام على منكبي رسول الله صلى الله عليه وآله تمييز للإمام علي عليه السلام من دون غيره من الصَّحابة:

وأحقُّ بالتمييزِ عندَ محمَّدٍ　　　من كانَ سامى منكبيهِ راقياً(٦٩)



العبادة: وهي على أركان متعددة عند الفقهاء:

التوحيد: وتعني ((عبادة الله عزّ وجلّ، وتجنب عبادة الأوثان))، (٧٠) ويرى المؤرخون أنّ النبيّ محمَداً صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام لم يسجدا لصنمٍ قط، وينفي مهيار صفة عبادة الأوثان عن آل البيت عليه السلام مطلقاً:

لم يتزخرف وثنٌ لعابدٍ منهم يزيغ قلبَهُ ولا يُضِلْ(٧١)

وفي المضمون نفسه يرى أن الناس قد حسدت الإمام علي عليه السلام لأنهُ لم يكن عاكفاً على أصنامِهم:

وأغرى بكَ الحسّاد أنك لم تكن على صنمٍ – فيما رووه – بعاكف(٧٢)

ويرفع مهيار شعار آل البيت عليه السلام – وهو شعار الإسلام (اللهُ اكبر) وأمّا راية الكفر فترفع شعاراً هو اعلُ هُبَل:

يستشعرونَ اللهُ أعلى في الورى وغيرَهُم شِعارَهُ أعلُ هُبَلْ(٧٣)

الصلاة: ويصف مهيار الرسول صلى الله عليه وآله بأنه خير مصلٍ في البشريَّة، ومن بعدهِ الإمام علي عليه السلام وفيه يقول:

وقد شهدتمُ مقتلَ أبن عمِّه خيرُ مصلٍ بعدَه وقائِم(٧٤)

ويصف مهيار صلاة الإِمام علي عليه السلام بأنها تعادل صلاة الملائكة والبشر وفيهِ يقول:

خيرُ مصلٍ ملكا وبشراً وحافياً داس الثرى ومنتَعل(٧٥)

ولم يهمل مهيار صلاة اللَّيل فالإمام عليه السلام قائم للصلاة وغيره نائمون وفيه يقول:

ومن نامَ قومٌ سِواهُ وقام ومن كانَ أفقَهُ أو أعَدلا(٧٦)



الصبر: ويشير مهيار إلى صبر الإمام علي عليه السلام على المطالبة بالخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وفيه يقول:

طلبتَ أمراً ولَو طالبته لدرّت   معاطِسُ راغَمتهُ كيفَ تجتَدِعُ(٧٧)

ويوضح مهيار سبب صبر الإمام عليه السلام، وهو الحفاظ على وحدة الدين(٧٨)، فالإمام عليه السلام في نظر الشّاعر يقِظٌ حذِرٌ وقد نام غيرَهُ مُن الصحابة، وفيه يقول:

صبرتَ تحفظُ أمرَ اللهِ ما أطَّرحوا   إنبـاً عـن الـدين فاستيقظ(٧٩)

ج) الصدقات: ويشير مهيار إلى تصدق الإمام علي عليه السلام بالخاتم، (٨٠) وفيه يقول:

وخاصف النعلِ وذو الخاتمِ والـ   ـمنهِلُ فِي يوم القليبِ والمعِلْ(٨١)

المبحث الثاني: ((الأثر التاريخي للإمام علي عليه السلام في ديوان مهيار الديلمي))

ويعد التأريخ العربي حلقة وصل بين الماضي التليد للأجداد والحاضر الذي تعيشه الأمة لأنه التراث والحضارة والسجل المشرق الذي ينقل ارث الإنسانية لما يحمله من وثائق فريدة؛ لذا كان محوراً ثرياً من محاور الشعر في ديوان مهيار الديلمي وقد ذكر الشاعر الحوادث الآتية:

حوادث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله: ويشير فيها مهيار إلى قضيَة السقيفة أنّ القومَ قد عقدوها والجثمان الطاهرَ للرسول صلى الله عليه وآله ما زالَ في المغتَسَل:(٨٢)

وحيٍّ وقل يا نبَّي الهُدى   تأشَّب(٨٣) نهجُكَ واستوغِلا(٨٤)

وفي هذا المعنى يشير مهيار إلى أنّ البعض يقولون ماتَ الرسول صلى

الله عليه وآله ولم يستخلِف أحداً، وفيه يقول:

أألله يا قومِ يقضي النبيَّ   مطاعاً فيُعصى وما غُسِّلا(٨٥)

ويوصي فنخرصُ دعوى عليـ   ـهِ في تركهِ دينه مهملا(٨٦)

وفي معرض حديثه عن الناس وتعلقهم بالدنيا، يرى أن شرائع الإسلام مهملة، والأحكام معطّلة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وفيه يقول:

هذي قضايا رسول الله مهملَةٌ   غدراً وشملاً رسولُ الله منصدِعُ(٨٧)

ويؤكّد الشاعر أن ميثاق الرسول وعهودَهُ ملقاة على الأرض، لأنّ الأمّة أصبحت تشايع أعداءَهُ، وفيه يقول:

ميثاقُهُ فيهمُ ملقىً وأمّتهُ   مع من بغاهمُ وعاداهمُ لَهُ شِيَعُ(٨٨)

ويشير مهيار إلى ما فعلَهُ المسلمون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وقد اجتمعوا لانتخاب سعد بن عبادة زعيم الأنصار، وقد نقضوا بيعه الغدير(٨٩):

حملوها يوم السقيفةِ أوزا   راً تخفُّ الجبال وهي ثقالُ(٩٠)

وقوله:

ويجتمعونَ على زعمهم   وينبيكَ سعدٌ بما أشكلا(٩١)

فيعقِبُ إجماعَهُم أن يبيـ   ـتَ مفضولَهُمُ يقدم الأفضلا(٩٢)

ويؤكَّد الشاعر أن الناس نقضت بيعة الرسول صلى الله عليه وآله، وألحّوا على اختيار أبي بكر(٩٣)، وفيه يقول:

توافقوا وقناة الدين مائِلةٌ   فحين قامت تلاحوا فيه واقترعوا(٩٤)

ويبين الشاعر أنّ إخفاق المؤتمر أدّى إلى اختيار أبي بكر، وفيه يقول:

وقلتم بذاك قضى الاجتماع ألا إنّما الحقُّ للمفرد(٩٥)

ويتساءل الشاعر عن الحجَّة التي أدَّت إلى هذهِ النتيجة:

وفيمَ صيَّرتمُ الاجماع حجتكم والناس ما اتفقوا طوعاً ولا اجتمعوا(٩٦)

ويرى مهيار أنّ النبي محمَّد صلى الله عليه وآله وبني هاشم يتألّمون على أمر الدولة والخلافة وهي، بيد الغرباء:

يعزُّ على هاشمٍ والنبيّ تلاعُب تيمٍ بها أو عَدي(٩٧)

وفي شأن الخلافة يؤكِّد الشاعر أن بني هاشم أضحوا معطَّلين، لأن الغرباء قد استأثروا بأمر الدولة:

إلى أن تحلَّت بها تيمها وأضحَتْ بنو هاشمٍ عطَّلا(٩٨)

وفي أمر البيعة يذكر الشاعر أنّ الذينَ لم يبايعوا الخليفة الأوَّل، وهم الإمام علي عليه السلام والعباس بن عبد المطلب، (٩٩) وفيه يقول:

أمرُ عليٍّ بعيداً عن مشورتهِ مُستكرَهٌ فيهِ والعبّاس يمتنِعُ(١٠٠)

وفي هذا المضمون يشير مهيار إلى خبَرَ الهجوم على بيتِ فاطمة عليه السلام لإجبار الإمام علي عليه السلام، (١٠١) على البيعة:

ونكثِهم بكَ مَيلاً عن وصيَّتِهم شرعٌ لعمرك ثانٍ بعدَه شرعوا(١٠٢)

ويشير مهيار إلى وصيَّة أبي بكر بخلافة عمر من بعدهِ:

ولما سرى أمر تيمٍ أطا ل بيتُ عديٍ لها الأحبلا(١٠٣)

ولم ينسَ الشاعر الشورى التي عقدها الخليفة الثاني وجعلها في ستة نفر وأسفرت عن تقلد عثمان منصب الخلافة(١٠٤):

وصاحب الشورى لِما ذاك ترى عنكَ وقد ضايقهُ الموتُ عَدل(١٠٥)

ويذكر مهيار سوء إدارة الخلافة أيام عثمان بن عفّان، والتوزيع غير

العـادِل للأمـوال، وإناطـة مؤسسـات الدولـة بيـد أقربائـهِ(١٠٦):

والأمـــويُّ مـالَـهُ أخَّـركــــم وخصَّ قوماً بالعطاءِ والنفل(١٠٧)

وقوله:

فـنـال أبــنُ عـفـانَ مـا لم يكن يُظنُ وما نـالَ بل نـولا(١٠٨)

ومـــدَّت أمـيَّــةُ أعـنـاقَـــهـا وقد هُوِّن الخطبُ واستسهلا(١٠٩)

فـقـرَّ، وأنــعــمُ عـيـش يكـو ن من قبله خشناً قلقلا(١١٠)

ومـن الحـدث التأريخـي ذكـر الشـاعر مقتـل الخليفـة الثالـث بعـد أن دخـل الثـوار إلى بيتـه(١١١):

وســاروا فـسـاقـوهُ أو أوردوه حياض الرَّدى منهلاً منهلا(١١٢)

حوادث خلافة الإمام علي عليه السلام:

وفيهـا يذكـر مهيـار رفـض معاويـة ابـن أبي سـفيان بيعـة الإمـام عـلي عليـه السـلام، وقـد طالـب بـدم عثـمان:(١١٣)

خـلـعَ الأمـانـةَ فـارتـدى بـمـعَّـرةٍ وسمت جباهُ الظّالمينَ مخازيا(١١٤)

وفي المضمـون نفسـه يشـير مهيـار إلى أنّ الذيـن طالبـوا بـدم عثـمان هـم الذيـن اشـتركوا بقتلـه(١١٥):

وجـاءوا يـسـومـونَـهُ الـقـاتِـلين وهـم قد ولّـوا ذلـك المقَـتـلا(١١٦)

ويتطـرق مهيـار إلى واقعـة الجمَـل، وقـد خـرجَ طلحـة والزبـير للعمـرة، وحرَّضـا النـاس وعائشـة لحـرب الإمـام عـلي عليـه السـلام، (١١٧) وفيـه يقـول:

فـشـحَّـذت تـلـك الظّـبـا وحُـفِـرت تلك الزُّبى وأضرمت تلك الشُّعَلْ

مـواقِـفُ في الـغـدرِ يكـفـي سبَّـةً منها وعـاراً لهُم يومَ الجمـل(١١٨)

ويستغرب الشاعر من علاقة بني تيم ببني أميَّة وفيه يقول:

يا للرجالِ ولتيمٍ تدَّعي ثأرَ بني أميَّةٍ وتنتحلْ(١١٩)

وذكر المؤرَّخون أن الذين خرجوا لحرب الجمل رفعوا شعاراً طالبوا فيهِ بدم عثمان. (١٢٠)

ويصف مهيار كثرة الجيوش التي حاربت جيش الإمام علي عليه السلام في حرب الجمل(١٢١):

يا ليتَ شعري عن أكفًّ أرهفت لك المواضي وانتحتكَ بالذبل

وأحتطبَتْ تبغيكَ بالشَّر، على أيَّ إعتذارٍ في المعادِ تتكل

تطلبُ أمراً لم يكن ينصُرُهُ بمثلِها في الحربِ إلاّ من خذَلْ(١٢٢)

ويتطرَّق الشّاعر إلى ضبّة ونسَبهُم وما فعلوه وهم أصحاب الجمل:(١٢٣)

ورجال ضبَّةَ ما قدى حجزاتِهمُ يومُ البصيرة مِن معينٍ تفانيا(١٢٤)

وهو يَصف هؤلاء بالكفر وأهل البصرة بأنهم أهل ورع وتقوى:

وقامَ بالبصرةِ الأيمانُ منتصِباً والكفرُ في ضبَّةَ جاثٍ على الرُّكَبِ(١٢٥)

ويصف مهيار الرّجال الَّذين خرجوا لحرب الإمام بأنهم كالأفاعي، فهمُ يعضّون بنابٍ سامٍّ:

ضُغموا بنابٍ واحدٍ ولطالَما ار دردوا أراقِم قبلَها وأفاعيا(١٢٦)

ويولي مهيار معركة صفين مساحةً ضيِّقةً في شعرهِ، ويصف معاوية بالدَّهاء والمكر والمداهنَة في رفع المصاحف، وقد اضطَّر الإمام لقبول التحكيم(١٢٧):

نوى الغدرَ أقوامٌ فخانوكَ بعدَه وما آنِفٌ في الغدرِ إلاّ كسالِف(١٢٨)

ويَرى مهيار أن دهاء معاوية ومكره هو السبب الذي أدى إلى نجاتهِ في المعركة، وفيهِ يقول:

لم يعتصِمْ بالمكرِ إلاّ عالِماً أَنْ ليسَ إن صدَقَ الكريهةَ ناجياً(١٢٩)

وينتِقل الشاعر إلى حادثةِ استشهاد الإمام علي عليه السلام، (١٣٠) وتعجّب الشاعر كيف يُقتل الأمام وهو ذلك البطل الهمام، وفيه يقول:

يا لِقومٍ إذ يقتلونَ علياً وهو للمحلِّ فيهم قتّال(١٣١)

ويذكر مهيار ما لحق بالأمَّة من المآسي، وقد عُطلِّت الأحكام وسادَ الظلم في الدولة وذلك بعد استشهاده عليه السلام:

قسماً لقد عظُمَ المصاب لأنّهُ أضحى الأمام عن الأئمةِ ثاوياً(١٣٢)

ويصف خبر مقتله كأنهُ الصيحة التي تنعاه منَ السّماء:

يذكرني مثوى عليٍّ كأنني سمعتُ بذاك الرزء صيحة هاتف(١٣٣)

المبحث الثالث: ((الأثر العقائدي للإمام علي في ديوان مهيار الديلمي))

والمقصود به العقائد التي نمت لدى الناس فجبلوا بها واعتادوا عليها ومن تلك العقائد التي وردت في ديوان الشاعر:

الشفاعة:

ويخاطب مهيار الإمام علي (عليه السلام) أن يكون هو المنقذ يوم المحشر، لأنّ غرضه من التشيع هو نيل الشفاعة من النبي وآله، وفيه يقول:

سلمان فيها شفيعي وهو منك إذا الـ آباءِ عندك في أبنائهم شفعوا

فكن بها منقذا من هول مطلعي غداً وأنت من الأعراف مطلَعُ

سولت نفسي غرورا إِن ضمنتُ لها   أني بذخر سوى حُبيكَ أنتفِعُ(١٣٤)

مآثر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ويقصد بها المناقب التي انماز بها الإمام (سلام الله عليه) من دون غيره ومن تلك المناقب والمناقب جمع تكسير على صيغة منتهى الجموع (مفاعل) ومفردها منقبة وهي ((الكرامة التي يختصُ بها وليٌّ من أولياء الله))، (١٣٥):

حسد الصحابة للإمام يعد منقبة ومن ذلك قول الشاعر:

ويُرجع مهيار سبب حسدَ الإمام علي عليه السلام إلى عجز الناس عن الوصول لمقاماته الرفيعة، ودرجاته العالية، ومنزلتهِ التي لا يدانيه إليها قريبُ ولا بعيد، وفيه يقول:

إن يحسدوكَ فلفرطِ عجزهم   في المشكلات ولمّا فيكَ كمُلْ(١٣٦)

والشاعر لا يلوم الحسود لآل البيت عامة والأمام علي عليه السلام خاصة، وفيه يقول:

فما ألوم حاسداً عنك انزوى   غيظاً ولا ذا قدمِ فيك تزلْ(١٣٧)

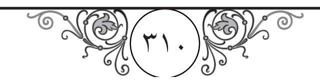
ويخاطب الشاعر أصحاب السقيفة أنهم أداروا الخلافةَ عن الإمام بسبب الحسد، وفيهِ:

فملتمُ بها حسَد الفضلِ عنه   ومن يكُ خيرَ الورى يُحسدِ(١٣٨)

ويبدو أن مهيار قد قاربَ هذا المعنى وهو يصف بيعة القوم في غدير خم فيقول:

وبايعوكَ عن خداعٍ كلّهُم   باسطُ كفٍّ تحتها قلبُ نَغِل(١٣٩)

ب- شفاعة الإمام علي (عليه السلام) تعد منقبة:



ومن معاني الشفاعة ما تعتَقِده الشيعة أن الإمام علي عليه السلام هو الخصم يوم القيّامة، (١٤٠) ويبدو أن مهيار يرى أنه عليه السلام لا يمهل أعداءَه في الآخرة إذا كان أمهلَهُم في دار الدنيا، وفيه يقول:

وكانت هناةُ وأنتَ الخصيم غداً والمعاجلُ مَن أمهلا(١٤١)

وفي الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام في محبَّة آل البيت عليه السلام: ((من ماتَ على حبِّ محمد وآل محمد ماتَ شهيداً، ألا ومن ماتَ على حبِّ محمد وآل محمد ماتَ تائباً، ألا ومن مات على حبِّ محمد وآل محمد ماتَ مؤمناً مستكمِلَ الأيمان))، (١٤٢) ويرى مهيار أن أعمالَهُ لا تنفعَهُ في الآخرة إلاّ بحب الأمام علي عليه السلام ففيه منفعة:

سوَّلتُ نفسي غروراً إن ضمنتُ لَها إنّي بذخرٍ سوى حبيكَ أنتفعُ(١٤٣)

وفي هذا المضمون نفسه يخاطب مهيار الإمام علي عليه السلام على أن الأعمال لا تقبل إلاّ بمحبتهِ:

ويسرّونَ بغضَهُ وهو لا تقـ ـبلُ إلاّ بحبِّه الأعمالُ(١٤٤)

ت-منقبتا الصل والطائر المشوي: وفيها أنّ الإمام علي عليه السلام جلبَ الماء من بئر الحديبيَّة بعد أن عجز الصحابة من جلبه وهربوا خوفاً من هذا الصل، (١٤٥) ويرى الشاعر أنّ الصلّ لم يكلِّم أحداً من قبله وفيه يقول:

وآكلُ الطائرِ والطاردُ للـ ـصل، ومن كلَّمَه قبلك صِل(١٤٦)

أما منقبة الطائر المشوي فهي التي تتمثل في دعاء الرَّسول صلى الله عليه وآله: ((اللَّهُمَّ ائتني بأحبِّ الخلقِ إليكَ يأكلُ معي هذا الطّائر))،



(١٤٧) وأوَّل من دخلَ هو الإمام علي عليه السلام، فأكل معَهُ.

منقبة رجوع الشمس: وفيها رواية أنّ الشمس رُدَّت إليهِ في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، (١٤٨)

والثانيَّة في أثناء عودته من النهروان وكان قد مرَّ على بابل ولم يصلِّ بها(١٤٩)، وفيه يقول:

ورجعةُ الشمسِ عليكَ نبأٌ تُشعَّبُ الألبابُ فيهِ وتُضِلْ(١٥٠)

فهو يصف عقول الناس بأنَّها تأرجحت واختلَفت بسبب هذهِ المنقَبة.

منقبة الصخرة: ويذكر المؤرَّخون في تلك المنقبة أنّ الإمام قد اقتلَعَ صخرةً فأخرج منها الماء، وذلك في طريقه إلى معركة صفّين، وقد شرب العسكر وتزوَدوا، (١٥١) وفيه يقول:

والصخرةُ الصمّاء أخفى تحتها ماءً وغير يديه لم يكُ ساقيا(١٥٢)

ويبدو أنّ مهيار يصرَّح بتلك المناقب، ويذكر لفظها مراراً، وفيه يقول:

مناقِبُ تفتِقُ ما رقعتم من بأسِ عمرو وسماحة حاتمِ(١٥٣)

تفضيل الرسول صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام يعد منقبة، وفيه يقول مهيار:

أخصَّك بالتفضيلِ إلاَّ لعلمهِ بعجزهم عن بعضِ تلكَ المواقِف(١٥٤)

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث المتواضع وبعد قراءة مستفيضة في ديوان الشاعر مهيار الديلمي فقد توصل الباحث الى النتائج الآتية:

من المحاور التي يشتمل عليها ديوان الشاعر الأثر الديني للإمام علي

عليه السلام

وهو يتمثل في (القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف) فضلاً عن القيم الإسلامية التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف.

وقد تمثل الاقتباس من القرآن الكريم فيآيات: (المباهَلة، وآل البيت وآية الولاية والأعراف وآية الوزارة

٢-الاقتباس من الحديث النبوي النبوي الشريف جاء من النمط الثاني (غير المباشر): ويتمثل في أحاديث الوزارة والأخوة والوصاية وولاية المؤمنين وأمرتهم فضلاً عن حديث إقامة الصلاة

احتوت القيم العربية والإسلامية: وهي تضم صفات شجاعة الإمام، وتوحيد الباري الذي يضم أسبقيته بالإسلام وصلاته عليه السلام فضلا عن صبره على الشدائد والمحن وتصدق الإمام علي عليه السلام الذي يعد من تلك القيم المبحث الثاني: ((الأثر التاريخي للإمام علي عليه السلام في ديوان مهيار الديلمي))

من المحاور الأخرى التي تضمنها ديوان الشاعر الأثر التاريخي والذي احتوى على: (حوادث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وحوادث خلافة الإمام علي عليه السلام التي تضمنت المعارك والبطولات التي خاضها عليه السلام فضلاً عن حادثة استشهاده (سلام الله عليه)

لم يهمل الشاعر الأثر العقائدي للشيعة الإمامية فقد اشتملت قصائده على هذا النمط والتي تضم الشفاعة فضلا عن تضمينه مآثر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومناقبه من دون غيره من البشر ويقصد بها المناقب

التي انماز بها الإمام (سلام الله عليه) ومن تلك المناقب حسده من قبل الصحابة وشجاعته وخصفه لنعل النبي ومشاركته الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في الطائر المشوي فضلا عن حادثتي الصل والصخرة

هوامش البحث

١- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: تأليف / الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي، ٢/ ٢٣١.

٢- ينظر: ديوان مهيار الديلمي، ٣/ ٤.

٣- ينظر: معجم البلدان، لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي، ٧/ ١٤، ديوان مهيار الديلمي، ٢/ ١٨١.

٤- ينظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة، ٢/ ١٨١٤.

٥- دمية القصر وعصره أهل العصر: (لأبي الحسن الباخرزي)، ١/ ٢٨٤.

٦- ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تأليف: (أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلّكان)، ٤/ ٥٤١-٥٤٢.

٧- ينظر: شعر الشريف الرضي و منطلقاته الفكرية: د. عبد اللطيف عمران، ٢١٩.

٨- ينظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٥/ ٢٩.

٩- ينظر: تأريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ١/ ٤٣٨.

١٠- ينظر الحماسة المغربية: مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب (لأبي العباس محمَّد بن عبد السلام الجراوي التالدي، ٢/ ٩١٨.

١١- ديوان مجنون ليلى: ٦٦.

١٢- (سورة القدر: الآية ٣)

١٣- لسان العرب: ٦/ ١٨٥.

١٤- سورة آل عمران: آية ٦١.

١٥- ينظر صحيح مسلم: (أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري)، ٣٤٤.

١٦- ينظر الكامل في التأريخ: (لأبن الأثير الجزري): ٢/ ١٦٢.

١٧- الديوان: ٣/ ٤٨.

١٨- الديوان: ٢/ ١٨٢.

١٩- سورة النور آية٣٦.

٢٠- ينظر المعجم الكبير: (لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني)، ٣/ ٤٣.

٢١- الديوان: ٣/ ٤٨.

٢٢-م. ن: ١/ ٢٩٩.

٢٣- م. ن: ٢/ ١٨٣.

٢٤- (سورة المائدة: آية ٥٥).

٢٥- ينظر جامع البيان/ الطبري: ٤/ ٦٢٨، ينظر الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ٦/ ٢٠٧.

٢٦- الديوان: ١/ ٢٩٩.

٢٧- (سورة الأعراف: آية ٤٦).



٢٨- ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن (لأبي على الفضل بن الحسن الطبرسي)، ٤/ ٤٢٣.

٢٩- الديوان: ٢/ ١٨٤.

٣٠- سورة طه: ٢٩، ٣٠.

٣١- ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن: ٧/ ١٢، منتخب فضائل النبي وأهل بيته ٣٤٧.

٣٢- الديوان: ٤/ ١٢١.

٣٣- تأريخ العرب: (فيليب متي، أدورد جرجي، جبرائيل جبوّر)، ٢/ ٤٧٩.

٣٤- ينظر تأريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي): ٣٥.

٣٥- تأريخ العرب: ٢/ ٤٨٠.

٣٦- كنز العمال: ١٣/ ١٣١.

٣٧- الديوان: ٣/ ١١٢.

٣٨- الديوان: ٤/ ١٢٠.

٣٩- سنن الترمزي (الجامع الصحيح) لمحمَّد بن عيسى الترمذي، ٥/ ٥٩١.

٤٠- الديوان: ١/ ٢٩٩.

٤١- م. ن: ١/ ٢٩٩.

٤٢- الديوان: ٢/ ١٨٣.

٤٣- خصائص أمير المؤمنين: (علي بن أبي طالب)/ تأليف: السيد

الشريـف الـرضي، ٣٥.

٤٤- الديوان: ٣/ ١١١.

٤٥- المستدرك على الصحيحين: (لمحمَّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري) ت: (٤٠٥هـ) ٣/ ١٦٧.

٤٦- الديوان: ٣/ ١١١.

٤٧- م. ن: ٢/ ٢٦١.

٤٨- ينظر الإرشاد في معرفة حجة الله على العباد: تأليف/ الشيخ المفيد ١/ (٦٨-٦٩).

٤٩- الديوان: ٣/ ٤٩.

٥٠- ينظر الإرشاد، ١/ ٨٥.

٥١- الديوان: ٢/ ٢٦٤.

٥٢- الديوان: ٤/ ٢٠٠.

٥٣- م. ن: ٢/ ٢٦٤.

٥٤- ينظر الكامل في التأريخ: علي بن محمَّد بن الأثير الجزري، ٢/ ١٢٤.

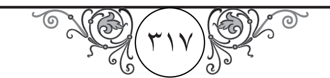
٥٥- الديوان: ٤/ ٢٠١.

٥٦- م. ن: ٤/ ٢٠١.

٥٧- ينظر الكامل في التأريخ: ٢/ ١٤٩.

٥٨- الديوان: ٤/ ٢٠١.

٥٩- ينظر الإرشاد: ١/ ٥٢.



٦٠- الحوباء:- النفس، ينظر- لسان العرب، ١/ ٣٤٠.

٦١- الديوان: ٤/ ٢٠١.

٦٢- ينظر الجمل وصفين والنهروان: لأبي مخنف لوط بن يحيى الكوفي ٣٦٩.

٦٣- الديوان: ١/ ٢٠.

٦٤- م. ن.: ٤/ ١٢٠.

٦٥- ينظر الجمل وصفين والنهروان: ٣٦٩.

٦٦- الديوان: ٤/ ٢٠١.

٦٧- ينظر الكامل في التأريخ: ٢/ ١٧١.

٦٨- الديوان: ٢/ ٢٦٤.

٦٩- م. ن: ٤/ ٢٠١.

٧٠- التوحيد: الشيخ الجليل الأقدم الصدوق، ٥٧.

٧١- الديوان: ٣/ ١١١.

٧٢- الديوان: ٢/ ٢٦١.

٧٣- م. ن: ٣/ ١١١.

٧٤- م. ن: ٣/ ٣٣٥.

٧٥- م. ن: ٣/ ١١١.

٧٦- م. ن: ٣/ ٤٩.

٧٧- م. ن: ٢/ ١٨٣.

٧٨- ينظر تأريخ اليعقوبي: (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي)،

٢/ ١١.

٧٩- الديوان: ٣/ ١٧.

٨٠- ينظر التوحيد، ١٦٢، ينظر منتخب فضائل النبي وأهل بيته، ١٨٣.

٨١- الديوان: ٣/ ١١٥.

٨٢- ينظر البداية والنهاية: ٥/ ٢٤٨.

٨٣- تأشب: اختلط، ينظر مختار الصحاح، (لأبي بكر الرازي) ٣٥٠.

٨٤- الديوان: ٣/ ٥٠.

٨٥- الديوان: ٣/ ٥١.

٨٦- م. ن: ٣/ ٥٠.

٨٧- م. ن: ٣/ ٥٠.

٨٨- م. ن: ٢/ ١٨٢.

٨٩- ينظر الكامل في التأريخ/ (ابن الأثير الجزري)، ٢/ ٢٢١.

٩٠- الديوان: ٣/ ١٦.

٩١- م. ن: ٣/ ٥٠.

٩٢- م. ن: ٢/ ١٨٣.

٩٣- ينظر الكامل في التأريخ: ٢/ ٢٢٥.

٩٤- الديوان: ٢/ ١٨٣.

٩٥- م. ن: ١/ ٢٩٩.

٩٦- م. ن: ٢/ ١٨٣.



٩٧- م. ن: ١/ ٢٩٩.

٩٨- م. ن: ٣/ ٥١.

٩٩- ينظر الكامل في التأريخ: ٢/ ٢٢٠.

١٠٠- الديوان: ٢/ ١٨٣.

١٠١- ينظر الكامل في التأريخ: ٢/ ٢٢١.

١٠٢- الديوان: ٢/ ١٨٣.

١٠٣- م. ن.: ٣/ ٥١.

١٠٤- ينظر الكامل في التأريخ: ٣/ ٢٧.

١٠٥- الديوان: ٣/ ١١٣.

١٠٦- ينظر الكامل في التأريخ: ٣/ ٤٢.

١٠٧- الديوان: ٣/ ١١٣.

١٠٨- م. ن: ٣/ ٥١.

١٠٩- م. ن.: ٣/ ٥١.

١١٠- م. ن.: ٣/ ٥١.

١١١- ينظر تأريخ اليعقوبي: ١/ ٧٣، ينظر تأريخ الطبري: ٣/ ٤١٤، ينظر الكامل: ٣/ ٦٨.

١١٢- الديوان: ٣/ ١١٣.

١١٣- ينظر الكامل: ٣/ ١٤١.

١١٤- الديوان: ٣/ ٥١.

١١٥- ينظر الكامل: ٣/ ١٤٢.

١١٦- الديوان: ٣/ ٥١.

١١٧- ينظر تأريخ اليعقوبي: ٣/ ٤٦٥، ينظر تأريخ الطبري: ٣/ ٤٦٥، ينظر الكامل: ٣/ ٢٠٥.

١١٨- الديوان: ٣/ ١١٣.

١١٩- م. ن: ٣/ ١١٤.

١٢٠- ينظر تأريخ اليعقوبي: ٢/ ٧٨، تأريخ الطبري: ٣/ ٤٦٥، الكامل: ٣/ ١٠٥.

١٢١- ينظر الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة: تأليف: الشيخ المفيد، ٤١٩.

١٢٢- الديوان: ٣/ ١١٤.

١٢٣- ينظر الجمل والنصرة: ٤٢٠، ينظر تأريخ الطبري: ٣/ ٤٦٦، الكامل: ٣/ ١٠٦.

١٢٤- الديوان: ٢/ ٢٠١.

١٢٥- م. ن: ١/ ٢٠.

١٢٦- م. ن: ٤/ ٢٠١.

١٢٧- ينظر تأريخ اليعقوبي: ٢/ ٨٨، الكامل في التأريخ: ٣/ ٢٠٧.

١٢٨- الديوان: ٢/ ٢٦١.

١٢٩- الديوان: ٤/ ٢٠١.

١٣٠- ينظر تأريخ اليعقوبي: ٢/ ١١٩، تأريخ الطبري: ٤/ ١١٣، الكامل: ٣/ ٢٥٦.



١٣١- الديوان: ٣/ ١٦.

١٣٢- م. ن: ٤/ ٢٠١.

١٣٣- م. ن: ٢/ ٢٦٠.

١٣٤- م. ن: ٢/ ١٨٤.

١٣٥- بصائر الدرجات الكبرى: ٨/ ٤١٩.

١٣٦- الديوان: ٣/ ١١٣.

١٣٧- م. ن: ٣/ ١١٥

١٣٨- م. ن: ١/ ٢٩٩.

١٣٩- الديوان: ٣/ ١١٣.

١٤٠- ينظر بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمَّد: محمَّد بن الحسن بن فروخ الصفّار، ٤/ ١٩٢.

١٤١- الديوان: ٣/ ٥٢.

١٤٢- التفسير الكبير: فخر الدين الرازي، ٢٧/ ١٦٥.

١٤٣- الديوان: ٢/ ١٨٤.

١٤٤- الديوان: ٣/ ١٦.

١٤٥- ينظر الإرشاد: ١/ ١٢٢.

١٤٦- الديوان: ٣/ ١١٥

١٤٧- الإرشاد: ١/ ٣٨.

١٤٨- ينظر الإرشاد: ١/ ٣٤٦.

١٤٩- ينظر م. ن: ١/ ٣٤٧.



١٥٠- الديوان: ٣/ ١١٥.

١٥١- ينظر الإرشاد: ١/ ٣٣٥.

١٥٢- الديوان: ٤/ ٢٠١.

١٥٣- م. ن: ٣/ ٣٣٦.

١٥٤- م. ن: ٢/ ٢٦١.

قائمة المظان الأساسية

١- الإرشاد في معرفة حجة الله على العباد: تأليف/ الشيخ المفيد ت(٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت(ع) لإحياء التراث، ط٢، قم، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

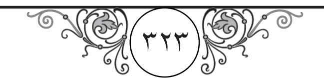
٢- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمَّد: محمَّد بن الحسن بن فروخ الصفّار، ت(٢٩٠هـ)، تحقيق: محسن كوجة التبريزي، منشورات: مطبعة تبريز، ط١، قم، ١٣٨١هـ-١٩٦٠م.

٣- تأريخ الأدب العربي، عمر فروخ، منشورات: دار العلم للملايين، ط٥، بيروت، (١٣٩٠هـ-١٩٦٩م).

٤- تأريخ العرب: (فيليب متي، أدورد جرجي، جبرائيل جبوّر)، منشورات: دار الكتاب للنشر والتوزيع والطباعة، ط٣، بيروت، ١٩٦١م.

٥- ينظر تأريخ اليعقوبي: (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، ت: عبد الأمير مهنا، منشورات: الأعلمي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٦- التفسير الكبير: فخر الدين الرازي ت(٦٠٦هـ)، منشورات المطبعة





البهية المصرية، ط٤، القاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م،

٧- التوحيد: الشيخ الجليل الأقدم الصدوق، ت(٣٨١هـ) صححه وعلق عليه/ هاشم الحسيني، منشورات: مؤسسة النشر الإسلامي، ط٨، قم، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٨- الجمل وصفين والنهروان: لأبي مخنف لوط بن يحيى الكوفي ت(١٥٨هـ)، تحقيق: حسن السنيد، منشورات: مؤسسة/ دار الإسلام للطباعة والنشر، ط١، طهران، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ٣٦٩.

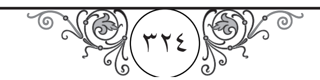
٩- الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة: تأليف: الشيخ المفيد، ت(٤١٣هـ)، ت: علي الشريفي، منشورات: مركز الإعلام الإسلامي، ط٢، قم، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

١٠- الحماسة المغربية: مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب (لأبي العباس محمَّد بن عبد السلام الجراوي التالدي، تح: محمَّد رضوان الدايه، منشورات: دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩١.

١١- خصائص أمير المؤمنين: (علي بن أبي طالب)/ تأليف: السيد الشريف الرضي ت: (٤٠٦هـ)، منشورات: مطبعة مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

١٢- دمية القصر وعصره أهل العصرة: (لأبي الحسن الباخرزي)، تحقيق: د. سامي مكي العاني، منشورات: مكتبة دار العروبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، الصفاة، الكويت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، الجزء الأول.

١٣- ديوان دعبل بن علي الخزاعي، تحقيق: عبد الصاحب الدجيلي،



منشـورات: دار الكتـاب اللبنـاني، ط١، قـم، ١٩٩٦م.

١٤- ديـوان مجنـون ليـلى: شرحـه وضبـط نصوصـه وقـدم لـه: د. عمـر فـاروق الطبّـاع، شركـة دار الأرقـم بـن أبي الأرقـم للطباعـة والنـشر والتوزيـع، ط١، بـيروت- لبنـان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٥- ديـوان مهيـار الديلمـي، تحقيـق: احمـد نسـيم، منشـورات: دار الكتـب المصريـة، ط:١، القاهـرة، ١٣٤٤هـ-١٩٢٥م.

١٦- سـنن الترمـزي (الجامـع الصحيـح) لمحمَّـد بـن عيسـى التزمـذي، ت(٢٣٩هــ)، ت: أحمـد محمـد شـاكر، منشـورات: دار إحيـاء الـتراث، ط٢، بـيروت، ١٤٢٣هــ-٢٠٠٢م.

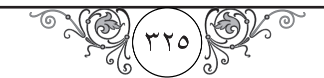
١٧- شـعر الشريـف الـرضي و منطلقاتـه الفكريـة: د. عبـد اللطيـف عمران، منشـورات: دار الينابيـع للطباعـة والنـشر والتوزيـع، ط١، دمشـق، ١٤٢١هــ-٢٠٠٠م.

١٨- صحيـح مسـلم: (أبي الحسـن مسـلم بـن الحجـاج النيسـابوري)، ت(٢٦١هــ)، تـح: محمـد فـؤاد عبـد الباقـي، منشـورات: مطبعـة الأحيـاء (د. ت).

١٩- الكامـل في التأريـخ: عـلي بـن محمَّـد بـن الأثـير الجـزري، منشـورات المطبعـة المصريـة، ط١، القاهـرة، ١٣٤٩هــ-١٩٣٩م.

٢٠- الكامـل في التأريـخ/ (ابـن الأثـير الجـزري)، منشـورات: المطبعـة المنيريـة، (د. ت)

٢١- مجمـع الأمثـال: (لأبي الفضـل الميـداني)، ت(٥١٨هـ)، تقديـم وتعليق:



نعيم حسين زرزور، ط١، بيروت، (د. ت).

٢٢- مجمع البيان في تفسير القرآن (لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي)، منشورات: دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م.

٢٣- المستدرك على الصحيحين: (لمحمَّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري) ت: (٤٠٥هـ) ت: مؤسسة آفاق الإسلام، منشورات: دار الكتب العلمية، ط١، بيروت- لبنان، ١٤١١هـ-٢٠٠٠م.

٢٤- معجم البلدان، لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي، منشورات مطبعة دار السعادة، ط١، القاهرة، ١٩٠٦م.

٢٥- المعجم الكبير: (لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني)، تحقيق: حمدي عبد المجيد، منشورات: دار إحياء التراث، ط٢، بيروت، ١٣٩٦هـ-١٩٧٥م.

٢٦- معجم المطبوعات العربية والمعربة وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الاقطار الشرقية والغربية مع ذكر اسماء مؤلفيها ولمعة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة الهجرية ١٣٣٩ الموافقة لسنة ١٩١٩ ميلادية جمعه ورتبه يوسف اليان سركيس المجلد الأول منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي تقدمة الكتاب إلى العالم العامل والاديب الفاضل صاحب السعادة احمد باشا تيمور.

٢٧- منتخب فضائل النبي وأهل بيته، ت: مركز الغدير، تقديم: محمَّد بيومي مهران، ط٢، بيروت، ٢٠٠٢م

٢٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تأليف: (أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلّكان)، المتوفى سنة (٦٨١هـ)، حقق أصوله وكتب هوامشه: د. يوسف علي طويل، و د. مريم قاسم طويل،

منشــورات: محمـد عـلي بيضـون، دار الكتـب العلميـة، ط١، بـيروت- لبنـان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

The research is based on an extensive reading of the bull in the library of a poet Abassi Aslam at the age of thirty. He may study in the hands of the captain of the Talabiyyim the poet Sharif al-Razi (٤٠٦ AH). The research was divided into three sections preceded by an introduction and an endowment and ended with a conclusion. Contains basic paraphernalia of sources and references.

And the mark of the first topic: (B) (the religious impact of Imam Ali (p) in the office of Mehyar Dailami)).

While the second topic entitled: ((Historical Impact of Imam Ali (p) in the Diwan of Mehyar Dailami)

The third topic was entitled: ((The ideological impact of Imam Ali (p) in the office of Mehyar Dailami). The researcher relied on the descriptive analytical method in the course of his study of this subject

And using a variety of historical sources Quranic literary and doctrinal in order to accomplish this research and what the researcher has done is an attempt to read the texts of poetic literary reading is a compromise of the Bari Almighty and his compassion and attention because the researcher does not claim perfection in all this the human is not immune to slippage error and error

النهج اللغوي في خطاب العصمة خطبة الغدير المباركة انموذجًا دراسة لغوية في ضوء النظريتين النصية والتداولية

أ. م. د. مرتضى مزيد جبر

الملخص:

فبعد أن وفقنا الله تعالى في المشاركة في المؤتمر العلمي الدولي السادس لفكر الإمام الحسن عليه السلام بدراسة وسمتها بـ-النهج اللغوي في خطاب العصمة، خطاب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام انموذجًا، دراسة لغوية وتداولية» فها أنا ذا أقدم هذهِ الدراسة التي وسمتها بـ -النهج اللغوي في خطاب العصمة، خطبة الغدير المباركة انموذجًا، دراسة لغوية في ضوء النظريتين النصية والتداولية- للمشاركة في مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول، قراءات معرفية في رحاب الغدير، سائلًا المولى عزَّ وجل أن يوفقني لاستكمال دراسة النهج اللغوي في خطاب العصمة في مجموعة دراسات تبحث في تراث السنة النبوية والعترة الطاهرة الطيبة.

توزعت دراستي على مقدمة وأربعة مباحث:

المبحث الأول: ترادف النصوص وتضادها في خطبة الغدير المباركة.

وبحث المبحث الثاني: التناص القرآني في خطبة الغدير المباركة.

واختص المبحث الثالث في السياق والسيرة الذاتية في خطبة الغدير المباركة.

وتناول المبحث الرابع: الانجازية والسيميائية في خطبة الغدير المباركة.

المقدمة

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد

وبعد

فإنَّ -من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق- وأنا إذ أتقدم بالشكر والعرفان إلى الأخوة المؤتمرين في (مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول، قراءات معرفية في رحاب الغدير) (إدارة ورعاية) على منحهم الفرصة للباحثين في الكتابة عن أشرف الخطب وأهمها عند العرب والمسلمين أقول إذ أتقدم بالشكر والعرفان لهم فإنني أُذكّر بأن -الدال على الخير كفاعله- سائلًا الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا جميعًا ويجعل ذلك في صحائفنا البيضاء يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

بعد أن وفقنا الله تعالى في المشاركة في المؤتمر العلمي السنوي الدولي السادس لفكر الإمام الحسن عليه السلام بدراسة وسمتها بـ-النهج اللغوي في خطاب العصمة، خطاب الإمام الحسن عليه السلام انموذجًا، دراسة لغوية وتداولية» فها أنا ذا أقدم هذهِ الدراسة التي وسمتها بـ- النهج اللغوي في خطاب العصمة، خطبة الغدير المباركة انموذجًا، دراسة في ضوء النظريتين النصية والتداولية- للمشاركة في (مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول، قراءات معرفية في رحاب الغدير) سائلًا المولى عزّ وجل أن يوفقني لاستكمال دراسة النهج اللغوي في خطاب العصمة في مجموعة دراسات تبحث في تراث السنة النبوية والعترة الطاهرة الطيبة.

توزعت دراستي على مقدمة وأربعة مباحث:

المبحث الأول: ترادف النصوص وتضادها في خطبة الغدير المباركة.

وبحث المبحث الثاني: التناص القرآني في خطبة الغدير المباركة.

واختص المبحث الثالث في السياق والسيرة الذاتية في خطبة الغدير المباركة.

وتناول المبحث الرابع: الانجازية والسيميائية في خطبة الغدير المباركة.

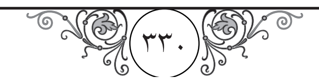
المبحث الأول

ترادف النصوص وتضادها في خطبة الغدير المباركة

استعمل النصيون مصطلحي الترادف والتضاد للتعبير عن ترادف النصوص وتضادها(١)، ومثلوا لذلك بمجموعة أمثلة من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣﴾[الإخلاص: ١-٣] للدلالة على ترادف النصوص، وقوله تعالى: ﴿نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٤٩ وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ ٥٠﴾[الحجر: ٤٩-٥٠] للدلالة على تضاد النصوص.

ويرى النصيون أن ترادف النصوص وتضادها جزء لا يتجزء من مفهوم الربط الشكلي والمضموني على مستوى السبك والحبك، فهما يجعلان النص في وحدة متماسكة من جهة وحدة الموضوع وأثرها في مقبولية المتلقي(٢).

وفي البحث عن مفهوم مصطلح النصيين لترادف النصوص وتضادها في



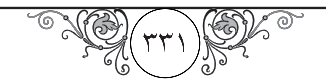
خطبة الغدير المباركة فإننا نلحظ وجود ذلك المفهوم في أكثر من موضع من مواضعها مما جعلها مترابطة ومتماسكة في سبكها وحبكها.

من ذلك قول النبي محمد صلى الله عليه وآله في خطبة الغدير- مثالًا عن تضاد النصوص- -يلحظ كلَّ عين والعيون لا تراه، كريم حليم ذو أناة قد وسع كلَّ شيء رحمته ومَنَّ عليهم بنعمة لا يعجل بانتقامه ولا يبادر إليهم بما استحقوا من عذابه-(٣) ثم يقول: -وأشهدُ أنه الله الذي تواضع كلُّ شيء لعظمته وذلَّ كلُّ شيء لعزته واستسلم كلُّ شيء لقدرته وخضع كلُّ شيء لهيبته، ملك الأملاك ومفلك الأفلاك ومسفر الشمس والقمر-(٤).

فالنصان يَجمعان بين كرم الله وحلمه وأناته وعدم المبادرة في العذاب لمستحقيه وبين قوته وعظمته وذلة كلِّ شيء له. فسبحانه وتعالى قوي رحيم وشديد رؤوف فتعالى الله عما يصفون.

ونجد أيضًا أن التضاد في النصوص قد يكون في الموضع نفسه من الخطبة المباركة ولكن هذهِ المرة ليصف لنا صلى الله عليه وآله حالة من التضاد ليست لرب العزة والجلالة وإنما حاله هو أيضًا صلى الله عليه وآله مع ربه إذ يقول: - أحمد حمدًا كثيرًا وأشكره دائمًا على السراء والضراء والشدة والرخاء وأؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله أسمع لأمره وأطيع وأبادر إلى كل ما يرضاه واستسلم لما قضاه رغبة في طاعته وخوفًا من عقوبته لأنه الله الذي لا يؤمن مكره ولا يخاف جوره-(٥).

فالسراء والضراء والشدة والرخاء والرغبة في الطاعة والخوف من



العقوبة حالات التضاد المحمودة والممدوحة من صفات النبي محمد صلى الله عليه وآله مع ربه فسبحان الله عما يصفون.

وكيف لا؟! وهو عزَّ وجل -لم يكن له ضد ولا معه نِدٌّ، أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، إله واحد ورب ماجد.... يُميت ويحيي، ويفقر ويغني، ويضحك ويبكي، ويدني ويقصي، ويمنع ويعطي»(٦). أما ترادف النصوص في خطبة الغدير المباركة فكانت تارة للتوكيد وتارة للتنبيه وتارة لتثبيت موضوع الخطبة في أذهان المخاطبين.

فمن ترادف النصوص في خطبة الغدير المباركة لغرض التوكيد قوله صلى الله عليه وآله: -فاعلموا معاشر الناس ذلك فيه وافهموه وأعلموا أن الله قد نصبه لكم وليًا وإمامًا فرض طاعته على المهاجرين والأنصار وعلى التابعين لهم بإحسان، وعلى البادي والحاضر، وعلى العجمي والعربي، والحرِّ والمملوك، والصغير والكبير، والأبيض والأسود، وعلى كلِّ موحد في حكمه، جاز في قوله، نافذ أمره ملعون من خالفه، ومرحوم من تبعه وصدّقه فقد غفر الله له ولمن سَمِعَ منه وأطاع له»(٧).

فالنص يمكن أن يختصر بعبارة موجزة وهي:

أن الله نصبه لكم جميعًا وليًا وإمامًا، فمن خالفه هلك ومن تبعه نجا. لكنه صلى الله عليه وآله رادف في النصوص من أجل أن يؤكد هذا المعنى في أذهان المخاطبين ولا يكون ذلك إلا بالتفصيل المتقدم فذكر المهاجرين والأنصار والتابعين والبادي والحاضر والعجمي والعربي والحرِّ والمملوك والصغير والكبير والأبيض والأسود، ثم ختم بكل موحد ماضٍ في

حكمـه.

ومـن تـرادف النصـوص في خطبـة الغديـر المباركـة لغـرض التنبيـه قوله صلى الله عليـه وآلـه: -فاسـمعوا وأطيعـوا وانقـادوا لأمـر ربكـم، فـأن الله عـزَّ وجـل وهـو مولاكـم والهكـم، ثـم مـن دونـه رسـوله ونبيـه المخاطِـب لكـم، ثـم مـن بعـدي عـلي وليكـم إمامكـم بأمـر الله ربكـم، ثـم الإمامـة في ذريتـي مـن ولـده إلى يـوم تلقـون الله ورسـوله-(٨).

وعندمـا أراد أن يثبـت ذلـك في نفوسـهم رادف في النصـوص بقولـه صـلى الله عليـه وآلـه -مـا مـن علـم إلا وقـد أحصـاه الله فيَّ، وكل علـم علمـتُ فقـد أحصيتـه في إمـام المتقـين، ومـا مـن علـم ألا وقـد علمتُـه عليًـا وهـو الإمـام المبـين الـذي ذكـره الله في سـورة يـس ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـاهُ فِي إِمَـامٍ مُبِينٍ﴾[يـس: ١٢]..... -(٩).

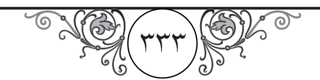
المبحث الثاني

التناص القرآني في خطبة الغدير المباركة

يُعـرّف النصيـون التنـاص عـلى أنـه: -العلاقـات بـين نـص مـا ونصـوص أخـرى مرتبطـة بـه وقعـت في حـدود تجربـة سـابقة سـواء بوسـاطة أم بغـير وسـاطة-(١٠).

وللتناص أنواع أشهرها:

التنـاص الشـكلي -وهـو أن يكـون اجـراء النـص عـلى وفـق قواعـد نـص آخـر»(١١). والتنـاص المضمـوني -وهـو أن يُنَصَّـص مضمـون نـص آخـر في






النص المنتج»(١٢).

ويذهب النصيون إلى أن التناص قد -يحدث عن غير قصد من الكاتب وهو الذي تتسرب فيه إلى النص الأصلي ملامح ومقتطفات من نصوص أخرى»(١٣).

وقد يحدث التناص عن وعي وقصد من الكاتب فيعمد -إلى الإشارة للنص المستعار إشارة واضحة وقد يكون لذلك غايات عديدة كالاستشهاد أو المناقشة أو النقض أو الدحض-(١٤). والتناص بهذهِ المعاني كان حاضرًا في خطبة الغدير المباركة فمن التناص الشكلي قول النبي صلى الله عليه وآله في خطبة الغدير -ولم يكن له ضِدٌّ ولا معه نِدٌّ واحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد»(١٥).

أما التناص المضموني فكثير جدًا في هذهِ الخطبة المباركة ومنها قوله صلى الله عليه وآله: -فهو الله الذي لا إله إلا هو المتقن الصنعة، الحسن الصنيعة، العدل الذي لا يجور، والأكرم الذي ترجع إليه الأمور»(١٦).

لقد وظّف الرسول الكريم صلى الله عليه وآله النص القرآني في خطبة الغدير المباركة بما ينسجم مع وحدة موضوع الخطبة فكان التناص القرآني دليلاً يؤيد مضمون الخطبة من ذلك قوله صلى الله عليه وآله عندما أراد أن يبلغ الناس بولاية صلى الله عليه وآله بعده فقال: -وقد ضمن لي تبارك وتعالى العصمة من الناس وهو الله الكافي الكريم فأوصى إلي بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧]...



-(١٧). وعندما أبلغهم صلى الله عليه وآله بموضوع الأمر السماوي الذي كلفه الله به قدّم دليلًا على ذلك فقال: -إن جبرئيل هبط اليَّ مرارًا ثلاثًا يأمرني عن السلام ربي-وهو السلام- أن أقوم في هذا المشهد فأُعلم كلَّ أبيض وأسود أن علي بن أبي طالب أخي ووصي وخليفتي على أمتي والإمام من بعدي، الذي محله مني محل هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وهو وليكم بعد الله ورسوله. وقد أنزل الله تبارك وتعالى عليَّ بذلك آية من كتابه هي ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة:٥٥].... -(١٨).

وبيّن لهم أنه طلب من جبرئيل أن يستعفي له السلام تبليغ ذلك إلى الناس وذكر لهم السبب وقدّم لهم دليلًا قرآنيًا آخر في تناص يذكرهم بما كانوا يقولون عنه بسبب حبه لعلي عليه السلام إذ قال -لعلمي بقلة المتقين وكثرة المنافقين وإدغال اللائمين وحيل المستهزئين بالسلام.... حتى سموني أُذنًا وزعموا أني كذلك لكثرة ملازمته إياي وإقبالي عليه وهواه وقبوله مني حتى أنزل الله عزّ وجل في ذلك ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة: ٦١].... -(١٩).

وعندما أراد صلى الله عليه وآله أن يبين منزلة علي عليه السلام في القرآن الكريم استعمل التناص القرآني ليعزز بعه خطبته المباركة فقال: -وما من علم إلا وقد علمته عليًا، وهو الإمام المبين الذي ذكره الله في سورة يس: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾.... (٢٠)..



وقال صلى الله عليه وآله: -معاشر الناس، إنه جنب الله الذي ذُكر في كتابه العزيز، فقال تعالى مخبرًا عمن يخالفه ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾[الزمر: ٥٦].... -(٢١).

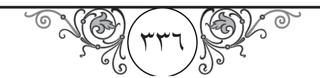
وقال أيضًا يؤكد منزلة عليّ عليه السلام في القرآن الكريم -ولا نزلت آية مدح في القرآن إلا فيه، ولا شهد الله بالجنة في ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ﴾[الإنسان: ١] إلا له، ولا أنزلها في سواه ولا مدح بها غيره-(٢٢).

ثم قال وأقسم على ذلك - وفي علي-والله- نزلت سورة العصر بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢﴾[العصر: ١-٢] إلا عليّ الذي آمن ورضي بالحق والصبر-(٢٣).

ثم قرأ سورة الفاتحة وقال بعد أن انتهى منها -فِيَّ نزلت وفيهم والله نزلت، ولهم عمت، وإياهم خصت، أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون إلا إن حزب الله هم الغالبون-(٢٤).

وعندما أراد صلى الله عليه وآله أن يأخذ البيعة لعليّ عليه السلام استعمل التناص القرآني ليبين كيف تكون بيعة عليّ عليه السلام عند الله سبحانه وتعالى فقال: -ألا وإني قد بايعتُ الله وعليَّ قد بايعني، وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله عزّ وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح: ١٠].... -(٢٥).

وجمع صلى الله عليه وآله بين النص القرآني وسنته الشريفة ليكوّن تناصًا قرآنيًا نبويًا يدعم فيه موضوع الخطبة المباركة فقال: -معاشر



الناس القرآن يُعرّفكم أن الأئمة من بعده ولده وعرّفتكم أنهم مني ومنه، حيث يقول الله في كتابه ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾[الزخرف: ٢٨] وقلتُ لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما.... -(٢٦).

المبحث الثالث

السياق والسيرة الذاتية في خطبة الغدير المباركة

يعدُّ السياق نظرية لغوية قائمة برأسها في الدرس اللساني الحديث، وهو أيضًا مبدأ مهم من مبادئ النظرية النصية وركن من أركان النظرية التداولية فتجمعه صلة وشيجة بمفاهيم القصدية والمقبولية والتناص والمقامية والإعلامية والإنجازية فيكشف عن معانيها ويبين دلالاتها.

وللسياق أثر كبير في فهم خطبة الغدير المباركة، فهو يكشف لنا عن دراية الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بما سيحدث بعده من انقلاب على الإسلام والعودة إلى ما كانوا عليه قبل الدعوة الإسلامية وذلك لوجود المتربصين والمنافقين والناكثين والمارقين بين صفوف المسلمين، إن المقدمة التي قدم بها رسول الله صلى الله عليه وآله خطبته المباركة تكشف عن سوء النوايا لأولئك الذين كان الدين لعقًا على ألسنتهم.

فقد ذكر صلى الله عليه وآله أن الله سبحانه وتعالى أوحى له بالتبليغ عن ولاية الإمام عليّ عليه السلام -أن لم أبلغ ما أنزل إليّ في حق عليّ فما بلغتُ رسالته وقد ضمن لي تبارك وتعالى العصمة من الناس-(٢٧) وهنا يكشف لنا السياق أن ثمة خطب ما سيحدث لو بلغ الرسول الكريم

صلى الله عليه وآله الناس بولاية أمير المؤمنين لكن الله ضمن لرسوله الكريم العصمة منهم.

ثم تلا آية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[المائدة: ٦٧] ثم قال: -وأنا أبين لكم سبب هذهِ الآية: إن جبرئيل هبط إليّ مرارًا ثلاثًا يأمرني عن السلام ربي -وهو السلام- أن أقوم في هذا المشهد فأُعلم كل أبيض وأسود أن عليًا بن أبي طالب أخي ووصي وخليفتي على أمتي والإمام من بعدي»(٢٨).

وأخبرهم أيضًا أنه سأل -جبرئيل أن يستعفي لي السلام عن تبليغ ذلك إليكم-(٢٩) وذكر السبب من وراء ذلك إذ إنه صلى الله عليه وآله يعلم -بقلة المتقين وكثرة المنافقين وإدغال اللائمين وحيل المستهزئين بالسلام، الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ويحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم-(٣٠).

ثم يذكر صلى الله عليه وآله أنه يعرف أولئك المنافقين -ولو شيئت أن أسمي بذلك بأسمائهم لسميتُ وأن أؤمئ إليهم بأعيانهم لأومأتُ وأن أدُلَّ عليهم لدللتُ ولكني والله في أمورهم تكرمتُ»(٣١).

فالسياق يكشف لنا أن تكرم رسول الله صلى الله عليه وآله على أولئك المنافقين وعدم ذكره لأسمائهم إنما جاء كفرصة لأولئك المنافقين ليراجعوا أنفسهم وينتبهوا إلى أنفسهم كي يصغوا إلى الحق.

كذلك فإن السياق يكشف لنا مما تقدم أن المؤامرات على النبي صلى الله عليه وآله وعلى أهل بيته عليهم السلام كانت على حياة الرسول

صلى الله عليه وآله بل أن السياق يكشف لنا أن الرسول صلى الله عليه وآله كان معرضًا في كل وقت لما تعرض له أهل بيته عليهم السلام بعد وفاته لولا أن الله قد عصمه من الناس.

ومن السياق أيضًا مبدأ السيرة الذاتية الذي استعمله الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في خطبة الغدير المباركة واستعمله بعده الإمام علي عليه السلام في خطبته المشهورة (بالقاصعة)(٣٢) واستعمله الإمام الحسن عليه السلام في أكثر من خطبة(٣٣) واستعمله أيضًا الإمام الحسين عليه السلام يوم الطف في كربلاء في العاشر من محرم الحرام سنة (٦٠هـ) واستعمله الإمام علي بن الحسين السجاد في مجلس الملعون يزيد بن معاوية.

ويعدُّ مبدأ (السيرة الذاتية) مبدأ عصري وحضاري ويدل على رقي المجتمعات وتقدمها وتستعمل في أفضل الجامعات في العالم فهو يكشف لنا عن قدرات صاحب السيرة الذاتية وانجازاته من أجل أن نفاضل بينه وبين الآخرين في اختيار الأصلح والأفضل والأنسب ليكون الشخص المناسب في المكان المناسب.

وتأسيسًا على ذلك فإن مبدأ السيرة الذاتية كان حاضرًا في خطبة الغدير المباركة فقد عرض الرسول الكريم صلى الله عليه وآله السيرة الذاتية أو كما تُعرف اليوم بالـ(C. V) للإمام عليّ عليه السلام وذلك لإقامة الحجة على الناس ولاسيما الناكثون والمارقون والمنافقون فقال: -معاشر الناس، لا تضلُّوا عنه ولا تنفروا منه، ولا تستنكفوا عن ولايته، فهو الذي يهدي

إلى الحـق ويعمـل بـه، ويُزهِـقُ الباطـلَ وينهـى عنـه، ولا تأخـذه في الله لومـة لائـم. أول مـن آمـن بـالله ورسـوله، لم يسبقه إلى الإيـمان بي أحـدٌ، والـذي فـدى رسـول الله بنفسـه، والـذي كان مـع رسـول الله ولا أحـد يعبـد الله مـع رسـوله مـن الرجـال غـيرهُ. أوَّل النـاس صـلاة وأوَّل مـن عبـد الله معـي. أمرتُـه عـن الله أن ينـام في مضجعـي، ففعـل فاديًـا لي بنفسـه، معـاشر النـاس، فضلـوه فقـد فضلـه الله، واقبلـوه فقـد نصبـه الله.

معـاشر النـاس إنـه إمـام مـن الله، ولـن يتـوب الله عـلى أحـد أنكـر ولايتـه ولـن يغفـر لـه، حتـى عـلى الله أن يفعـل ذلـك بـما خالـف أمـرَه وأن يُعذبـه عذابًـا نكـرا أبـد الآبـاد ودهـر الدهـور، فاحـذروا أن تخالفـوه، فتصلـوا نـارًا وقودهـا النـاس والحجـارة أعـدت للكافريـن»(٣٤).

المبحث الرابع

الانجازية والسيمائية في خطبة الغدير المباركة

الانجازيـة مصطلـح التداوليـين للتعبـير عـن انجازيـة أحـداث أفعـال الـكلام فالـكلام عندهـم عـلى صنفـين(٣٥):

الأول: ليس له انجازية على الواقع فهو لا يعدو أكثر من كونه كلامًا.

والثـاني: لـه انجازيـة عـلى الواقـع ويكـون لـه أحـداث تُعـرف بأحـداث أفعـال الـكلام.

والانجازية بالمعنى الثاني كانت حاضرة في خطبة الغدير المباركة.

مـن ذلـك قولـه صـلى الله عليـه وآلـه بعـد أن عـرض فكـرة الإمامـة عـلى



المسلمين وأعلن عليًا عليه السلام إمامًا ووصيًا على المسلمين ذكر أن من أنكر ذلك ولم يلتزم به فإنه كافر ككفر الجاهلية الأولى، وأنه في النار، ومعنى ذلك أن خطاب النبي صلى الله عليه وآله له انجازية أحداث أفعال الكلام فكلامه صلى الله عليه وآله له أثر في الواقع الشخصي لكل مسلم، فقال -فمن شك في ذلك فقد كفر ككفر الجاهلية الأولى، ومن شك في شيء من قولي فقد شك في كل ما أنزل إليّ، ومن شك في واحد من الأئمة فقد شك في الكل منهم والشاك فينا في النار»(٣٦).

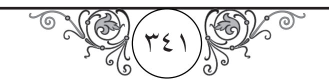
ومثل ذلك يُقال في قوله صلى الله عليه وآله -ملعون ملعون مغضوب مغضوب من رد عليَّ قولي هذا ولم يوافقه-(٣٧).

وقوله أيضًا: -وقد بلغتُ ما أمرت بتبليغه حجة على كل حاضر وغائب وعلى كل أحد ممن شهد أو لم يشهد، وُلِدَ أو لم يولد، فليبلغ الحاضر الغائب والوالد الولد إلى يوم القيامة-(٣٨).

فهذِهِ النصوص الشريفة تؤكد أن كلام النبي صلى الله عليه وآله له أثر في حياة المسلمين وآخرتهم.

ومن التداولية ما يُعرف بالسيميائية أو العلاماتية(٣٩) وهي على أنواع ولسنا في صدد بحثها فهذا ليس مقام بحثها وإنما يكفينا منها أن نشير إلى أن السيميائية تبحث في اللغة غير المنطوقة أو المكتوبة فهي تبحث في الإشارة والعلامة والإيماء والإيحاء والألوان ذات الدلالة فهذِهِ كلها لغة غير منطوقة أو مكتوبة لكنها تُوحي بمعانٍ معينة ومحددة.

ومن السيميائية وقوف عليّ عليه السلام إلى جانب الرسول صلى الله



عليه وآله في خطبة الغدير المباركة، -ثم ضرب بيده إلى عَضُد علي عليه السلام فرفعه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام منذ أوَّل ما صعد رسول الله صلى الله عليه وآله منبره على درجة مقامه متيامنًا عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله كأنهما في مقام واحد. فرفعه رسول الله صلى الله عليه وآله بيده وبسطهما إلى السماء وشال عليًا عليه السلام حتى صارت رجلُهُ مع ركبة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال: أيها الناس من أولى من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسولُه، فقال: ألا فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه.... »(٤٠).

فالرسول صلى الله عليه وآله لم يكتف باللغة المنطوقة حين أراد أن يُعلن عليًا عليه السلام أميرًا للمؤمنين لكنه عمد إلى سيميائية المشهد كي يكون الحدث (صوتًا وصورة) فيشاهد المسلمون عليًا صلى الله عليه وآله ويسمعون كلام الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وهو ينصبه أميرًا وإمامًا ووليًا.

الخاتمة

بعد أن عرضنا خطبة الغدير المباركة على النظريتين النصية والتداولية في هذهِ الدراسة فقد توصلت إلى مجموعة نتائج مهمة، لنا أن نوجزها على النحو الآتي:

١- رادف الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في نصوص خطبة الغدير المباركة لإيصال موضوع الخطبة بأكثر من نص، وكان الأمر كذلك في مهارة تضاد النصوص أيضًا.

٢- استعمل الرسول الكريم صلى الله عليه وآله التناص القرآني كدليل دامغ على أن موضوع خطبة الغدير المباركة موضوع سماوي.

٣- كشف السياق ومبدأ السيرة الذاتية عن علم رسول الله صلى الله عليه وآله ودرايته بأن الدعوة الإسلامية بعده ستتقهقر بسبب وجود الناكثين والمارقين والقاسطين.

٤- إن خطبة الغدير المباركة خطبة ذات انجازية حقيقية وموضوعها ليس حبَ عليّ عليه السلام فقط -كما يعتقد بعضهم- وإنما هو منهج حياة صحيحة وخاتمة صحيحة يؤيد ذلك سيميائية المشهد في الخطبة إذ كان صوتًا وصورة.

قائمة المصادر

١- أشرفها القرآن الكريم.

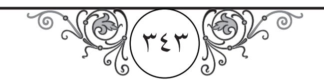
٢- خطبة الغدير، النص الكامل، محمد باقر الأنصاري، مركز المنتظر الثقافي، د. ت.

٣- سيميائية الإيقاع والفاصلة في القرآن الكريم، د. تومان غازي، ط. الأولى ٢٠١١، مطبعة شركة المارد، العراق- النجف الأشرف.

٤- مدخل إلى علم النص، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط. الأولى، ٢٠٠٨.

٥- مفاهيم علم لغة النص عند سيبويه، مرتضى مزيد جبر، أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٤.

٦- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام



حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط. الأولى ١٩٩٨.

٧- نظرية علم النص، د. حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، القاهرة، ط. الأولى ٢٠٠٧.

٨- نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبده، بيروت، إشراف العتبة الحسينية.

٩- النهج اللغوي في خطاب العصمة، خطاب الإمام الحسن انموذجًا، دراسة لغوية وتداولية، مقبول للنشر في مجلة العميد.

هوامش البحث:

١- ينظر: نظرية علم النص: ٧٨-١٢٦، وينظر: مفاهيم علم لغة النص عند سيبويه: ٦٨.

٢- ينظر: علم لغة النص: ٩٩-١٨٣.

٣- خطبة الغدير، النص الكامل: ٢٨.

٤- نفسه: ٣٠.

٥- نفسه: ٣١.

٦- نفسه: ٣٠.

٧- نفسه: ٣٥-٣٦.

٨- نفسه: ٣٦.

٩- نفسه: ٣٧.

١٠- النص والخطاب والإجراء: ١٠٤.

١١- نظرية علم النص: ١٩٩.

١٢- نفسه: ٢١٧.

١٣- مدخل إلى علم النص: ١٠٢.

١٤- نفسه: ١٠٢.

١٥- خطبة الغدير، النص الكامل: ٣٠.

١٦- نفسه: ٢٩.

١٧- نفسه: ٣٢-٣٣.

١٨- نفسه: ٣٣.

١٩- نفسه: ٣٤.

٢٠- نفسه: ٣٧.

٢١- نفسه: ٣٩-٤٠.

٢٢- نفسه: ٤٤.

٢٣- نفسه: ٤٥.

٢٤- نفسه: ٥١.

٢٥- نفسه: ٥٦.

٢٦- نفسه: ٦٠.

٢٧- نفسه: ٣٢.

٢٨- نفسه: ٣٣.

٢٩- نفسه: ٣٤.

٣٠- نفسه: ٣٤

٣١- نفسه: ٣٥.

٣٢- ينظر: نهج البلاغة: ٢/ ٣٩٤.

٣٣- ينظر: النهج اللغوي في خطاب العصمة، خطاب الإمام الحسن - انموذجاً: ٨.

٣٤- خطبة الغدير، النص الكامل: ٣٨.

٣٥- ينظر: مفاهيم علم لغة النص عند سيبويه: ١٧٣ وما بعدها.

٣٦- خطبة الغدير، النص الكامل: ٣٨.

٣٧- نفسه: ٣٩.

٣٨- نفسه: ٤٨.

٣٩- ينظر: مفاهيم علم لغة النص عند سيبويه: ١٧٣، وينظر: سيميائية الإيقاع والفاصلة: ٧.

٤٠- خطبة الغدير، النص الكامل: ٤١.



نظريّة أفعال الكلام في ملحمة عيد الغدير للشاعر بولس سلامة
(دراسة تداوليّة)

أ. م. د. راسم أحمد عبيّس الجريّاوي

ملخص البحث

التداوليّة تعدُّ من أهمّ الآليّات الإجرائيّة النظريّة والتطبيقيّة التي تسعفنا في تحليل الخطاب تفكيكاً وتركيباً، أو دراسته فهماً وتفسيراً وتأويلاً، سواء أكان ذلك الخطاب المرصود لسانيّاً أَم أدبيّاً أَم نقديّاً أَم فلسفيّاً، أَم منطقيّاً أَم إعلاميّاً، إذ لا يمكن الاستغناء بأيِّ حالٍ من الأحوال عن البعد التداولي في دراسة اللغة الإنسانيّة بصفة عامّة والخطاب الأدبي والنقدي بصفة خاصّة. ونظريّة أفعال الكلام من النظريّات اللسانيّة الحداثويّة والتي عُدّت من أهم المحاور التداوليّة؛ لأنّها حقّقت إنجازات كثيرة وعنيت بمقصديّة المخاطِب وخفاياه، لذلك نجد أنّ المقصود من خطابه هو الذي حدّد ما يريده في أيِّ فعل كلامي، وهذا الأمر جعل من الصدق في توفّره في الخطاب شرطاً مهمّاً من آليّات نجاح الفعل الكلامي، ووجدنا الأفعال الكلاميّة من نوع التوجيهات والإخباريات أو التقريرات شكّلت الجانب الأبرز في شعر بولس سلامة؛ لأنّها تقوم على نقل الواقع وتصويره تصويراً صحيحاً ونقله بأمانة وصدق، وهذا ما كان الشاعر يريد إيصاله للمتلقّي، وقد تحقّق بالفعل.

ومـن هنـا نجـد أنّ نظريّـة الأفعـال الكلاميّـة اسـتثمرها الشـاعر في خطابـه وهـذا مـا لمسـناه في تحليلنـا وفقـاً لهـذه النظريّـة، فضـلاً عـن ذلـك فقـد وجدنـا لهـذه النظريّـة وجـوداً حقيقيّـاً في كتـب الـتراث الأدبي والنقدي، ويرجـع الفضل الرائـد للعـرب في انبثـاق هـذه النظريّـات، ولعلّ السـبب ليـس لعلمائنـا العرب، بـل في باحثينـا الحداثويـين الذيـن يرجعـون كلّ نظريّـة حداثويّـة أُصولهـا إلى الغـرب مـن غـير أنْ يتمعّنـوا في تراثنـا وكتبنـا، فيسـتعجلون في حكمهـم وربّـما يكونـون غـير موضوعيـين في حكمهـم وصـدوره، وأخـيراً تعـدُّ نظريّـة أفعـال الـكلام نظريّـة مهمّـة قابلـة لإنتـاج المعنـى عـن طريـق الأفعـال الإنجازيّـة والتـي تنتـج تأثـيراً مـا في القـارئ، وهـذا التأثـير مرتبـط بالإنجـاز المتـأتّي مـن الفعـل القـولي.

تألّـف البحـث مـن محـاور عـدّة، جـاء المحـور الأَوَّل ليوضّـح المهـاد النظري لمصطلـح التداوليّـة، وتكفّـل المحـور الثـاني ليبـيّن التداوليّـة في الـتراث العـربي ووجدنـا دلالـة واضحـة وصريحـة بـأنّ ميـدان السـبق في مصطلـح التداوليّـة يعـود إلى نقّادنـا ولغويّينـا العـرب، فـلا يمكـن لباحـث مـا موضوعـيٍّ أنْ ينكـر هـذا الجهـد، أمَّـا المحـور الثالـث جـاء ليوضّـح علاقـة التداوليّـة بـالأدب، أمَّـا المحـور الأخـير جـاء ليبـيّن نظريـة أفعـال الـكلام وأهميّتهـا في الشـعر فضـلاً عـن الجانـب التطبيقـي في شـعر بولـس سـلامة لينتـج عـن هـذه المحـاور نتائـج سـطّرتها الخاتمـة.

وختامًـا نرجـو مـن الله سـبحانه يجعـل عملنـا هـذا مسـددًا خدمـة لأهـل بيـت النبـوة، وأنْ يجعلنـا مـن أتباعهـم ومواليهـم إلى يـوم نلقـاه، وآخـر دعوانـا

أنِ الحمـد لله ربِّ العالمـين، والصَّـلاة والسَّـلام عـلى رسـوله الأمـين، والأئمَّـة الهـداة المهديـين، وسـلّم تسـليمًا كثـيرًا.

المحور الأوّل، مهاد نظري لمصطلح التداوليّة

تُعـدُّ التداوليّـة مـن المصطلحـات الحداثويّـة التـي تـدرس علاقـة اللغـة بمتلقّيهـا، فهـي لم تكتـفِ بدراسـة اللغـة، بـل تتجاوزهـا إلى مـا وراء اللغـة وكيفيّـة تأثيرهـا، فالتداوليـة تعنـي (إيجـاد القوانـين الكلية للاسـتعمال اللغـوي والتعـرّف عـلى القـدرات الإنسـانية للتواصـل اللغـوي وتصـير التداوليـة مـن ثـمّ جديـرة بـأنْ تُعـرّف بأنّهـا علـم اسـتعمال اللغـة، وقـد نقـول في تعريفهـا: بأنّهـا نسـق معـرفي اسـتدلالي عـام يعالـج الملفوظـات ضمـن سـياقاتها التلفظية، والخطابـات ضمـن أحوالهـا التخاطبيـة)(١).

فالتداوليّـات تُعـدُّ مـن أكثـر الدراسـات حيويّـة؛ لمـا فيهـا مـن انفتـاح كبـير عـلى المتلقّـي والتأثـير فيـه، وقـد تخلّـت عـن الانغـلاق عـلى اللغـة بوصفهـا كلامـاً، بـل تجـاوزت ذلـك لتعـدّ المتلقّـي والتأثـير فيـه مكملـين للعمـل التواصـلي الفعـلي، فاللغـة مـن وجهـة نظـر تداوليّـة، ليسـت مكتفيـة بذاتهـا، بـل تتجاوزهـا، فهـي (مجموعـة مـن النظريّـات تتفـاوت بالمنطلقـات وتتحـد في النظـر للخطـاب بوصفهـا نشـاطاً يُـمارس ضمـن سـياق متعـدّد الأبعـاد، ويعنـي بدراسـة العلاقـة بـين العلامـات ومفسّريهـا وتهتـم بمنتـج اللغـة لا باللغـة فحسـب، وتتنـاول أثـر التفاعـل التخاطبـي في موقـف الخطـاب بـما يسـتتبع دراسـة كلِّ المعطيـات اللغويـة والخطابيـة المتعلقـة باللفـظ، ولاسـيّما المضامـين والمدلـولات، وتشـمل هـذه المعطيـات معتقـدات المتكلّـم ومقاصـده

- شخصيته - تكوينه الثقافي، مع من شارك في الحدث اللغوي، ويشمل كذلك الوقائع الخارجية ومنها الظروف الزمكانية والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة، فضلاً عن المعرفة المشتركة بين المتخاطبين)(٢).

فهذه الاهتمامات كلُّها تعطي للتداوليّة بعداً ذا أثر كبير في الدراسات؛ نتيجة الامتداد الواسع الذي تعنيه، وكانت البدايات التداوليّة عند شارل موريس، فالتداوليّة (إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية في الاهتمام بثلاثة معطيات لما لها من أثر فعّال في توجيه التبادل الكلامي وهي: المتكلمون (المخاطَب والمخاطِب) والسياق (الحال، المقام)، والاستعمالات العادية للكلام؛ أي الاستعمال اليومي والعادي للغة في الواقع)(٣)، وهذا التعدّد في المقاربات يمنحها صفة إيجابيّة، فاللغة من وجهة نظر التداوليين لا يمكن أنْ نعطيها فهماً من المتلقّي والتواصل معه، وقد عدّها موريس أحد أجزاء السيميائيّة عندما أعطى تمييزاً لها وصنّفها إلى ثلاثة أصناف: التركيب الذي يعني به دراسة العلاقات الشكليّة بين العلامات، والدلالة التي تعنى بها دراسة علاقة العلامات بالأشياء، والتداوليّة يعنى بها دراسة علاقة العلامات بمؤوّليها(٤)، ومن هنا تبقى الألفاظ عصيّة الدلالة لا يمكن أنْ نحدّها بمعنى جامع مانع لها.

فالتداوليّة تقوم (في جوهرها على رفض ثنائية: (اللغة، الكلام) التي نادى بها رائد اللسانيات الحديثة دي سوسير القائلة: بأنّ اللغة وحدها دون الكلام هي الجديرة بالدراسة العلمية)(٥). وفي ضوء هذا عملت

التداوليّة على ردم الهوّة الموجودة بين هذه الأركان وهشّمت مغاليقها ومدّت الجسور بين مستعمليها لتنتج خطاباً قادراً على البقاء والديمومة.

فالتداوليّة تُعدُّ ركناً من أركان الدراسات اللسانيّة التي تطوّرت إبّان سبعينات القرن العشرين، وهي تدرس كيفيّة فهم الناس بعضهم لبعض، وإنتاجهم لعمل تواصليٍّ كلاميٍّ في إطار موقف ملموس ومحدّد، فهي دراسة مفصّلة تتعامل مع المعاني التي يهملها علم الدلالة، وتقع الدلالة كأكثر الدروس أهميّة في مفترق طرق الأبحاث الفلسفيّة اللسانيّة(٦).

وعلى الرغم من التعريفات السَّابقة لمصطلح التداوليّة إلّا أنّ مفهومها يبقى قاصراً؛ نظراً لاتّساع حدودها حتّى أنّ العديد من الدارسين أقرّوا غموض معالمها، فهي درس جديد، وغزير إلّا أنّه لا يمتلك حدوداً واضحة... ولعلَّ من أهم الصعوبات التي تصادف التعريف بالتداوليّة عدم استقرارها على مصطلح قارٍّ لها، يشمل مقولاتها ومجالاتها العديدة، إذ تعدّدت التسميات العربية للمصطلح الأجنبي (pragmatique) فقيل: البراغماتيّة بعدّها نقلاً حرفيّاً عن المصطلح الأجنبي، وقيل: التداوليّة، والمقاميّة، والوظيفيّة والسياقيّة، والذرائعيّة، والنفعيّة، وبين هذه الألفاظ - في حقيقة أمرها - فروق لا تسمح باستعمالها مترادفة لتكون مقابلاً للمصطلح الأجنبي)(٧)، وهذا التعدّد في المصطلح يعطيها تعدّداً مفاهيميّاً لم يستقر عند حدٍّ معيّن، نتيجة لاختلاف الترجمات والثقافات، وعلى الرغم من هذا التعدّد إلّا أنّ التداوليّة تبقى مقاربة شبه متكاملة، فقد استطاعت أنْ تسدَّ ثغرة اللسانيّات الموجودة كاللسانيّات الوصفيّة

واللسـانيّات التفسـيريّة بإضافـة البُعـد التـداولي إليهـا(٨).

المحور الثاني، التداوليّة في التراث العربي

التداوليّـة لهـا جـذور قديمـة فعندمـا نتمعّـن في تراثنـا العربي نجـد إشـارات مبثوثـة وموجـودة هنـا وهنـاك، فالفضـل للغـرب يرجـع في اصطنـاع المصطلـح الـذي جمـع هـذه الإشـارات المبثوثـة كلّهـا في مصطلـح جامـع مانـع لهـا، وهـذا مـا نلحظـه في كثـيرٍ مـن النصـوص التـي تضـم معايـير تداوليّـة، وهـذا مـا تـمّ لمسـه في صحيفـة بـشر بـن المعتمـر (ت ١٣٢هــ) التـي نقلهـا الجاحـظ (ت ٢٥٥هــ) والتـي وجدنـا فيهـا بعـض السـنن التداوليّـة، إذ يذهـب بـشر مفصّـلاً في أركان البيـان (وإنّـما مـدار الـشرف عـلى الصـواب وإحـراز المنفعـة، مـع موافقـة الحـال، ومـا يجـب لـكلِّ مقـام مـن مقـال، وكذلـك اللفـظ العامـي والخـاصي، فـإنْ أمكنـك أنْ تبلـغ مـن بيـان لسـانك، وبلاغـة قلمـك، ولطـف مداخلـك، واقتـدارك عـلى نفسـك، إلى أنْ تفهـم العامـة معـاني الخاصـة، وتكسـوها الألفـاظ الواسـطة [...] فأنـت البليـغ التـام)(٩)، فهـذا النـصّ عندمـا يتمعّـن فيـه القـارئ سـيجد جملـة مـن المبـادئ التداوليّـة منهـا(١٠):

١- إنَّ الغـرض مـن الخطـاب هـو كسـب الصـواب والمنفعـة وهـي مـن شروط التداوليّـة لبيـان الخطـاب ووضوحـه، وهـو مـا يصطلـح عليـه اللغويون بالإفـادة، فلتحقّـق نفـع الـكلام وإفادتـه ينبغـي أنْ يكـون مفيـداً مـن جهـة تركيبـه.

٢- ملاءمـة اللغـة لمسـتويات الخطـاب والمخاطـب، والمقصـود بالخطـاب موضـوع الرسـالة اللغويّـة وجهـة الرسـالة ولغتهـا.

٣- اللغة الوسطى وهي معيار تداولي جديد ينطلق من مبدأ الملاءمة والانسجام بين المقام والمقال في مخاطبة المتكلّم للمتلقّي وإفهامه ما يريد من خلال استعمال لغة تحافظ على حدود التخاطب اللغوي الواضح.

وهذا يدلّ دلالة واضحة وصريحة بأنَّ ميدان السبق في مصطلح التداوليّة يعود إلى نقّادنا ولغويّينا العرب فلا يمكن لباحثٍ ما موضوعيٍّ أنْ ينكر هذا الجهد، وهذا ما يؤكّده أحد الباحثين فضلاً عن غيره الكثير بأنّنا (نسجل من باب الإنصاف ما قدّمه روّادها على تعدّد توجهاتهم وأهدافهم، إلّا أنَّنا ومن قبيل عدم التنكر للذات نشير إلى أنّ جلَّ مبادئ التداولية الحديثة حاضر في تراثنا العربي، ولو بمصطلحات مغايرة، وذلك منذ بداية طلائع الدرس اللغوي مع سيبويه (١٨٠هـ) وصولاً إلى البلاغيين المتأخرين)(١١). ومن هنا يبقى الدور الرائد في أكثر هذه المصطلحات الغربيّة يعود الفضل الكبير منها إلى التراث العربي؛ لما فيه من مادة ثرية وخزين معرفي متراكم لا يمكن تجاهله ونسف جهود مؤلّفيه.

فمبدأ القصديّة الذي هو قمّة الأدوات الإجرائيّة في التداوليّة نجد لها وجوداً بيّناً عند سيبويه (ت ١٨٠هـ) في حديثه عن الأفعال المتعدّية إلى مفعولين، فضلاً عن أخذ هذه الفكرة بعداً نظريّاً ضمن نظريّة النظم للجرجاني (ت ٤٧١هـ) في إلحاقه الألفاظ للمعاني وربطها بمقاصد المتكلّمين(١٢)، وهذا ما يدفع بنا إلى القول: وهو ثراء التراث العربي بالقيم التداوليّة، ومن ثَمَّ يستوجب إعادة النظر في قِراءته قراءة جديدة

جدّية من حيث محتواه ومناهج دراسته والبحث فيه؛ لرفع اللبس والغموض عن كثيرٍ من المصطلحات النقديّة واللسانيّة الحديثة مع مراعاة الخصوصيّة الثقافيّة للتراث العربي(١٣).

فكلُّ عناصر التداوليّة في دراسة لغة الاستعمال التواصلي، ليس وليد هذا العصر، بل يمتدُّ في جذوره إلى عمق التراث النحويِّ والبلاغيِّ والنقدي، ولعلّ تنظيرات علمائنا العرب القدماء وتخريجاتهم خير دليل على ما نقول، فالنحاة اعتمدوا في تقعيداتهم وتوجيهاتهم النحويّة على عناصر العمليّة التواصليّة جميعها، وأعطوا اهتماماً كبيراً بطرفي التواصل (المخاطِب، المخاطَب)، وقد شكّل حضورهما ضرورة في التعامل مع مسائلهم النحويّة، واهتموا بالسياق بشقّيه اللغوي والحالي (الموقف)، ولم يغفل البلاغيون العناصر التواصليّة حينما دأبوا في تفسير الظواهر اللغويّة والآليّات التي يعمد إليها المتكلّم (البليغ) للتأثير على المتلقّي(١٤).

وأخيراً نتّفق مع من يقول: بأنّ التداوليّة بمقولاتها الأساسيّة كسياق الحال، وغرض المتكلّم، وإفادة السامع ومراعاة العلاقة بين أطراف الخطاب، ومفهوم الأفعال الكلاميّة يمكن أنْ تكون أداة من أدوات قراءة التراث العربي في شتّى مناحيه ومفتاحاً من مفاتيح فهمه(١٥).

المحور الثالث، التداوليّة وعلاقتها بالأدب

لمّا كانت اللغة الأدبيّة تختلف عن اللغة العاديّة في شعريّتها وعمق وعي قائلها والألفاظ المختارة فيها، فهذا يدفع بنا إلى مقاربتها مقاربة تداوليّة تنسجم مع آليّاتها وتعدّديّة تفسيراتها، ولذلك فإنّ الشعراء والمبدعين

يوظّفون في النصّ الأدبي (كلمات وتعابير وأسماء أعلام لها مقصدية مباشرة وغير مباشرة، فقد تدرك بطريقة ظاهرة أو تفهم بالتضمين والتلميح، وهذه المقصديّة واضحة في الشعر العربي المعاصر أكثر من الشعر العربي القديم، فالشاعر المعاصر يوظّف اللغة في ضوء سيميائية قصدية، حيث تتحول قصائده إلى علامات ورموز وإشارات وإيقونات تحمل في طياتها دلالات مقصدية ينبغي استكشافها من قبل المتلقي عبر آليات التفكيك والتشريح والتقويض والتأجيل والتأويل)(١٦).

فعلاقة التداوليّة بالأدب علاقة وثيقة، من حيث إنّ الخطاب الأدبي هو بمثابة شبكة معقّدة من النصوص التي وإلى يومنا هذا، لم يفلح المنظرون في علمنة قراءاتها ولا منهجية تحليلها بشكل متّفق عليه، إذ كانت هذه الشبكة النصوصيّة تعطي لنفسها شبكة أُخرى من العلاقات المتواشجة بحيث يستحيل في الوقت الراهن على أيِّ منظومة فكُّ ألغازها وتفسير أبعادها كلّها، وبعثرة كلِّ رموزها إلّا تحت إجراءات تأويليّة(١٧).

وهذه التأويلات والتعدّدية في المعاني فتحت الباب واسعاً أمام المتلقّي وجعلت النصّ الأدبي لا ينحصر بقراءة واحدة، بل يبقى النصّ الأدبي إبداعياً بقدرته على التواصل والبقاء من خلال اللغة الخاصّة التي يستعملها، فالغموض ليس شيئاً أساسياً لتعدّدية المعنى، فإنّ (مسألة تعددية التفسير لا تنحصر في غموض النصّ الشعري، بل إنّها قد تأتي - أحياناً - من فرض اللغة الشعرية لمنطقها الخاص على اللغة، وهو ما يجعل دلالة بعض الجمل والمفردات غير مستقرة دلاليّاً تماماً، وذلك بالنظر إلى طبيعة

التوجه القرائي في تفسير النص، إذ قد تعتمد القراءة المعنى المعجمي غير ما هو معطى في المعجم اللغوي)(١٨)، فنجاح الشاعر يعتمد بالدرجة الأساس على توظيف أركان العمليّة التواصليّة ببراعة فائقة؛ كي يوصل مقصديّته إلى المتلقّي (فلا شكَّ في أنّ المبدع يستعمل مكونات لسانية لتحقيق المفصل التداولي وإيصال مقاصده مع الاستعانة بالميتالغوي ولا سيّما إذا كان النص الشعري أدائياً، أو ملقى، أو منقولاً في مدونة مرئية، أو مسموعة، وهنا تحضر كفاية الإنجاز، والأداء)(١٩).

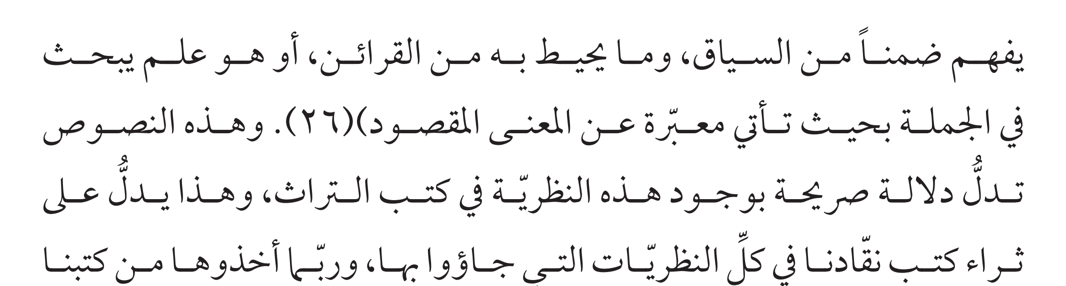
ومن هنا يبقى التعامل مع النصّ الأدبي والخطاب الإبداعي ومقاربته مقاربة تداوليّة؛ بوصفه نصّاً له (مقصدية سياقية ينبغي استحضارها بغية تأويل النص تأويلاً صحيحاً وسليماً)(٢٠).

المحور الرابع، نظرية أفعال الكلام

يعدُّ (أوستن) مؤسّس هذه النظريّة التي هي من أهمّ المحاور التي قامت عليها التداوليّة؛ لما لها من أثر بالغ في تحليلها، فضلاً عن عدّها (المجسّد الحقيقي للاستعمالات اللغوية في الواقع، حيث تهتم بدراسة ما يفعله المتكلمون باللغة؛ من تبليغ وإنجاز أفعال وتأثير، وكلُّ ذلك يفرض إنجاح العملية التواصلية بين المتحدثين)(٢١)، وهذا الاهتمام بهذه العمليّة التواصليّة يزيد من ديمومتها في إنتاج المعنى ويوصل الأفكار المخفيّة عن المتلقّي عبر آليّاتها المتّبعة في التحليل، فمفهوم الفعل الكلامي هو (كل ملفوظ ينهض على نظام شكليٍّ دلاليٍّ إنجازيٍّ تأثيري، وعلاوة على ذلك، يُعدُّ نشاطاً مادياً نحوياً يتوسّل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنجازية

(كالطلب والأمر والوعد والوعيد...)، وغايات تأثيريّة تخصُّ ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أنْ يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعياً أو مؤسساتياً، ومن ثمَّ إنجاز شيء ما)(٢٢).

ويُعدُّ كتاب جون أوستن (كيف ننجز الأفعال بالكلمات) الذي ظهر عام ١٩٦٢م المؤسّس لنظريّة أفعال الكلام، وقد قام سيرل بتطويرها وتنظيم أفكارها فيما بعد وتحديداً في كتابه (أفعال الكلام) ١٩٦٩م(٢٣). ويمكن إرجاع البدايات الأُولى لظهور نظريّة أفعال الكلام إلى فلاسفة اللغة، إذ إنّ مختلف التيارات الفكريّة المنبثقة من حقول معرفيّة متنوّعة من قبل أوستن، وهي التأكيد على أنّ القول هو أيضاً فعل، من هذه التيارات يمكن أنْ نشير إلى التيار البلاغي لأرسطو وبيرلمان، وكذلك إفلاطون والتقاطع الذي حصل معه وما جاء به أوستن فيما بعد، إذ إنَّ إفلاطون ينتهي إلى أنّ الكلمة في ذاتها ليس بصادقة أو كاذبة، على الرغم من أنّ تشكيلة الكلمات قد تعني شيئاً، ولا تدلُّ على شيء وحامل هذه المفارقة هو الجملة وليست الكلمة(٢٤). فضلاً عن ذلك وجدنا هذه النظريّة الكلاميّة موجودة في التراث عند السكاكي ولكنّها مندرجة ضمن علم المعاني، فهي (تتبع تراكيب الكلام في الإفادة وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره)(٢٥)، ولم يتوقّف الحدّ عند السكاكي بل يستمر إلى الخطيب القزويني الذي يرى بأنّها (علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال مع وفائه لغرض بلاغيٍّ



يفهم ضمناً من السياق، وما يحيط به من القرائن، أو هو علم يبحث في الجملة بحيث تأتي معبّرة عن المعنى المقصود)(٢٦). وهذه النصوص تدلُّ دلالة صريحة بوجود هذه النظريّة في كتب التراث، وهذا يدلُّ على ثراء كتب نقّادنا في كلِّ النظريّات التي جاؤوا بها، وربّما أخذوها من كتبنا وصاغوها صياغة جديدة مع تطوير لبعض آليّاتها ومحاورها.

ويقسّم أوستن الفعل الكلامي إلى ثلاثة أقسام(٢٧):

١- فعل القول: ويراد به إطلاق الفعل في جمل مفيدة ذات بناء نحويٍّ سليم وذي دلالة.

٢- الفعل المتضمّن في القول: ويقصد به الغرض الإنجازي للفعل أو الأفعال المنجزة حقيقة، بحيث يلزم المتكلّم نفسه أو غيره (متلقّيه) بعمل شيء بوساطة أقواله كالوعد والتحذير والأمر والنهي، ويشكّل الفعل الإنجازي الحقيقي أساس النظريّة التداوليّة؛ لأنّه يجسّد الجانب التواصلي منها ويرتبط بالغرض أو القصد.

٣- الفعل الناتج عن القول: وهو بدوره الناتج عن إرسال سلسلة من الأفعال القوليّة المصحوبة بقوى إنجازيّة.

أمّا سيرل فقد صنّف أفعال الكلام بعد أنْ طوّر تصنيف أوستن إلى خمسة أقسام(٢٨):

١- الإخباريّات أو التقريرات: وغرضها الإنجازي هو نقل المتكلّم واقعة ما (بدرجات متفاوتة) من خلال قضيّة يعبّر بها عن هذه الواقعة، والإخباريّات تحتمل إحدى قيمتي الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها

من الكلمات إلى العالم، أمَّا الحالة النفسيّة لها فهي الاعتقاد.

٢- التوجيهات أو الأمريّات (الطلبيات): وهي التي يكون الغرض الإنجازي منها توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، ويكون اتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثّل في الإرادة والرغبة الصادقة، وغرضها دائماً هو فعل المتلقّي شيئاً في المستقبل.

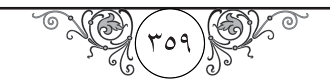
٣- الالتزاميات أو الوعديات أو التعهّدات: والغرض منها هو إلزام المتكلّم نفسه بفعل شيء ما في المستقبل.

٤- التعبيرات أو الإفصاحات: والغرض منها التعبير عن الحالة النفسيّة.

٥- الإعلانات: الغرض منها إحداث تغييرات في الحياة.

ولم يكن خطاب الشاعر بولس سلامة في ملحمته (عيد الغدير) بمعزل عن هذه النظريّة؛ إذ إنّ هذا الشاعر كأحد من أبرز الشعراء تعاملاً مع هذه النظريّة وقد وظّفها توظيفاً معبّراً فيها عن مكنوناته ورموزه المستوحاة والمقصودة في ذاته، لينتج عبرها مقصديّاته المرادة، والتي تحقّقت من خلال هذه الأفعال الواردة في ملحمته، وقد تعدّدت الأفعال الكلاميّة في ملحمة الشاعر بولس سلامة، وهذا إنْ دلّ على شيء إنّما يدلُّ على أنّ الشاعر يريد أنْ يصل إلى مراميه المتنوّعة (إثباتيّة، وتوجيهيّة، وتعبيريّة)، حتّى أنّ هذه الأفعال جاءت مباشرة وبعضها تلميحيّة؛ لتقوم بحمل المتلقّي على الاقتناع والتأثير فيه ولفت انتباهه نحوها، ومنها قول الشاعر بولس سلامة(٢٩):

يا رمال الصحراء هذا عليّ فاملئي الدرب والضفاف أزاهر



هــو بـعـد الـنـبـيِّ أشرف ظـلٍّ   لاح في الـسـبْـسـب الخـلـيّ مهاجر
حمّــلي أجــنــح الأثــيــر نـسـيـمـاً   مــن جفـون الأسـحـار ريـان عاطر
ولـيـفـضِ صــدرك المعبس واحــاً   بــاسـماً بـالـرطـيـب في وجـه عـابر
تــسرح الـرئـم حـولـه والحـبـارى   والــنـعـامـات والمـهـا والجـآذر
وابـسـطـي حـولـه الـزنـابـق فـرشـاً   وانـــشري فـوقـه الـغـمام مـقـاصر

فالشـاعر يعطـي وصفـاً دقيقـاً حامـلاً غرضـاً إنجازيّـاً مـن خـلال إعطـاء الصحـراء صفـة إنسـانيّة تشـخيصيّة، رسـم مـن خلالهـا صـورة متكاملـة مجسّـدة للحـدث الكلامـي، فالشـاعر يأمـر الصحـراء ويوبّخهـا عـبر صيـغ اسـميّة حقّقـت المـراد الأنـوي للشـاعر، فأمرهـا بـأنْ تـزرع الـدرب وروداً وأزهـاراً، وهـذه ليسـت مـن صفاتهـا، فمـن خـلال الصـورة المجازيّـة التـي رسـمها الشـاعر حقّـق الغـرض الإنجـازي للفعـل، وهـو إعطـاء وصفٍ رائـعٍ للإمـام عـليٍّ عليـه السَّـلام، والصـورة التـي رسـمها الشـاعر في وصفـه كانـت مطابقـة للصـورة الإماميّـة.

والأفعـال الإنجازيّـة قـد تحقّقـت بصـورة أكثـر بـروزاً في مقطـع آخـر مـن قـول الشـاعر، إذ يقـول(٣٠):

ومـضى ثـالـث الـصريـعـين يـهـوي   بـالـرديـنـي لـلـطـعـان عـولا
فــرمــاه عـــلى الـــرغـــام عـليٌّ   فـاتـقـاه بـــصـــورةٍ مخــذولا
عـــورة يـكـشـفـونهـا فـيـغـض   الـطـرف لـيـثٌ جـاز الحـيـاة نبيلا
طرفه الثبت يصدع الشمس ثقباً   ويـــولي عـــن الـقـبـيـح مـهـولا

فعندمـا نتمعّـن في قـول الشـاعر نجـد الأفعـال الإنجازيّـة متحقّقـة بصـورة مثـلى، وهـذا يـدلُّ عـلى قـدرة المبـدع عـلى التأثـير في المتلقّـي عـبر الأفعـال أو

الأحداث التي وردت في النصّ، فخطاب الشاعر ربط فكرتين متشابهتين في نصٍّ واحد، ممّا أعطاها بُعداً تداوليّاً قادراً على التأثير في الآخر عبر أخذ انتباه المتلقّي تجاه الحادثة، فالإمام عليٌّ عليه السَّلام صاحب مكانة وأنفة وإباء، فعندما وجد عثمان نفسه يوم (أُحد) تحت حدِّ سيف الإمام عليه السَّلام لم يجد ترساً يتذرّى به غير عورته، وهذه الإشارة أيضاً قد تحقّقت وفعلها (عمرو بن العاص) الذي استفاد من تجربة عثمان فتذرى بالترس نفسه في صفّين، والشاعر أبدع في الإشارة إليهما معاً في الفعل الجمعي (يكشفونها)(٣١)، وصدق الحادثة هذه قد أعطاها بُعداً تداوليّاً محققّاً لأغراضه كافّة، وهذا الربط لا يمكن للمتلقّي أنْ يعرف غرضه الإنجازي من دون معرفة بالحادثة، فغرضها أعطى بُعداً إنجازيّاً ذا تأثير عميق في المتلقّي.

ويستمر الفعل الكلامي في ملحمة الشاعر بولس سلامة في قوله(٣٢):

وأسر المريض لابن عقيل	نصحه قال: هل تعي كلماتي
قد أتاني علمٌ بأنّ عُبيد الـ	ـله، يأتي إليّ، منذ الغداةِ
فإذا جاء وحده فاسلكْ الهنديْ	يَ واغمد في الرأس فضل الشباةِ
ضربة طالبيّة يرتضيها	عَمُّكَ الليث، من خلال الراتِ
وانزل القصر بعدها، ويوافيـ	ـك الموالون بالمنى الباسماتِ
ثمَّ يأتي الحسين في الموكب المنـ	ـصور بين الهاف والزغرداتِ

ففي هذا النصّ يتوافر أكثر من فعل إنجازي عن طريق أفعال الأمر المتمثّلة بـ (اسلك، اعمد، انزل،...) وكذلك الوعديّات من خلال التحذير، فالقوّة الإنجازيّة لمسلم رضوان الله تعالى عليه تمثّلت بأفعال

أمريّة عدة حقّقت الإنجاز عبر فعل كلامي مباشر، فالفعل اللفظي قد حرّك في نفس (مسلم) روح القتل من أعداء الحسين عليه السَّلام، وأَسّس رؤية حواريّة تحمل في طيّاتها التحذير من هذه الشخصيّة.

فالفعل الكلامي الموجود في النصّ فعل مستقبلي لم يتحقّق، وهذا يدلُّ على الصيغة التحذيريّة من خلال دلالة الفعل، فضلاً عن الفعل الإخباري الذي وجد في النصّ والذي يدلُّ على (عبيد الله بن زياد) وحدّد مجيئه أثناء الغداة، وهذا تهديد ووعيد لا يخفى، فالنصّ مليء بالأفعال الإنجازيّة ممّا جعله يعطي تفاعلاً جيداً عبر الأفعال الضمنيّة التي أعطت بقاءً خطابيّاً منضوياً في بوتقات النصّ. فالصورة الشعريّة التي بمجموع كلماتها كوّنت العمل الإبداعي، جعلت العمل الشاعري للنصّ يختزن بؤراً إبداعيّة كامنة فيه، وهذا ممّا أعطاها رمزاً قابلاً للتفسير والتحليل، ممّا منح المتلقّي لأنْ يذهب بفكره إلى أبعاد واسعة تتجاوز الحدود الزمكانيّة للنصّ الشعري وانفتاحها إلى ما لا نهاية.

وتبقى الأفعال الكلاميّة سائرة في مقطع آخر من ملحمته، قائلاً(٣٣):

أعلم الله عبده فتهامت ... سورة (العاديات) عقد انتصار

دوّن المصحف المجيد عليّاً ... قبلما فُضّ خاتِم الأدهارِ

فهو في رفرف البطولةِ رأس ... وعظيم في رفرف الأبرارِ

هبّ طه وصحبه للقاء ... الشرِّ يأتي مجللاً بالفخارِ

فتهاوى الأمير فرط حياء ... أين منه خفارة الأزهارِ

ويقول النبي اركب فإنَّ ... الله راض عند حيدر كرار

وأنا من علمت حُباً فَأبشر ... فبكى الليث، دمعة استعبار

نكّس الرأس ارفع الناس رأساً فبدا كالصبيّة المخفار

ويقول النبيُّ آه لو أنّي استطيع الإفصاح عن أسراري

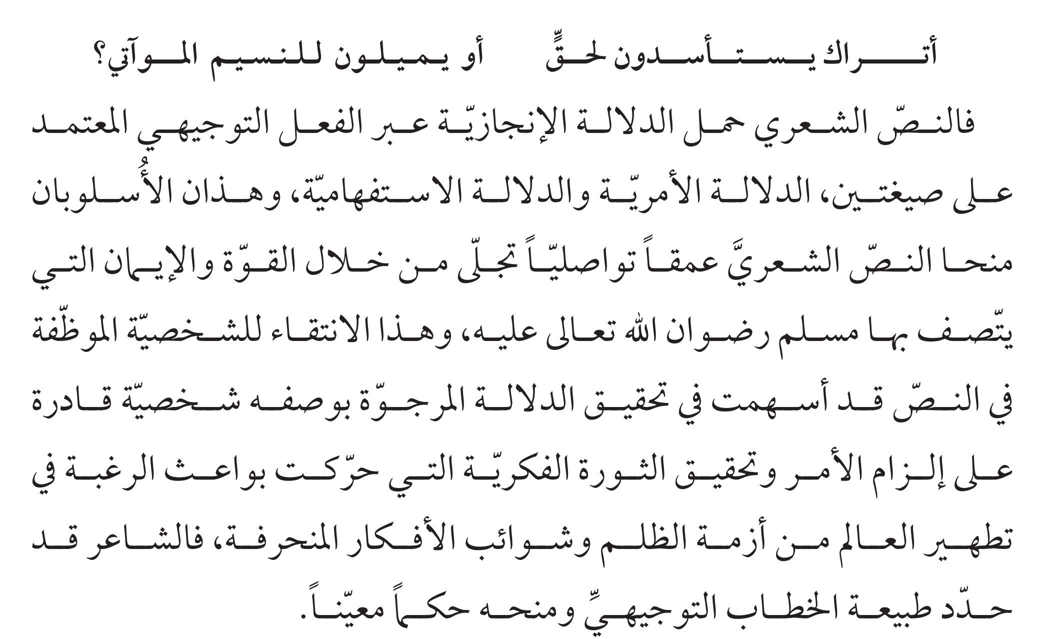
فالشاعر يصنع صورة حواريّة حافلة بالأفعال الإنجازيّة عن طريق الالتزام الموجود في النصّ عبر الأفعال الدالّة على المستقبل والتي تكون ملزمة في تحقيقها ممّا أعطاها صفة إنجازيّة قادرة على التواصل والحدوث، بدليل طرحه لصيغ مستقبليّة وحوار بين أشخاص يحملون صفة الشموخ والعلو والرفعة، فمن الطبيعي أنْ تكون هذه الأحداث متحقّقة في المستقبل، فالفعل المستوحى من النصّ الشعري هو (الوعيد)، فقد أعطى إنجازاً تداوليّاً وتأويلاً سيميائيّاً عبر انتقائه صيغة طلبيّة تحمل في طيّاتها توجيهاً للمخاطب لإنجازه فعلاً مستقبليّاً، وبوساطة هذا الأُسلوب الطلبي قد حقّق مرار أناه الرامية للتغيير والتأثير في القارئ.

فالأفعال التوجيهيّة في النصّ قد وجّهت لمخاطب محدّد وليس لقارئ افتراضي غير محدّد متجاوز للزمان والمكان، فهو موجّه إلى الإمام عليٍّ عليه السلام، والغرض الإنجازي منه هو البطولة التي يتّصف بها الإمام؛ لما له من مكانة وقدسيّة عند الله تعالى، أمّا الفعل التأثيري فيتجلّى بالحقيقة المؤثّرة في المتلقّي.

أمّا في قصيدة (مسلم في الكوفة) فقد تعدّدت الصيغ الطلبيّة، والمتمثّلة في قوله(٣٤):

سِر إلى شيعتي وابلغ ثقاتي أنّني للهَدى نذرتُ حياتي

واختبرهم أهم رجال حفاظ أم نِساء تهيم في الترّهات



أتراك يستأسدون لحقٍّ   أو يميلون للنسيم الموآتي؟

فالنصّ الشعري حمل الدلالة الإنجازيّة عبر الفعل التوجيهي المعتمد على صيغتين، الدلالة الأمريّة والدلالة الاستفهاميّة، وهذان الأُسلوبان منحا النصّ الشعريَّ عمقاً تواصليّاً تجلّى من خلال القوّة والإيمان التي يتّصف بها مسلم رضوان الله تعالى عليه، وهذا الانتقاء للشخصيّة الموظّفة في النصّ قد أسهمت في تحقيق الدلالة المرجوّة بوصفه شخصيّة قادرة على إلزام الأمر وتحقيق الثورة الفكريّة التي حرّكت بواعث الرغبة في تطهير العالم من أزمة الظلم وشوائب الأفكار المنحرفة، فالشاعر قد حدّد طبيعة الخطاب التوجيهيِّ ومنحه حكماً معيّناً.

فاجتماع الصيغة الأمريّة مع الاستفهاميّة حقّقت بُعداً تداوليّاً منح المتلقّي فرصة التواصل مع الخطاب، فالاستفهام الموجود في النصّ يمنح المتلقّي فرصة الإجابة والتأويل والتفسير. ومن هنا نرى أنّ السياق النصّي قد أحال الفعل اللغوي إلى مرجعيّة محدّدة مقصودة في ذهن المتلقّي، فقد قصد الشاعر (مسلم) رضوان الله تعالى عليه، وهذا لم ينكشف عبر الصيغة الأمريّة المستقبليّة، لكنَّ السّياق النفسيَّ للشاعر قد غيّر طبيعة الخطاب، ممّا أنتج فعلاً إنجازيّاً منافياً لما ابتدأ به، فالصيغة الاستفهاميّة تتطلّب جواباً، على عكس الصيغة الأمريّة التي يتحتّم على القارئ فهمها وتحديد مرجعيّتها، بل إنّ الاستفهاميّة بقيت مفتوحة على مصراعيها أمام القراءة المفسّرة.

وتستمر الأفعال الكلاميّة لتؤدّي وظيفتها التواصليّة في حادثة اعتذار

الحرّ رضوان الله تعالى عليه من الإمام الحسين عليه السَّلام بفعل سلوكي، إذ يقول(٣٥):

وجرى في معسكر ابن زياد	ما أثار العيون والألبابا
ذاك إنّ الغضنفر (الحر) عاف الـ	جيشَ وانضم للحسين وتابا
يا ابن بنت الرسول عفوك عنّي	فأنا الغِرّ قد ظللت الصوابا
ردني الله للهدى بعد غيٍّ	وأراني وقد مزقت الحجابا
سقتكم للعراء، للفدفد المغـ	مور، ظلماً وفريةً واغتصابا
فأطعت المنافق ابن زياد	وسقيت الحسين مراً وصابا
ضلّ سمعي عن الهزار المغني	أو تعاميت فاتبعت الغرابا
يا ابن بنت الرسول عفوك عنّي	خضّل الدمع لحيتي والثيابا
سوف أمحو إساءتي بدمائي	ليس مثل الدماء تغسل عابا

إذ استعمل المرسِل في خطابه الشعري وعبر طريقة سرديّة فعلاً سلوكيّاً ألقى بتأثيره على المتلقّي في إيصال رسالته، مستعملاً فعلاً لفظيّاً أدّى غرضه الإنجازي عبر السلوكيّات المنتشرة في النصّ، والتي اتّخذت الاعتذار المتكرّر في النصّ طريقاً لإيصال الفكرة المرغوبة التي تراوده وتمّ تحقيقها، فالشاعر قام بإيصال غرضه عن طريق بثّ الخطاب على لسان مسلم رضوان الله تعالى عليه وإشعار مسلم بمدى الندم والاعتذار من الإمام الحسين عليه السَّلام، لذلك كرّر جملة (عفوك عنّي) مرتين في النصّ؛ لذا قام الحرّ رضوان الله تعالى عليه بالوقوف أمام الإمام الحسين عليه السَّلام ليعطي صورة اعتذاريّة رائعة في مضمونها ومؤدّية غرضها الإنجازي عبر الفداء بالنفس من أجل رضاء الإمام عليه السَّلام، وهذا

الفعل الإنجازي قد أعطى فعلاً تأثيريّاً في المتلقّي ألا وهو شدّ العزيمة من أجل نصرة الحقّ.

فالنصّ الشعري اتّخذ من السلوكيّات التي قامت على البوح والمعبّرة عن الجانب النفسي للذات الشاعرة وهو الإخلاص للثورة الحسينيّة المقدّسة، وما أعظم الفناء الذي أُفني من أجل الإمام الحسين عليه السّلام، لذلك حقّق الشاعر الأبعاد التداوليّة للنصّ الشعري عبر عمليّة تواصليّة امتزجت فيها، لذلك أصبح النصّ غنيّاً بتلك الأبعاد المتجوهرة فيه، وهذا الأمر يدلُّ على إبداع المخاطِب بوصفه المنشئ الحقيقيَّ للخطاب.

وتبقى الأفعال الكلاميّة بأصنافها كافّة سائرة في ملحمة (عيد الغدير)، إذ يقول في بعثة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله(٣٦):

هدأ الكون وأضحى الصوت حتى	لتحس الآذان همس الطيور
وإذا صوت هاتف يهتف: اقرأ	فيردّ الصدى نداء البشير
فتهاوى محمّد وتمشت في	حناياه رعشة المغرور
فأجاب الأمّيّ لم اتلُ حرفاً	لا ولا جال ناظري في السطور
قال جبريل يا محمد كبّر	باسم ربّ ملء الوجود قدير

لعلَّ المتأمّل في النصّ الشعري سيلمس الفعل التقريري بارزاً جدّاً ومؤدّياً للغرض الإنجازي، فالخطاب قد أقرَّ بالحقائق والأحداث الواقعة فعلاً بحيث طابقت الحقيقة الواقعيّة، على الرغم من اختلاف زمن اللفظ عن زمن الفعل الإنجازي، وإذا كان اللفظ يعطي معناه بحسب السياق

النـصّي والثقافـة الملتصقـة بالمتلقّـي، فـإنّ الخطـاب الشـعريَّ قـد أنتـج دلالتـه وقصـده بحسـب المعنـى الموجـود داخـل النـصّ، أي أنّ إنتـاج النـصّ وافـق الرغبـة المنتجـة للمتلقّـي الجديـد. ومـن هنـا نجـد أنّ السـياق العـام للنـصّ أسـهم مسـاهمة فعّالـة في إنجـاز فعـل كلامـيٍّ الغـرض منـه الدلالـة الحرفيّـة للقـول، ويـندرج هـذا الغـرض الإنجـازي الفرعـي تحت المسـمّى الآخـر ألا وهـو التقريـرات، ويمكـن أنْ ندرجـه تحت صنـف المعلنـات أو الحكميّـات، فـكلّ الأحـداث المنتـشرة في الخطـاب نجـد لهـا صدقـاً حقيقيّـاً في الواقـع الخارجـي، أي أنّ الشـاعر أعطاهـا معنـى مبـاشراً ليـؤدّي عـبره الغـرض المـراد مـن غـير صعوبـة في إنتاجـه وتأويلـه.

ولم يتوقّـف عنـد هـذا الحـدّ، بـل نجـد في مقطوعـة أُخـرى يـؤدّي غرضـه الإنجـازي عـبر الوعديّـات الملزمـة عـلى الـذات الشـاعرة، إذ يقـول(٣٧):

جمّعوا جيشهم يعدّون للإسلام قبراً يضمه موؤوداً

لم يشاهد في الحرب أحمد إلّا ⁂ جبناءً أذلّة وعبيدا

سوف يدري إذا المنايا اشرأبّت ⁂ واستحالت حنينُ غاباً حديدا

هكذا قال ما لك وهو الطاووس يختال معجباً مرّيداً

فالشـاعر قـد اعتمـد غرضـاً مسـتقبليّاً عـبر حـرف الاسـتقبال (سـوف)، فهـذا الملفـوظ قـد أنجـز فعـل الوعيـد والتهديـد بأُسـلوب غـير مبـاشر، فالفعـل الكلامـي المسـتنبط مـن النـصّ هـو (الوعيـد)، لذلـك قـام الشـاعر بتوصيـل فكرتـه الأساسـيّة بطريقـة غـير مبـاشرة لينتـج في النهايـة إمكانيّـة المخاطـب لفهـم الفعـل الكلامـي غـير المبـاشر، فالخطـاب يوحـي برؤيـة ثاقبـة

توصل المقصود بطريقة رائعة وتعهّد بالنصر ليؤدّي الغرض الشاعري.

لذا نجد الشاعر على لسان الآخر يلزم نفسه بتحقيق الفعل اللفظي عبر الإنجاز المقصود، أي أنّ الشاعر أعطى لنفسه غرضاً إنجازيّاً متمثّلاً بالوعد (سوف يدري)، وهذا الإنجاز جاء مؤدّياً مراده في المستقبل، ومن هنا نجد أنّ الفعل اللفظي لا بدّ من أنْ يكون له فعل إنجازي، أي أنّ الفعل اللفظي، بوجه عام هو في ذات الوقت إنجاز لفعل ما، إنجاز تؤديه الصيغة اللفظية الناتجة عن تحقيق الفعل اللفظي؛ أي الناتجة عن قول شيءٍ ما، ويتعلق الأمر هنا بالوظائف التي تؤديها الألفاظ اللغوية في سياقات استعمالها كأنْ تكون الاستفهام، أو الإخبار، أو الوعد، أو غيرها(٣٨).

وتبقى الأبعاد التداوليّة ولا سيّما نظريّة الأفعال الكلاميّة محقّقة لأغراضها، بقوله(٣٩):

ورأت حكمة السماء ثواباً　　　وخلوداً لكرمها أنْ يزولا
غلغل البرد في أُصول الدوالي　　　وتمشي على الجفون دبولا
دبّ وهن الفناء في جسم طه　　　فالنبيُّ العظيم بات عليلا

إلى أنْ يقول معطياً الدور للإمام عليٍّ عليه السَّلام لاستلام مواريث الأنبياء:

أقبل الوامق الحزين عليّ　　　مشيةَ العبد راسفاً مغلولا
فحباه النبيُّ خاتمه العلوي　　　قدراً والمستحيل عديلا
وحباه حمائل السيف فوق الختم　　　رمزاً لا يقبل التأويلا
أي ذخر إزاءه كنز قارون　　　وكسرى يظل نزراً قليلاً

لعلّ المتأمّل في النصّ الشعري يجد الأفعال اللفظيّة مؤدّية غرضها عبر

التقريرات أو الإعلانات التي تدلُّ على صدق الحادثة المبثوثة في النصّ، فالفعل الإنجازي متمثّلاً في التقرير أو الإعلان الحقيقي للمصيبة، أمّا الفعل التأثيري فنجده يعكس أثره السلبي على المتلقّي بمدى الحزن العميق لفراق النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، وهذا الحزن لم يستمر في النصّ، بل رفده الشاعر بتحقيق حقيقة تاريخيّة وهي استلام الإمام عليٍّ عليه السَّلام لمقاليد الحكم ليسيّر تاريخ الإسلام.

وهذا الإنجاز انبثقت عنه آثار إيجابية في المتلقّي نفسه، ممّا قام بتحفيز مشاعرهم الراكدة وحرّك فيه عاطفة الحزن لفراق نبيِّ الأُمَّة صلَّى الله عليه وآله، وهذا الأمر جعل من الفعل الإنجازي محقّقاً إخباريّاته وصدقه بصورة صحيحة ومطابقة للواقع الخارجي، والغرض الإنجازي من هذه الأفعال هو الإخباريّات، أي نقل الواقع كما هو موجود، فإذا تحقّقت الأمانة والصدق في النقل تحقّق شرط الإخلاص، وإذا تحقّق شرط الإخلاص أنجزت الأفعال إنجازاً ناجحاً، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم(٤٠).

فبعد وفاة الرسول صلَّى الله عليه وآله أراد الإمام عليٌّ عليه السَّلام أنْ يحفظ وحدة الأُمَّة من الضياع والتشتّت، بدليل أخذ حقّه واستلابه من قبل الآخر؛ لذا نجد الشاعر يختصر الأحداث في بيت شعري بقوله(٤١):

وتوالت مبايعاتٌ ثلاثٌ　　　طمست نور حقّه المأمولا

ثمَّ يستفهم الشاعر بصيغة الاستفهام الإنكاري، قائلاً:

أيسل السيف الحسام فتغدو　　　هضبات الحجاز حمراً وحولا

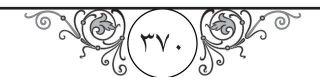


وتعيد الأصنام دولة عزٍّ ويعود الشرك المزمجر غولا

ويموت الإسلام في المهد طفلاً شارقاً في نجيعه مطلولا؟؟

ففي البيت الأوّل يستعمل الشاعر فعلاً كلاميّاً مباشراً من خلال إعطاء الأولويّة لقصده، وهو ما تحقّق فعلاً وأُقرّت هذه الحادثة من غير أنْ يفسح للمتلقّي الفرصة في إيجاد القصد الشاعري المراد، فلجأ الشاعر إلى هذه الآليّة ليبثّ حقيقة واقعه، ولم يبقَ قصده مستمرّاً، بل سرعان ما يعلّل سبب أخذ المبايعة من عليٍّ عليه السَّلام وبصيغة استفهاميّة استنكاريّة متّخذة فعلاً إنجازيّاً الغرض منه هو التوجيه والذي اقتضته طبيعة الحادثة، وهذا التوجيه يدلّ على عظم المصيبة، فالفعل الكلامي يعبّر عن حالة نفسيّة استنكاريّة تجاه القضيّة، وقد مثّل الخطاب النصّي للشاعر أفعالاً لغويّة تطابقت فيها أغراضها الإنجازيّة مع المعنى المباشر لها والمتمثّل في السؤال المبثوث في النصّ، ومن هنا نجد أنّ رغبة الشاعر في توظيفه لهذه الصيغة الاستفهاميّة هو من أجل التفاعل التام بين منتج النصّ وبين المتلقّي لحظة استلامه له، وهذا ما أعطى جماليّة فائقة للمتلقّي، وهذه الجماليّة تكمن في حالة الشاعر النفسيّة في إيصاله للرسالة، وهذا الأُسلوب يستوجب السّرعة الفائقة في الإجابة، ممّا يمنح المتلقّي سبباً من أسباب الرغبة على الإقناع، فالشاعر حينما يستفهم لا ينتظر جواباً من القارئ، بقدرٍ ما هو حريصٌ على إحداث تأثير فيه وتحقيق الغاية المنشودة.

وأخيراً نقول مع من يقول: إنّ التداوليّة تعدُّ من أهمّ الآليّات الإجرائيّة



النظريّـة والتطبيقيّـة التـي تسـعفنا في تحليـل الخطـاب تفكيـكاً وتركيبـاً، أو دراسـته فهـماً وتفسـيراً وتأويـلاً، سـواء أكان ذلـك الخطـاب المرصـود لسـانيّاً أَم أدبيّـاً أَم نقديّـاً أَم فلسـفيّاً، أَم منطقيّـاً أَم إعلاميّـاً، إذ لا يمكـن الاسـتغناء بـأيِّ حـالٍ مـن الأحـوال عـن البُعـد التـداولي في دراسـة اللغـة الإنسـانيّة بصفـة عامّـة والخطـاب الأدبي والنقـدي بصفـة خاصّـة(٤٢).

وفي النهايـة نقـول: إنّ نظريّـة أفعـال الـكلام مـن النظريّـات اللسـانيّة الحداثويّـة؛ لأنّهـا حقّقـت إنجـازات كثـيرة وعنيـت بمقصديّـة المخاطِـب وخفايـاه؛ لذلـك نجـد أنّ المقصـود مـن خطابـه هـو الـذي حـدّد مـا يريـده في أيِّ فعـلٍ كلامـيٍّ، وهـذا الأمـر جعـل مـن الصـدق في توفّـره في الخطـاب شرطـاً مهـمّاً مـن آليّـات نجـاح الفعـل الكلامـي.

وفي النهايـة نقـول: إنّ الأفعـال الكلاميّـة مـن نـوع التوجيهـات والإخباريات أو التقريـرات شـكّلت الجانـب الأبـرز في شـعر بولـس سـلامة؛ لأنّهـا تقـوم عـلى نقـل الواقـع وتصويـره تصويـراً صحيحـاً ونقلـه بأمانـة وصـدق، وهـذا مـا كان الشـاعر يريـد إيصالـه للمتلقّـي، وقـد تحقّـق بالفعـل. ومـن هنـا نجـد أنّ نظريّـة الأفعـال الكلاميّـة اسـتثمرها الشـاعر في خطابـه وهـذا مـا لمسـناه في تحليلنـا وفقـاً لهـذه النظريّـة، فضـلاً عـن ذلـك فقـد وجدنـا لهـذه النظريّـة وجـوداً حقيقيّـاً في كتـب الـتراث الأدبي والنقـدي، ويرجـع الفضـل الرائـد للعـرب في انبثـاق هـذه النظريّـات، ولعـلّ السـبب ليـس لعلمائنـا العـرب بـل في باحثينـا الحداثويـين الذيـن يرجعـون كلَّ نظريّـة حداثويّـة أُصولهـا إلى الغـرب، مـن غـير أنْ يتمعّنـوا في تراثنـا وكتبنـا، فيسـتعجلون في حكمهـم وربّـما يكونـون

غير موضوعيين في حكمهم وصدوره.

فالتداوليّة تعدُّ من المناهج الحداثويّة التي من أهم نظريّاتها نظريّة أفعال الكلام التي تركّز على الأركان الثلاثة (الفعل القولي والإنجازي والتأثيري)، وهذه العمليّة متّصلة فيما بينها، فكلٌّ واحد متّصل بالآخر لا يستطيع أحد أنْ يتخلّى عن الآخر، بل هي عمليّة مكوكيّة متواصلة في العمليّة التفاعليّة، أي أنّ كلَّ فعل قوليٍّ لا بُدَّ له من إنجاز شيءٍ ما، وهذا الإنجاز يكون له تأثير في المتلقّي.

فالتداوليّة حرّكت عمليّة التأويلات وفتحت مغاليقها، أي أنّ العمليّة ليس ارتباط الدال بالمدلول، بل جعلت من الدال فاتحاً دلالاته على مصراعيها أمام الآخر.

وأخيراً تعدُّ نظريّة أفعال الكلام نظريّة مهمّة قابلة لإنتاج المعنى عن طريق الأفعال الإنجازيّة والتي تنتج تأثيراً ما في القارئ، وهذا التأثير مرتبط بالإنجاز المتأتّي من الفعل القولي.

الهوامش

١- الجهاز المفاهيمي للدرس اللغوي، مسعود صحراوي، بحث منشور ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة)، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي: ٣٢.

٢- البعد التداولي في حديث النبيِّ وأهل البيت عليهم السَّلام، م. د. فلاح رزاق جاسم، كلية الفقه، جامعة الكوفة، العدد(٤١)، ٢٠١٦م: ١٢٧.

٣- مبادئ في اللسانيات: ١٧٦-١٧٧.

٤- ينظر: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي: ١٤، على الموقع: www. dorob. com..

٥- المقاربة التداولية في الخطاب التشكيلي المعاصر في العراق، أ. م. د. شوقي مصطفى الموسوي، نابو للدراسات والبحوث، ع (٩-١٠) حزيران، ٢٠١٥م:١٧.

٦- ينظر: تداولية الخطاب الصوفي في ديوان (أسرار الغربة) لمصطفى محمّد العماري، عبد الله بوقصة، جامعة مستغانم، كلية الآداب والفنون، الجزائر، ٢٠١٠م: ١٢ - ١٣.

٧- المصدر نفسه: ٣ -٤.

٨- ينظر: التداوليات وتحليل الخطاب، د. جميل حمداوي، مكتبة المثقف، ط١، ٢٠١٥م: ٥٩.

٩- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ط، ١٩٩٣م، ج١: ١٣٦.

١٠- ينظر: المقاربة التداولية في التراث البلاغي العربي بين التنظير والإجراء، الخبر والإنشاء أُنموذجاً، د. أحمد رحيم كريم، مجلة العلوم الإنسانية: ١٦.

١١- تداوليات الخطاب الصوفي (أسرار الغربة): ١٦.

١٢- ينظر: المصدر نفسه: ١٦.



١٣- ينظر: التحليل التداولي للخطاب الشعري، روميات أبي فراس الحمداني أُنموذجاً، عمار لعويجي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسلية، ٢٠١٦م: ٢٧٠.

١٤- ينظر: البُعد التداولي في العملية التواصلية، شعر الأمير عبد القادر الجزائري - أُنموذجاً - عيسى بربار، أُطروحة دكتوراه، كلية الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بله، وهران، الجزائر، ٢٠١٦م: أ.

١٥- ينظر: تداوليات الخطاب الصوفي: ٣٠.

١٦- التداوليات وتحليل الخطاب: ٣٥.

١٧- ينظر: بين السّمة السّيميائية، عبد الملك مرتاض، مجلة الحداثة، يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، العدد(٢)، ١٩٩٣م: ١٥-١٦.

١٨- اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، د. سامي عبابنة، عالم الكتب، أربد، عمان، ط١، ٢٠٠٤م: ٤٦٠.

١٩- البُعد التداولي في شعر بنت خاطر الفارسي، أ. م. د. خالد حويّر الشمس، م. م. ميعاد مكي فيصل، مجلة كلية التربية، واسط، العدد الثلاثون: ٢٢٧.

٢٠- التداوليات وتحليل الخطاب: ٣٥.

٢١- الأفعال الكلامية في سورة الكهف: ٩٨.

٢٢- في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر: ٥١-٥٢. وينظر: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية



في الــتراث اللســاني العــربي، دار الطليعــة للطباعــة والنــشر، بــيروت، ط١، ٢٠٠٥م: ٤٠.

٢٣- ينظـر: الأفعـال الكلاميـة في خطـب الإمـام الحسـين عليـه السَّـلام دراسـة تداوليـة، م. د. زهـراء جيـاد البرقعـاوي، مجلـة الكليـة الإسـلامية الجامعــة، ع (٤٣)، ج٢: ٥٩٦.

٢٤- ينظـر: الأفعـال الكلاميـة في الشـعر السـياسي لنـزار قبـاني، بوزيـد عائشـة، كليـة العلـوم الإنسـانية والحضـارة الإسـلامية، الجزائـر، ٢٠٠٩م:٣٨-٣٩.

٢٥- مفتـاح العلـوم، أبـو يعقـوب السـكاكي، دار الكتـب العلميـة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م: ١٦١.

٢٦- الإيضــاح في علــوم البلاغــة (المعــاني البيــان البديــع)، الخطيــب القزوينــي، دار الكتــب العلميــة، بــيروت، ٢٠٠٣م: ٤.

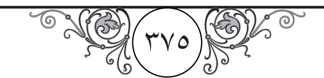
٢٧- ينظـر: البُعـد التـداولي في الخطـاب المسرحـي مسرحيـة (التاعـس والناعـس) عـزّ الديـن جـلاوي أُنموذجـاً، أ. وليـد سـموري، جامعـة المسلية: ١٢٧.

٢٨- ينظـر: آفـاق جديـدة في البحـث اللغـوي المعـاصر، د. محمـد أحمـد نحلــة، مكتبــة الآداب، القاهــرة، ط١، ٢٠٠٢م: ٧٨.

٢٩- ملحمة عيد الغدير: ٤٨.

٣٠- المصدر نفسه: ٧. ويراجع ٨٩-٩٠.

٣١- ينظـر: الإمـام علـيٌّ عليـه السَّـلام في عيـون الشـاعر بولـس سـلامة،



ناجي بن داود الحِرز، مؤسسة أُم القرى للتحقيق والنشر، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥م: ٣٠.

٣٢- ملحمة عيد الغدير: ٢٢٢.

٣٣- المصدر نفسه: ١١٢.

٣٤- المصدر نفسه ٢٢٩.

٣٥- ملحمة عيد الغدير، بولس سلامة، دار الأندلس، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٦٢م: ٢٦٨.

٣٦- المصدر نفسه: ٥٥.

٣٧- المصدر نفسه: ١١٦.

٣٨- في البراغماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، د. علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٠م: ٤٢.

٣٩- ملحمة عيد الغدير: ١١٤ - ١١٦.

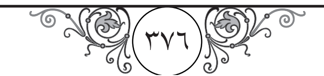
٤٠- ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م: ١٠٣ - ١٠٤.

٤١- ملحمة عيد الغدير: ١١٩.

٤٢- ينظر: التداوليات وتحليل الخطاب: ٦١ -٦٢.

المصادر والمراجع

١- اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث، د. سامي عبابنة، عالم الكتب، أربد، عمان، ط١، ٢٠٠٤م.



٢- الأفعال الكلامية في خطب الإمام الحسين عليه السَّلام دراسة تداولية، م. د. زهراء جياد البرقعاوي، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، ع(٤٣)، ج٢.

٣- الأفعال الكلامية في الشعر السياسي لنزار قباني، بوزيد عائشة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، الجزائر، ٢٠٠٩م.

٤- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمد أحمد نحلة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

٥- الإمام عليٌّ عليه السَّلام في عيون الشاعر بولس سلامة، ناجي بن داود الحِرز، مؤسسة أُمّ القرى للتحقيق والنشر، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥م.

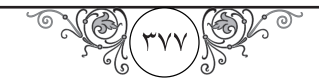
٦- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني البيان البديع)، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

٧- الجهاز المفاهيمي للدرس اللغوي، مسعود صحراوي، بحث منشور ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة)، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي.

٨- البُعد التداولي في الخطاب المسرحي مسرحية (التاعس والناعس)، عزّ الدين جلاوي أُنموذجاً، أ. وليد سموري، جامعة المسلية.

٩- البُعد التداولي في حديث النبيِّ وأهل البيت عليهم السَّلام، م. د. فلاح رزاق جاسم، كلية الفقه، جامعة الكوفة، العدد (٤١)، ٢٠١٦م.

١٠- البُعد التداولي في شعر بنت خاطر الفارسي، أ. م. د. خالد حويّر الشمس، م. م. ميعاد مكي فيصل، مجلة كلية التربية، واسط، العدد





الثلاثـون.

١١- البُعـد التـداولي في العمليّـة التواصليّـة، شـعر الأمـير عبـد القـادر الجزائـري - أُنموذجـاً - عيسـى بربـار، أُطروحـة دكتـوراه، كليـة الآداب والفنـون، جامعـة أحمـد بـن بلـه، وهـران، الجزائـر، ٢٠١٦م.

١٢- البيـان والتبيين، عمـرو بـن بحـر الجاحـظ (ت٢٥٥هـ)، تـح: عبـد السـلام هـارون، مكتبـة الخانجـي، القاهـرة، د. ط، ١٩٩٣م، ج١.

١٣- بـين السّـمة السّـيميائية، عبـد الملـك مرتـاض، مجلـة الحداثـة، يصدرهـا معهـد اللغـة العربيـة وآدابهـا، جامعـة وهـران، العـدد (٢)، ١٩٩٣م.

١٤- التحليـل التـداولي للخطـاب الشـعري، روميـات أبي فـراس الحمـداني أُنموذجـاً، عـمار لعويجـي، كليـة الآداب واللغـات، جامعـة محمّـد بوضيـاف، المسـلية، ٢٠١٦م.

١٥- تداوليـة الخطـاب الصـوفي في ديـوان (أسـرار الغربـة) لمصطفـى محمـد العـماري، عبـد الله بوقصـة، جامعـة مستغانم، كليـة الآداب والفنـون، الجزائـر، ٢٠١٠م.

١٦- التداوليـة عنـد العلـماء العـرب، دراسـة تداوليـة لظاهـرة الأفعـال الكلاميـة في الـتراث اللسـاني العـربي، دار الطليعـة للطباعـة والنشر، بـيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

١٧- التداوليـات وتحليـل الخطـاب، د. جميـل حمـداوي، مكتبـة المثقـف، ط١، ٢٠١٥م.

١٨- في البراغماتيـة، الأفعـال الإنجازيـة في العربيـة المعـاصرة دراسـة دلاليـة



ومعجم سياقي، د. علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٠م.

١٩- مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٢٠- المقاربة التداولية في التراث البلاغي العربي بين التنظير والإجراء الخبر والإنشاء أُنموذجاً، د. أحمد رحيم كريم، مجلة العلوم الإنسانية.

٢١- المقاربة التداولية في الخطاب التشكيلي المعاصر في العراق، أ. م. د. شوقي مصطفى الموسوي، نابو للدراسات والبحوث، ع (٩-١٠) حزيران، ٢٠١٥م.

٢٢- ملحمة عيد الغدير، بولس سلامة، دار الأندلس، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٦٢م.

المحتويات

